سلسلة نصوص تراثية للباحثين (٥٦٤)

من أسباب التوفيق

من كتب التراث

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٤هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

"مطابقته للترجمة ظاهرة ومحمد بن معن بفتح الميم وسكون العين المهملة وبالنون ابن محمد بن معين بن نضلة بفتح النون وسكون الضاد المعجمة ابن عمرو المدني الغفاري ونضلة له صحبة كان يسكن في ناحية العرج ومحمد بن معن يروي عن أبيه معن بن محمد وهو ثقة وليس له في البخاري سوى هذا الحديث وكذا أبوه ليس له إلا موضع آخر أو موضعان وسعيد بن أبي سعيد هو المقبري واسم أبي سعيد كيسان والحديث من أفراده قوله وأن ينسأ له من النسأ بفتح النون وسكون السين المهملة وبالهمزة في آخره وهو التأخير أي يؤخر له في أثره أي في أجله وأثر الشيء هو ما يدل على وجوده ويتبعه والمراد به ههنا الأجل وسمي به لأنه يتبع العمر فإن قلت الآجال مقدرة وكذا الأرزاق لا تزيد ولا تنقص فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون قلت أجيب عن هذا بوجهين (أحدهما) أن هذه الزيادة بالبركة في العمر بسبب التوفيق في الطاعات وصيانته عن الضياع وحاصله أنها بحسب الكيف لا الكم (والثاني) أن الزيادة على حقيقتها وذلك بالنسبة إلى علم الملك الموكل بالعمر وإلى ما يظهر له في اللوح المحفوظ بالمحو والإثبات فيه يمحو الله ما يشاء ويثبت كما أن عمر فلان ستون سنة إلا أن يصل رحمه فإنه يزاد عليه عشرة وهو سبعون وقد علم الله عز وجل بما سيقع له من ذلك فبالنسبة إلى الله تعالى لا زيادة ولا نقصان ويقال له القضاء المبرم وإنما يتصور الزيادة بالنسبة إليهم ويسمى مثله بالقضاء المعلق ويقال المراد بقاء ذكره الجميل بعده فكأنه لم يمت وهو إما بالعلم الذي ينتفع به أو الصدقة الجارية أو الخلف الصالح
٥٩٨٦ - حدثنا (يحيى بن بكير) حدثنا (الليث) عن (عقيل) عن (ابن شهاب) قال أخبرني (أنس بن مالك) أن رسول الله قال من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه (انظر الحديث ٢٠٦٧)." [١]

"عبد الله بن أحمد في "زوائد المسند" والبزار وصححه الحاكم من حديث علي نحو حديثي الباب قال: "ويدفع عنه ميتة السوء" ولأبي يعلى من حديث أنس رفعه: "إن الصدقة وصلة الرحم يزيد الله بهما في العمر، ويدفع بهما ميتة السوء" فجمع الأمرين، لكن سنده ضعيف. وأخرج المؤلف في "الأدب المفرد" من حديث ابن عمر بلفظ: "من اتقى ربه ووصل رحمه نسئ له في عمره، وثري ماله، وأحبه أهله". قوله: "وينسأ" بضم أوله وسكون النون بعدها مهملة ثم همزة أي يؤخر. قوله: "في أثره" أي في أجله، وسمي الأجل أثرا لأنه يتبع العمر، قال زهير:

والمرء ما عاش ممدود له أمل ... لا ينقضي العمر حتى ينتهي الأثر

وأصله من أثر مشيه في الأرض، فإن من مات لا يبقى له حركة فلا يبقى لقدمه في الأرض أثر، قال ابن التين: ظاهر الحديث يعارض قوله تعالى: ﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ والجمع بينهما من وجهين: أحدهما: أن هذه الزيادة كناية عن البركة في النمر بسبب التوفيق إلى الطاعة، وعمارة وقته بما ينفعه في الآخرة، وصيانته عن تضييعه في غيره ذلك. ومثل هذا ما جاء أن النبي صلى الله عليه وسلم تقاصر أعمار أمته بالنسبة لأعمار من مضى من الأمم فأعطاه الله ليلة القدر. وحاصله أن صلة الرحم تكون سببا للتوفيق للطاعة والصيانة عن المعصية فيبقى بعده الذكر الجميل، فكأنه لم يمت. ومن جملة ما يحصل له من التوفيق العلم الذي ينتفع به من بعده، والصدقة الجارية عليه، والخلف الصالح.

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ١٦٠/٣٢

وسيأتي مزيد لذلك في كتاب القدر إن شاء الله تعالى. ثانيهما: أن الزيادة على حقيقتها، وذلك بالنسبة إلى علم الملك الموكل بالعمر، وأما الأول الذي دلت عليه الآية فبالنسبة إلى علم الله تعالى، كأن يقال للملك مثلا: إن عمر فلان مائة مثلا إن وصل رحمه، وستون إن قطعها. وقد سبق في علم الله أنه يصل أو يقطع، فالذي في علم الله لا يتقدم ولا يتأخر، والذي في علم الملك هو الذي يمكن فيه الزيادة والنقص وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾ فالمحو والإثبات بالنسبة لما في علم الملك، وما في أم الكتاب هو الذي في علم الله تعالى فلا محو فيه البتة. ويقال له القضاء المبرم، ويقال للأول القضاء المعلق. والوجه الأول أليق بلفظ حديث الباب، فإن الأثر ما يتبع الشيء، فإذا أخر حسن أن يحمل على الذكر الحسن بعد فقد المذكور. وقال الطيبي: الوجه الأول أظهر، وإليه يشير كلام صاحب "الفائق" قال: ويجوز أن يكون المعنى أن الله يبقى أثر واصل الرحم في الدنيا طويلا فلا يضمحل سريعا كما يضمحل أثر قاطع الرحم. ولما أنشد أبو تمام قوله في بعض المراثي:

توفيت الآمال بعد محمد ... وأصبح في شغل عن السفر السفر

قال له أبو دلف: لم يمت من قيل فيه هذا الشعر. ومن هذه المادة قول الخليل عليه السلام ﴿واجعل لي لسان صدق في الآخرين﴾ وقد ورد في تفسيره وجه ثالث، فأخرج الطبراني في "الصغير" بسند ضعيف عن أبي الدرداء قال: "ذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم من وصل رحمه أنسيء له في أجله، فقال: إنه ليس زيادة في عمره، قال الله تعالى: ﴿فإذا جاء أجلهم﴾ الآية، ولكن الرجل تكون له الذرية الصالحة يدعون له من بعده". وله في "الكبير" من حديث أبي مشجعة الجهني رفعه: "إن الله لا يؤخر نفسا إذا جاء أجلها، وإنما زيادة العمر ذرية صالحة" الحديث. وجزم ابن فورك بأن المراد بزيادة العمر نفي الآفات عن صاحب البر في فهمه وعقله. وقال غيره في أعم من ذلك وفي وجود البركة في رزقه وعلمه ونحو ذلك.." (١)

"وكسر اللام المشددة قلت ولعل الخبط جاء من قبيل الضبط بأن ضبط يولي مجهولا أو معلوما من التولي أو من قبل الإسناد حيث أسند إلى أهل ود أبيه والله أعلم ثم المعنى إن من جملة المبرات الفضلى مبرة الرجل من أحباء أبيه فإن مودة الآباء قرابة الأبناء وخلاصته أنه إذا غاب الأب أو مات يحفظ أهل وده يحسن إليهم فإنه من تمام الإحسان إلى الأب وإنما كان أبر لأنه إذا حفظ غيبته فهو بحفظ حضوره أولى وإذا راعى أهل وده فكأن مراعاة أهل رحمه أخرى رواه مسلم وعن أنس رضي الله عنه أحب أن يبسط بصيغة المجهول أي يوسع له في رزقه أي في دنياه أو آخرته وينسأ بضم فسكون ففتح فنصب فهمزة أي يؤخر له في أثره بفتحتين أي أجله فليصل رحمه في النهاية النسأ التأخير يقال نسأت الشيء انسأ وأنسأته إذا أخرته والنساء الاسم ويكون في العمر والدين والأثر والأجل ويسمى به لأنه يتبع العمر قال زهير يسعى الفتى لأمور ليس يدركها والنفس واحدة والهم منتشر والمرء ما عاش ممدود له أمل لا ينتهي العمر حتى ينتهي الأثر وأصله من أثر مشيه في الأرض فإن من مات لا يبقى له أثر فلا يرى لإقدامه في الأرض أثر قال النووي في تأخير الأجل سؤال مشهور وهو أن الآجال والأرزاق مقدرة ولا تزيد ولا تنقص فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وأجاب العلماء بوجوه

---

(١) فتح الباري- تعليق ابن باز، ٤١٦/١٠

أحدها أن الزيادة بالبركة في العمر بسبب التوفيق في الطاعات وعمارة أوقاته بما ينفعه في الآخرة وصيانتها عن الضياع وغير ذلك وثانيها أنه بالنسبة إلى ما يظهر للملائكة في اللوح المحفوظ ونحو ذلك فيظهر لهم في اللوح أن عمره ستون سنة إلا أن يصل رحمه فإن وصلها زيد له أربعون وقد علم الله تعالى ما سيقع له من ذلك وهو من معنى قوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت الرعد فبالنسبة إلى علم الله تعالى وما سبق قدره لا زيادة بل هي مستحيلة وبالنسبة إلى ما ظهر للمخلوقين يتصور الزيادة وهو مراد الحديث وثالثها أن المراد بقاء ذكره الجميل." (١)

"ومما يدل على حكمة الواعظ، ورجحان عقله، وحرصه على الحقيقة _لزومُه الاعتدال، وألا يسرف في مدح ولا ذم، ولا في وعد ولا وعيد؛ فإن الإسراف مظنَّةُ الكذب، والاعتدال مظنة الصدق.

٤٩_ انشراح الصدر للنقد الهادف: فالواعظ المخلص من يسعى لإرضاء الله _جل وعلا_ فتراه يبذل كل سبب في سبيل نفع الناس؛ ابتغاء الأجر من الله؛ ولهذا لاتراه يتأذى من ملحوظة تقدم إليه ولو صاغها مقدِّمُها في جفاء وغلظة؛ بل تراه يفرح بالنقد الهادف كفرحه بالثناء الصادق، بل ربما طلب ذلك من غيره، وهذا مما يرفع قدره، ويرتقي بعلمه، ووعظه.

وهذا هو دأب الأكابر والعظماء.

قال عمر بن عبدالعزيز لمولاه مزاحم _رحمهما الله_: =إن الولاة جعلوا العيون على العوام، وأنا أجعلك عيني على نفسي؛ فإن سمعت مني كلمة تربأ بي عنها، أو أفعالاً لا تحبها _فعظني عنده، وانهني عنه+. (١)

٥٠_ الإقبال على الله، وإحسان معاملته _عز وجل_: فذلك من أعظم الأسرار لنجاح الواعظ، ومن أكبر أسباب توفيقه وإعانته، وإقبال الناس عليه.

قال أبو حازم ×: =لا يحسن عبدٌ فيما بينه وبين الله _تعالى_ إلا أحسن الله فيما بينه وبين العباد، ولا يعوِّر(٢) فيما بينه وبين الله _تعالى_ إلا عوَّر الله فيما بينه وبين العباد، ولَمُصَانَعَةُ وجهٍ واحدٍ أيسر من مصانعة الوجوه كلِّها؛ إنك إن صانعت الله مالت الوجوه كلُّها إليك، وإذا أفسدت ما بينك وبينه شنأتك الوجوه كلُّها+.(٣)

وقال ابن الجوزي ×: =وإن قلوب الناس لتعرف حال الشخص، وتحبه أوتأباه، وتذمه، أو تمدحه وفْق ما يتحقق بينه وبين الله _تعالى_ فإنه يكفيه كل هم، ويدفع عنه كل شر.

وما أصلح عبدٌ ما بينه وبين الخلق دون أن ينظر إلى الحق إلا انعكس مقصوده، وعاد حامده ذاماً+. (٤)

---

(١) _ عيون الأخبار ٢/١٨.

(٢) _ يعور: يهدم ويفسد.

(٣) _ سير أعلام النبلاء للذهبي ٦ / ١٠٠.

(٤) _ صيد الخاطر ١٠٨_ ١٠٩.." (٢)

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١٤/١٩٩

(٢) أدب الموعظة، ص/٩١

"٥٥ــ أن يستشعر الواعظ أنه هو المقصود الأول من موعظته، وأنه مفتقر إلى الله ــعز وجلــ: فذلك يدعوه إلى ربط القول بالعمل، ويردعه عن التمادي في الإعجاب، ويبعثه إلى الانطراح بين يدي الله ــعز وجلــ وسؤاله أن لا يكله إلى نفسه طرفة عين.

كما أن ذلك يقوده إلى التواضع، والزراية على النفس.

وكل ذلك من أسباب توفيقه وتسديده.

فما أجمل أن يكون الواعظ كثير الانكسار والتذلل لله ــعز وجلــ.

وما أروع أن يستحضر معنى قوله ــعندما يقول في مستهل موعظتهــ: =أوصيكم ونفسي بتقوى الله ــعز وجلــ+.

ولقد كان العلماء الربانيون العالمون بالله وبأمره ــعز وجلــ يأخذون بهذه السيرة؛ فتراهم يستشعرون بأنهم أولى الناس بالتذكرة، وأنهم أخوف الناس على أنفسهم، وأرجاهم لغيرهم.

قال أبو حازم سلمة بن دينار ×: =أفضل خصلة ترجى للمؤمن أن يكون أشد الناس خوفاً على نفسه، وأرجاه لكل مسلم+. (١)

ويقول مخاطباً نفسه مزرياً عليها: =يا أعرجُ! ينادى يوم القيامة: يا أهل خطيئة كذا وكذا فتقوم معهم، ثم ينادي: يا أهل خطيئة كذا وكذا فتقوم معهم؛ فأراك يا أعرج تريد أن تقوم مع أهل كل خطيئة+.(٢)

وقد رئي أبو الحسين الرازي ت ٣٠٤ × في المنام بعد موته فقيل له:

ما فعل الله بك؟ فقال: =غفر لي بقولي عند الموت: اللهم إني نصحت الناس قولاً، وخنت نفسي فِعلاً؛ فهب خيانة فعلي لنصح قولي+. (٣)

وهاهو ابن الجوزي وهو من أكبر أئمة الوعظ يكثر البكاء على نفسه، واستشعار تقصيره في جنب الله ــعز وجلــ.

يقول ×: =إلهي! لا تعذِّبْ لساناً يخبر عنك، ولا عيناً تنظر إلى علومٍ تدُلُّ عليك، ولا يداً تكتب حديث رسولك؛ فبعزتك لا تدخلني النار+.(٤)

---

(١) ــ ٢ــ مواعظ الإمام سلمة بن دينار للشيخ صالح الشامي ص ١٧.

(٣) ــ البداية والنهاية لابن كثير ١١/١٢٧.

(٤) ــ ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ١/٤٢٢.." [1]

"إلا الله رب العالمين وخالق السموات والأرضين ومكلف الجن والإنس والملائكة المقربين أن يعبدوه عبادة المخلصين فقال تعالى ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ﴾ فما لله إلا الدين الخالص المتين فإنه أغنى الأغنياء عن شركة المشاركين والصلاة على نبيه محمد سيد المرسلين وعلى جميع النبيين وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين

---

(١) أدب الموعظة، ص/٩٧

أما بعد فقد انكشف لأرباب القلوب ببصيرة الإيمان وأنوار القرآن أن لا وصول إلى السعادة إلا بالعلم والعبادة فالناس كلهم هلكى إلا العالمون والعالمون كلهم هلكى إلا العاملون والعاملون كلهم هلكى إلا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم

فالعمل بغير نية عناء والنية بغير إخلاص رياء وهو للنفاق كفاء ومع العصيان سواء والإخلاص من غير صدق وتحقيق هباء وقد قال الله تعالى في كل عمل كان بإرادة غير الله مشوبا مغمورا ﴿ وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا ﴾ وليت شعرى كيف يصحح نيته من لا يعرف حقيقة النية أو كيف يخلص من صحح النية إذا لم يعرف حقيقة الإخلاص أو كيف تطالب المخلص نفسه بالصدق إذا لم يتحقق معناه فالوظيفة الأولى على كل عبد أراد طاعة الله تعالى أن يتعلم النية أولا لتحصل المعرفة ثم يصححها بالعمل بعد فهم حقيقة الصدق والإخلاص اللذين هما وسيلتنا العبد إلى النجاة والخلاص

ونحن نذكر معانى الصدق والإخلاص في ثلاثة أبواب الباب الأول في حقيقة النية ومعناها

الباب الثاني في الإخلاص وحقائقه

والباب الثالث في الصدق وحقيقته الباب الأول في حقيقة النية ومعناها

وفيه بيان فضيلة النية وبيان حقيقة النية وبيان كون النية خيرا من العمل وبيان تفضيل الأعمال المتعلقة بالنفس وبيان خروج النية عن الاختيار بيان فضيلة النية

قال الله تعالى ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ﴾ والمراد بتلك الإرادة هى النية

وقال صلى الله عليه وسلم إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه (١) وقال صلى الله عليه وسلم أكثر شهداء أمتى أصحاب الفرش ورب قتيل بين الصفين الله أعلم بنيته + حديث أكثر شهداء أمتى أصحاب الفرش ورب قتيل بين الصفين الله أعلم بنيته أخرجه أحمد من حديث ابن مسعود وفيه عبد الله بن لهيعة + وقال تعالى ﴿ إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما ﴾ فجعل النية سبب التوفيق

وقال صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم وأموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم + حديث إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم الحديث أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة وقد تقدم + وإنما نظر إلى القلوب لأنها مظنة النية وقال صلى الله عليه وسلم إن العبد ليعمل أعمالا حسنة فتصعد الملائكة في صحف مختمة فتلقى بين يدى الله تعالى فيقول ألقوا هذه الصحيفة

١- حديث إنما الأعمال بالنيات الحديث متفق عليه من حديث عمر وقد تقدم

". (١)

---

(١) إحياء علوم الدين، ٣٦٢/٤

"وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتَابِ ﴾(٦) فالمحو والإثبات بالنِّسبة لما في علم الملك ، وما في أمِّ الكتاب هو الذي في علم الله– تعالى– فلا محو فيه ألبته).

فحَمْلُ الزِّيادة على الحقيقة أمرٌ يقبله العقل ، ويؤيِّده النَّقل ، لما في هذا القول من وجاهةٍ ، واحتمال للصَّواب ، وذلك بالتَّفريق بين علم الله الأزليّ ، وما هو معروفٌ عند المَلَك المُوَكَّل بالأجل والرِّزق وما إلى غير ذلك.

وهذا التَّفسير اختاره الغُماريُّ(١) واقتصر عليه فقال (٢) : (للمسلم عُمْران ؛ عمرٌ محدَّدٌ عند الله لا يُعلم غيره ، وعمرٌ مُردَّدٌ بين الزِّيادة والنَّقص عند ملَك الموت ، يقال له : عمر فلانٍ سبعون سنةً إن تصدَّق أو برَّ والديه ، وخمسون سنةً إن لم يفعل ذلك ، وهذا هو المُراد في الحديث).

٢– الزِّيادة المجازيَّة ، أي إنَّ هذه الزِّيادة كنايةٌ عن البَركة في العُمر بسبب التَّوفيق إلى الطَّاعة وعمارة وقته بما ينفعه في الآخرة(٣) ، وفي " نوادر الأُصول "(٤) : " إنَّ العبدَ إذا عُمِر بالإيمانَ وبحياةِ القلب فذلك كثيرٌ وإن قلَّ مدته ، لأنَّ القِصَر من العُمْر إذا احتشى من الإيمان أربى على الكثير لأنَّ المتبقي من العمر العبودية لله– تعالى– ، كي يصير عند الله وجيهاً".

أو السَّعة والزِّيادة في الرِّزق وعافية البدن ، وقد قيل : " الفقر هو الموت الأكبر"(٥) وانفرد ابن فُورَك بتفسيرٍ للزِّيادة فقال (٦) : " إنَّ معنى الزِّيادة في العمر: نفي الآفات عنهم والزِّيادة في أفهامهم وعقولهم وبصائرهم ".." (١)

"باب البر والصلة البر بكسر الموحدة هو التوسع في فعل الخير .

والبر بفتحها المتوسع في الخيرات وهو من صفات الله تعالى .

والصلة بكسر الصاد المهملة مصدر وصله كوعده عدة .

في النهاية تكرر في الحديث ذكر صلة الأرحام وهي كناية عن الإحسان إلى الأقربين من ذوي النسب والأصهار والتعطف عليهم والرفق بهم والرعاية لأحوالهم وكذلك إن تعدوا وأساءوا وضد ذلك قطيعة الرحم .

ا هـ (عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أحب أن يبسط) مغير صيغته أي يبسط الله (له في رزقه) أي يوسع له فيه (وأن ينسأ) مثله في ضبطه .

بالسين المهملة مخففة أي يؤخر له (في أثره) بفتح الهمزة والمثلثة فراء أي أجله (فليصل رحمه .

أخرجه البخاري) وأخرج الترمذي عن أبي هريرة ﴿ أن صلة الرحم محبة في الأهل مثراة في المال منسأة في الأجل ﴾ وأخرج أحمد عن عائشة رضي الله عنها مرفوعا ﴿ صلة الرحم وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان في الأعمار ﴾ .

وأخرج أبو يعلى من حديث أنس مرفوعا ﴿ إن الصدقة وصلة الرحم يزيد الله بهما في العمر ويدفع بهما ميتة السوء ﴾ وفي سنده ضعف : قال ابن التين : ظاهر الحديث أي حديث البخاري معارض لقوله تعالى : ﴿ فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾ قال : والجمع بينهما من وجهين أحدهما : أن الزيادة كناية عن البركة في العمر بسبب التوفيق إلى الطاعة وعمارة وقته بما ينفعه في الآخرة وصيانته عن تضييعه في غير." (٢)

---

(١) التعارض في الحديث، ص/٥

(٢) سبل السلام، ٥٥/٧

"وفي الحديث أيضًا أن العناية بشأن الأهل من أسباب التوفيق الإلهي، أن العناية بشأن الأهل من أسباب التوفيق الإلهي، وهذا مشاهد ومسموع في القيام بحق الأهل كما تقدم آنفًا من الواجبات الشرعية، وإذا قام به العبد تقربًا إلى الله -تعالى- وفيه همة للتزود من العلم أعانه الله -جل وعلا-

.... ــــ

على جميع شئونه، وعلى جميع حوائجه، أما إهمال البيوت وتضييع الأولاد بدعوى التفرغ، فهذا مأزور وليس بمأجور.

الحديث الثامن: أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم أخلاقا

وعن أبي سعيد الخدري -رضي الله تعالى عنه- قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم أخلاقًا الموطئون أكنافًا الذين يألفون ويؤلفون، وليس منا من لا يألف ولا يؤلف " أخرجه الطبراني في الأوسط والصغير، والبيهقي في شعب الإيمان.

ــ

قوله - صلى الله عليه وسلم - "أكمل المؤمنين إيمانًا" فيه أن الإيمان يزيد وينقص كما هو مقرر عند أهل السنة والجماعة، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

وقوله - صلى الله عليه وسلم - "أحسنهم خلقًا" فيه عظيم شأن حسن الخلق، ويقابله عظيم قبح سوء الخلق، ولهذا قوله - صلى الله عليه وسلم - "أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا". جاءت الأحاديث الكثيرة في حسن الخلق والجميع يحفظها، وقد ذكر بعض أهل العلم كلمة جميلة عند قوله جل وعلا: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤) ﴾ (١) فيه بيان منزلة حسن الخلق لوصف الله -جل وعلا- لنبيه - صلى الله عليه وسلم - بتلك الصفة، قال بعض أهل العلم: تعظيم العظماء للشيء يدل على توغله في العظمة، فكيف إذا كان المعظم أعظم عظيم وهو الله جل وعلا، وإنك لعلى خلق عظيم، وفيه أيضًا تفاوت الناس في حسن الخلق، أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا، هناك من يقل، والتفاوت درجات.

---

(١) - سورة القلم آية : ٤.." [١]

"دع الراحلة تمشي إلى منزلك إذ لم تبق لك حاجة فيما قصدته (قال: كأنه) أي الرجل (كان على راحلته) أو كان النبي -صلى الله عليه وسلم- راكبا على راحلته والرجل آخذ بزمامها فقال له-صلى الله عليه وسلم- بعد الجواب دع زمام الراحلة.

وهذا الحديث سبق في أول الزكاة.

١١ - باب إثم القاطع

---

(١) شرح الأربعين في التربية والمنهج، ص/٢٧

(باب إثم القاطع) للرحم.

٥٩٨٤ – حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، أن محمد بن جبير بن مطعم قال: إن جبير بن مطعم أخبره أنه سمع النبي –صلى الله عليه وسلم– يقول: «لا يدخل الجنة قاطع».

وبه قال: (حدثنا يحيى بن بكير) هو يحيى بن عبد الله بن بكر الحافظ المخزومي مولاهم المصري قال: (حدثنا الليث) بن سعد الإمام (عن عقيل) بضم العين ابن خالد الأيلي (عن ابن شهاب) محمد بن مسلم الزهري (أن محمد بن جبير بن مطعم قال: إن) ولأبي ذر أخبره أن (جبير بن مطعم أخبره أنه سمع النبي–صلى الله عليه وسلم– يقول):

(لا يدخل الجنة قاطع) أي يذكر المفعول فيحتمل العموم، وفي الأدب المفرد عن عبد الله بن صالح (قاطع رحم) فالمراد المستحل للقطيعة بلا سبب ولا شبهة مع علمه بتحريمها أو لا يدخلها مع السابقين.

وهذا الحديث أخرجه مسلم في الأدب وأبو داود في الزكاة والترمذي في البر.

١٢ – باب من بسط له فى الرزق بصلة الرحم

(باب من بسط) بضم الموحدة وكسر المهملة (له في الرزق بصلة الرحم) أي بسبب صلة الرحم، ولأبي ذر: لصلة الرحم باللام بدل الموحدة أي لأجل صلتها.

٥٩٨٥ – حدثنى إبراهيم بن المنذر، حدثنا محمد بن معن، قال: حدثنى أبى، عن سعيد بن أبى سعيد، عن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال: سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقول: «من سره أن يبسط له فى رزقه وأن ينسأ له فى أثره فليصل رحمه».

وبه قال: (حدثني) بالإفراد (إبراهيم بن المنذر) الحزامي المدني أحد الأعلام قال: (حدثنا محمد بن معن) بفتح الميم وسكون العين المهملة بعدها نون الغفاري (قال: حدثني) بالإفراد (أبي) معن بن محمد بن معن بن نضلة الغفاري (عن سعيد بن أبي سعيد) كيسان المقبري (عن أبي هريرة –رضي الله عنه–) أنه (قال: سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقول):

(من سره أن يبسط في رزقه) بضم التحتية وسكون الموحدة وفتح السين المهملة (وأن ينسأ) بضم أوله وسكون ثانيه آخره همزة من النسأ وهو التأخير أي يؤخر (له في أثره) أي أجله وسمي به لأنه يتبع العمر وأصله من أثر مشيه في الأرض فإن من مات لا يبقى له حركة فلا يبقى لأقدامه في الأرض أثر (فليصل رحمه) يقال: وصل رحمه يصلها وصلا وصلة كأنه بالإحسان إليهم وصل ما بينه وبينهم من علاقة القرابة والزيادة في العمر بالبركة فيه بسبب التوفيق في الطاعات وعمارة أوقاته بما ينفعه في الآخرة وصيانتها عن الضياع في غير ذلك، أو المراد بقاء ذكره الجميل بعده كالعلم النافع ينتفع به والصدقة الجارية والولد الصالح فكأنه بسبب ذلك لم يمت ومنه قول الخليل عليه الصلاة والسلام ﴿واجعل لي لسان صدق في الآخرين﴾ [الشعراء: ٨٤].

وفي المعجم الصغير للطبراني عن أبي الدرداء قال: ذكر عند رسول الله –صلى الله عليه وسلم– من وصل رحمه أنسئ له في أجله فقال: ليس زيادة في عمره قال الله تعالى: ﴿فإذا جاء أجلهم﴾ [النحل: ٦١] الآية. ولكن الرجل يكون له الذرية الصالحة يدعون له من بعده أو المراد بالنسبة إلى ما يظهر للملائكة في اللوح المحفوظ أن عمره ستون سنة إلا أن يصل رحمه

فإن وصلها زيد له أربعون سنة، وقد علم الله سبحانه وتعالى بما سيقع من ذلك وهو من معنى قوله تعالى: ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت﴾ [الرعد: ٣٩] فبالنسبة إلى علم الله وما سبق به قدرته لا زيادة بل هي مستحيلة وبالنسبة إلى ما ظهر للمخلوقين تتصور الزيادة وهو مراد الحديث.

وقال الكلبي والضحاك في الآية: إن الذي يمحوه ويثبته ما يصعد به الحفظة مكتوبا على بني آدم فيأمر الله فيه أن يثبت ما فيه ثواب وعقاب ويمحي ما لا ثواب فيه ولا عقاب كقوله: أكلت شربت ودخلت ونحوها من الكلام.

وهذا باب واسع المجال لأن علم الله تعالى لا نفاد له ومعلوماته سبحانه لا نهاية لها وكل يوم هو في شأن، ومن ثم كادت أقوال المفسرين فيه لا تحصر قال الإمام: يزيل ما يشاء ويثبت ما يشاء من حكمته ولا يطلع على غيبه أحدا فهو المنفرد بالحكم والمستقل بالإيجاد والإعدام والإحياء والإماتة والإغناء والإفقار وغير ذلك، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا.

٥٩٨٦ - حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب قال: أخبرني أنس بن مالك، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- قال: «من أحب أن يبسط له فى رزقه، وينسأ له فى أثره فليصل رحمه».

وبه قال: (حدثنا يحيى بن بكير) المخزومي المصري اسم أبيه عبد الله ونسبه إلى جده قال: (حدثنا الليث) بن سعد الإمام (عن عقيل) بضم العين ابن خالد (عن ابن شهاب) محمد بن مسلم الزهري." (١)

"وأصله من أثر مشيه في الأرض فإن من مات لا يبقى له حركة فلا يبقى لقدمه في الأرض أثر (فليصل رحمه) قال ابن التين: ظاهر الحديث يعارض قوله تعالى: ﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ (الأعراف:٣٤) والجمع بينهما إما بحمل الزيادة على أنها كناية عن البركة في العمر بسبب التوفيق إلى طاعة الله وعمارة وقته بما ينفعه، ويقربه من مولاه تعالى ويقويه ما جاء من: أنه تقاصر أعمار أمته بالنسبة لأعمار من مضى من الأمم فأعطى ليلة القدر. وحاصله أن صلة الرحم سبب للتوفيق لمرضاة المولى وحفظ الأوقات عن الضياع في غير رضا فيبقى بعده الذكر الجميل، فكأنه لم يمت، أو يحمل الزيادة في الحديث على حقيقتها، وذلك بالنسبة للأجل المعلق المكتوب في اللوح المدفوع للملك، مثلا كتب فيه: إن أطاع فلان فعمره كذا وإلا فعمره كذا، وا سبحانه وتعالى عالم بالواقع منهما والأجل المحتوم في الآية على ما في علم الله سبحانه الذي لا تغير فيه، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾ (الرعد:٣٩) فالحديث فيه ما أشارت إليه أول الآية من الأجل المعلق، وقوله: ﴿عنده أم الكتاب﴾ أشار به إلى العلم الإلهي الذي لا تغير فيه البتة ويعبر عنه بالقضاء المبرم وعن الأول بالقضاء المعلق، والوجه الأول أليق بلفظ المذكور. (٤٦١/٢)." (٢)

"وأصله من أثر مشيه في الأرض فإن من مات لا يبقى له حركة فلا يبقى لقدمه في الأرض أثر (فليصل رحمه) قال ابن التين: ظاهر الحديث يعارض قوله تعالى: ﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ (الأعراف:٣٤)

(١) شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ١١/٩

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين لـ ابن علان الصديقى، ١٠٥/١

والجمع بينهما إما بحمل الزيادة على أنها كناية عن البركة في العمر بسبب التوفيق إلى طاعة الله وعمارة وقته بما ينفعه، ويقربه من مولاه تعالى ويقويه ما جاء من: أنه تقاصر أعمار أمته بالنسبة لأعمار من مضى من الأمم فأعطى ليلة القدر. وحاصله أن صلة الرحم سبب للتوفيق لمرضاة المولى وحفظ الأوقات عن الضياع في غير رضا فيبقى بعده الذكر الجميل، فكأنه لم يمت، أو يحمل الزيادة في الحديث على حقيقتها، وذلك بالنسبة للأجل المعلق المكتوب في اللوح المدفوع للملك، مثلا كتب فيه: إن أطاع فلان فعمره كذا وإلا فعمره كذا، وا سبحانه وتعالى عالم بالواقع منهما والأجل المحتوم في الآية على ما في علم الله سبحانه الذي لا تغير فيه، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾ (الرعد:٣٩) فالحديث فيه ما أشارت إليه أول الآية من الأجل المعلق، وقوله: ﴿عنده أم الكتاب﴾ أشار به إلى العلم الإلهي الذي لا تغير فيه البتة ويعبر عنه بالقضاء المبرم وعن الأول بالقضاء المعلق، والوجه الأول أليق بلفظ المذكور.
". [(١)]

"نصيحه لطلبة العلم (١)

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسوله ، نبينا محمد وآله وصحبه . أما بعد :

فلا ريب أن طلب العلم من أفضل القربات ، ومن أسباب الفوز بالجنة والكرامة لمن عمل به . ومن أهم المهمات الإخلاص في طلبه ، وذلك بأن يكون طلبه لله لا لغرض آخر ؛ لأن ذلك هو سبيل الانتفاع به ، وسبب التوفيق لبلوغ المراتب العالية في الدنيا والآخرة .

وقد جاء في الحديث عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة » (٢) – يعني ريحها – أخرجه أبو داود بإسناد حسن .

وأخرج الترمذي بإسناد فيه ضعف عنه – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « من طلب العلم ليباهي به العلماء أو ليماري به السفهاء أو ليصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله النار » (٣) .

فأوصي كل طالب علم ، وكل مسلم يطلع على هذه الكلمة ، بالإخلاص لله في جميع الأعمال عملا بقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾ (٤) وفي صحيح مسلم عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « يقول الله عز

---

(١) نشرت في مجلة التوحيد المصرية ، ص ١١ – ١٢ .

(٢) سنن أبو داود العلم (٣٦٦٤)،سنن ابن ماجه المقدمة (٢٥٢)،مسند أحمد بن حنبل (٣٣٨/٢).

(٣) سنن الترمذي العلم (٢٦٥٤).

(٤) سورة الكهف الآية ١١٠." [(٢)]

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٤٦١/٢

(٢) مجموع فتاوى ابن باز (٣٠) جزءا، ٣٢٢/٢

"نصيحة موجهة إلى طلبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

بمناسبة إصدار مجلة " صوت الطلبة " (١)

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى الأبناء الكرام طلبة الجامعة الإسلامية زادهم الله من العلم والإيمان آمين .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

أما بعد : فبمناسبة عزمكم على إصدار العدد الأول من مجلة (صوت الطلبة) يسرني أن أكتب إليكم هذه الكلمة لنشرها في المجلة .

فأقول : إن من أهم المهمات الإخلاص في طلب العلم بأن يكون طلبه لله لا لغرض آخر ؛ لأن ذلك هو سبيل الانتفاع به ، وسبب التوفيق لبلوغ المراتب العالية في الدنيا والآخرة ، وقد جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة – يعني ريحها– » (٢) أخرجه أبو داود بإسناد صحيح ، وأخرج الترمذي عنه أنه قال : « من طلب العلم ليجاري به العلماء أو ليماري به السفهاء أو ليصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله النار » (٣) .

فأوصيكم جميعا وأوصي كل مسلم يطلع على هذه المجلة بالإخلاص لله في جميع الأعمال ، عملا بقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾ (٤) وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يقول الله عز وجل : أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه » (٥) كما أوصيكم جميعا وأوصي كل مسلم بخشية الله سبحانه

---

(١) صدرت من مكتب سماحته ١٣٨٨\١١\٢٣ هـ .

(٢) سنن أبو داود العلم (٣٦٦٤)،سنن ابن ماجه المقدمة (٢٥٢)،مسند أحمد بن حنبل (٢/٣٣٨).

(٣) سنن الترمذي العلم (٢٦٥٤).

(٤) سورة الكهف الآية ١١٠

(٥) صحيح مسلم الزهد والرقائق (٢٩٨٥)،سنن ابن ماجه الزهد (٤٢٠٢)،مسند أحمد بن حنبل (٢/٣٠١).." [١]

"والطاعة في ذلك؛ لأن هذا من المعروف الذي ينفع المسلمين ، وأما الشيء الذي هو منكر ، كالضريبة التي يرى ولي الأمر أنها جائزة فهذه يراجع فيها ولي الأمر؛ للنصيحة والدعوة إلى الله ، وبالتوجيه إلى الخير ، لا بيده يضرب هذا أو يسفك دم هذا أو يعاقب هذا بدون حجة ولا برهان ، بل لا بد أن يكون عنده سلطان من ولي الأمر يتصرف به حسب الأوامر التي لديه وإلا فحسبه النصيحة والتوجيه ، إلا فيمن هو تحت يده من أولاد وزوجات ونحو ذلك ممن له السلطة عليهم .

.

---

(١) مجموع فتاوى ابن باز (٣٠) جزءا، ٦/٢٤٠

س٨ : هل من مقتضى البيعة – حفظك الله – الدعاء لولي الأمر؟ .

ج٨ : من مقتضى البيعة النصح لولي الأمر ، ومن النصح : الدعاء له بالتوفيق والهداية وصلاح النية والعمل وصلاح البطانة؛ لأن من أسباب صلاح الوالي ومن أسباب توفيق الله له : أن يكون له وزير صدق يعينه على الخير ، ويذكره إذا نسي ، ويعينه إذا ذكر ، هذه من أسباب توفيق الله له .

فالواجب على الرعية وعلى أعيان الرعية التعاون مع ولي الأمر في الإصلاح وإماتة الشر والقضاء عليه ، وإقامة الخير بالكلام الطيب والأسلوب الحسن والتوجيهات السديدة التي يرجى من ورائها الخير دون الشر ، وكل عمل يترتب عليه شر أكثر من المصلحة لا يجوز؛ لأن المقصود من الولايات كلها : تحقيق المصالح الشرعية ، ودرء المفاسد ، فأي عمل يعمله الإنسان يريد به الخير ويترتب عليه ما هو أشر مما أراد إزالته وما هو منكر لا يجوز له .

وقد أوضح شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله هذا المعنى إيضاحا كاملا في كتاب " الحسبة " فليراجع؛ لعظم الفائدة .." [١]

"نصيحة موجهة إلى طلبة الجامعة الإسلامية بمناسبة إصدار مجلة صوت الطلبة (١)

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى الأبناء الكرام طلبة الجامعة الإسلامية زادهم الله من العلم والإيمان آمين .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

أما بعد : فبمناسبة عزمكم على إصدار العدد الأول من مجلة (صوت الطلبة) يسرني أن أكتب إليكم هذه الكلمة لنشرها في المجلة .

فأقول : إن من أهم المهمات الإخلاص في طلب العلم بأن يكون طلبه لله لا لغرض آخر ؛ لأن ذلك هو سبيل الانتفاع به ، وسبب التوفيق لبلوغ المراتب العالية في الدنيا والآخرة ، وقد جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة – يعني ريحها– » (٢) .

---

(١) صدرت من مكتب سماحته في ١٣٨٨\١١\٢٣ هـ عندما كان نائبا لرئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ونشرت في المجموع ج٦ ص٣٠٨ .

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب العلم ، باب في طلب العلم لغير الله تعالى برقم ٣٦٦٤ وابن ماجه في كتاب المقدمة ، باب الانتفاع بالعلم به برقم ٢٥٢ .." [٢]

" ومما ينبغي أن يعلم أن أسباب الخذلان من بقاء النفس على ما خلقت عليه في الأصل وإهمالها وتخليتها فأسباب الخذلان منها وفيها وأسباب التوفيق من جعل الله سبحانه لها قابلة للنعمة فأسباب التوفيق منه ومن فضله وهو الخالق لهذه وهذه كما خلق أجزاء الأرض هذه قابلة للنبات وهذه غير قابلة له وخلق الشجر هذه تقبل الثمرة وهذه لا تقبلها وخلق

---

[١] مجموع فتاوى ابن باز (٣٠) جزءا، ٢٠٩/٨

[٢] مجموع فتاوى ابن باز (٣٠) جزءا، ٢٢٩/٢٧

النحلة قابلة لأن يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه والزنبور غير قابل لذلك وخلق الأرواح الطيبة قابلة لذكره وشكره وحجته وإجلاله وتعظيمه وتوحيده ونصيحة عباده وخلق الأرواح الخبيثة غير قابلة لذلك بل لضده وهو الحكيم العليم قال شيخ الإسلام بحر العلوم مفتي الفرق أبو العباس احمد بن تيمية رحمه الله

فصل قال الله تعالى

ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ساء ما يحكمون من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت وهو السميع العليم ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغني عن العالمين والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون ووصينا الإنسان بوالديه حسنا وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعلمون والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذى في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم أو ليس الله بأعلم بما في صدور العالمين وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين وقال الله تعالى أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل ." (١)

"فإذا علم الله سبحانه هذا من قلب عبد فذلك من أعظم أسباب خذلانه وتخليه عنه فإن محله لا تناسبه النعمة المطلقة التامة كما قال تعالى:﴿ إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون﴾ الأنفال ٢٢-٢٣، فاخبر سبحانه أن محلهم غير قابل لنعمته ومع عدم القبول ففيهم مانع آخر يمنع وصولها إليهم وهو توليهم وإعراضهم إذا عرفوها وتحققوها.

ومما ينبغي أن يعلم أن أسباب الخذلان من بقاء النفس على ما خلقت عليه في الأصل وإهمالها وتخليتها فأسباب الخذلان منها وفيها وأسباب التوفيق من جعل الله سبحانه لها قابلة للنعمة فأسباب التوفيق منه ومن فضله وهو الخالق لهذه وهذه كما خلق أجزاء الأرض هذه قابلة للنبات وهذه غير قابلة له وخلق الشجر هذه تقبل الثمرة وهذه لا تقبلها وخلق النحلة قابلة لأن يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه والزنبور غير قابل لذلك وخلق الأرواح الطيبة قابلة لذكره وشكره وحجته وإجلاله وتعظيمه وتوحيده ونصيحة عباده وخلق الأرواح الخبيثة غير قابلة لذلك بل لضده وهو الحكيم العليم قال معناه شيخ الإسلام بحر العلوم مفتي الفرق أبو العباس احمد بن تيمية رحمه الله.

[١٤٢] حول قوله تعالى." (٢)

" أما بعد : فإن الله سبحانه لم يخلق خلقه سدى هملا بل جعلهم موردا للتكليف ومحلا للأمر والنهي وألزمهم فهم ما أرشدهم إليه مجملا ومفصلا وقسمهم إلى شقي وسعيد وجعل لكل واحد من الفريقين منزلا وأعطاهم مواد العلم والعمل : من القلب والسمع والبصر والجوارح نعمة منه وتفضيلا فمن استعمل ذلك في طاعته وسلك به طريق معرفته على ما أرشد

---

(١) الفوائد، ص/٢٠٧

(٢) الفوائد لابن القيم، ص/٢٢٨

إليه ولم يبغ عنه عدولا فقد قام بشكر ما أوتيه من ذلك وسلك به إلى مرضاة الله سبيلا ومن استعمله في إرادته وشهواته ولم يرع حق خالقه فيه يخسر إذا سئل عن ذلك ويحزن حزنا طويلا فإنه لابد من الحساب على حق هذه الأعضاء لقوله تعالى : إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا [الاسراء : ٣٦]

ولما كان القلب لهذه الأعضاء كالملك المتصرف في الجنود الذي تصدر كلها عن أمره ويستعملها فيما شاء فكلها تحت عبوديته وقهره وتكتسب منه الاستقامة والزيغ وتتبعه فيما يعقده من العزم أو يحله قال النبيA : ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله فهو ملكها وهي المنفذة لما يأمرها به القابلة لما يأتيها من هديته ولا يستقيم لها شيء من أعمالها حتى تصدر عن قصده ونيته وهو المسئول عنها كلها لأن كل راع مسئول عن رعيته : كان الاهتمام بتصحيحه وتسديده أولى ما اعتمد عليه السالكون والنظر في أمراضه وعلاجها أهم ما تنسك به الناسكون ولما علم عدو الله إبليس أن المدار على القلب والاعتماد عليه أجلب عليه بالوساوس وأقبل بوجوه الشهوات إليه وزين له من الأحوال والأعمال ما يصده به عن الطريق وأمده من أسباب الغي بما يقطعه عن أسباب التوفيق ونصب له من المصايد والحبائل ما إن سلم من الوقوع فيها لم يسلم من أن يحصل له بها التعويق فلا نجاة من مصايده ومكايده إلا بدوام الاستعانة بالله تعالى والتعرض لأسباب مرضاته والتجاء القلب إليه وإقباله عليه في حركاته وسكناته والتحقق بذل العبودية الذي هو أولى ما تلبس به الإنسان ليحصل له الدخول ضمان إن عبادي ليس لك عليهم سلطان [الحجر : ٤٢] فهذه الإضافة هي القاطعة بين العبد وبين الشياطين وحصولها سبب تحقيق مقام العبودية لرب العالمين وإشعار القلب ." (١)

"التحذير من التخلف عن صلاة الجماعة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد: فقد ثبت عن رسول الله عليه الصلاة والسلام أنه قال: (أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما -أي: من الأجر- لأتوهما ولو حبوا، ولقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام، ثم آمر رجلا فيصلي بالناس، ثم أنطلق برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم) وروي عنه عليه الصلاة السلام أنه قال: (لولا ما في البيوت من النساء والذرية لحرقتها عليهم).

وهذا يفيدنا عظم الخطر في التخلف عن الصلاة في الجماعة، وأن ذلك من صفات المنافقين وأعمالهم، وأنه قد هم عليه الصلاة والسلام أن يحرق عليهم بيوتهم بسبب التخلف، ولهذا روي عنه عليه الصلاة والسلام بيان العلة: (لولا ما في البيوت من النساء والذرية لحرقتها عليهم) فلولا أن التخلف خطير، وأنه منكر يستحق صاحبه العقوبة، لما قال هذا الكلام عليه الصلاة والسلام، ويكفي في الذنب والعيب للمتخلفين عن الصلاة في الجماعة أنهم قد شابهوا بهذا حال المنافقين ﴿ إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى ﴾ [النساء:١٤٢] هذا حالهم نعوذ بالله! وقال عليه الصلاة والسلام: (من سمع النداء فلم يأت فلا صلاة له إلا من عذر) قيل لـ ابن عباس : [ما هو العذر يا ابن العباس ؟ قال: خوف أو مرض].

---

(١) إغاثة اللهفان، ١/٥

وجاءه صلى الله عليه وسلم رجل أعمى يستأذنه، فقال: (يا رسول الله! إنه ليس لي قائد يلائمني إلى المسجد فهل لي من رخصة أن أصلي في بيتي؟ فقال: هل تسمع النداء بالصلاة؟ قال: نعم.

قال: فأجب) وفي رواية أخرى قال: (لا أجد لك رخصة) فإذا كان أعمى شاسع الدار كما في الروايات الأخرى، ليس له قائد يلائمه يقال له: ليس لك رخصة في التخلف عن الجماعة في مساجد الله، فكيف بحال من عافاه الله وأعطاه السمع والبصر والصحة؟! فالأمر خطير جدا.

وقد بلغني أن كثيرا من المساجد في الفجر لا يصلي فيها أحد، والعياذ بالله! يسهرون على التلفاز وعلى غير التلفاز، فإذا جاء الفجر فإذا هم أموات ولا حول ولا قوة إلا بالله! وهذه من المصائب الكبيرة، فيجب التواصي بالحذر من هذا البلاء، والحذر من أسباب العقوبات العامة، يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وهو من كبار الصحابة ومن علمائهم: [من سره أن يلقى الله غدا مسلما فليحافظ على هؤلاء الصلوات الخمس حيث ينادى بهن، فإن الله شرع لنبيكم سنن الهدى، وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم –وفي لفظ: لكفرتم– ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق أو مريض] فهذا يبين لنا أن المحافظة على الصلاة في الجماعة من أسباب الموت على الإسلام، ومن أسباب أنه يلقى الله مسلما، ومقتضى هذا أن التخلف عن هذه الجماعة والتساهل من أسباب ضد ذلك من أسباب الوفاة على غير الإسلام، نعوذ بالله! فالمصيبة كبيرة، وخطر عظيم، فالمحافظة على صلاة الجماعة من أسباب السعادة وحسن الختام، ومن أسباب التوفيق لكل خير، والتخلف عنها والتشبه بأهل النفاق بأدائها في البيوت فيه خطر عظيم، فيه: أولا: أنه معصية لله.

ثانيا: أنه مشابهة لأهل النفاق.

ثالثا: أنه من أسباب سوء الخاتمة، والعياذ بالله! رزق الله الجميع العافية، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله.." (١)

"٦ــ إذا صدر الطلاق من الزوج في حال الغضب، واتضحت أسبابه، واعترف به الزوجان أو من حضره ــلم يوقع الطلاق.

ويستدل بما رواه الإمام أحمد، وأبو داود، وابن ماجه، وصححه الحاكم عن عائشة ــرضي الله عنها ــأن النبي"قال: =لاطلاق و لاعتاق في إغلاق+.

وقد فسر جمع من أهل العلم، ومنهم الإمام أحمد×الإغلاق بالإكراه، والغضب الشديد.

ومما يقع به الغضب عنده أن تقول الزوجة لزوجها: لعنك الله، أو لعن والدك، أو والدتك، أو والديك، أو ياسربوت، أو يا حمار، أو يا كلب، أو ما أنت برجل، أو نحو ذلك، وما جرى مجراه؛ فسماحته×يقول: مثل هذه الألفاظ تغضب الرجل.

٧ــ إذا صدر الطلاق من الزوج، وادعى الغضب، ولم تتضح أسبابه الموجبة له ــأوقع الطلاق.

أذكر ــعلى سبيل المثال ــأن معاملة طلاق أرسلها أحد القضاة بعد أن أخذ الأقوال فيها، فلما قرأتها على سماحة الشيخ×وإذا

---

(١) دروس للشيخ عبد العزيز بن باز، ١٧/١٢

فيها: أن الزوج قد أمر زوجته بإحضار قهوة وتمر، فجاءت بالقهوة وتركت التمر، فغضب الزوج وطلقها ثلاث طلقات، فأفتاه سماحة الشيخ بوقوع الثلاث، ولم يلتفت إلى دعوى الغضب، وقال: هذا سبب لا يغضب الرجل، والمسألة ليست لعباً.

وجاءت معاملة ثانية، وذكر فيها أن الزوج والزوجة اختلفا في اختيار لون المروحة؛ فهو يريدها بيضاء، والزوجة تريدها زرقاء، فغضب عليها وطلقها ثلاثاً؛ فأفتاه سماحة الشيخ×بوقوع الطلاق ثلاثاً، فراجعه الزوج، فقال سماحته: هذا سبب لا يوجب الغضب.

٨ــ العناية الفائقة، والتحري الشديد: فهذا دأب سماحة الشيخ ومنهجه في قضايا الطلاق؛ حيث كان يعتني بقضايا الطلاق عناية عظيمة، وهذا من أسباب توفيقه، وتسديده؛ فأحياناً يطلب إحضار بعض الكتب، ويُقْرأ عليه كلام أهل العلم؛ فلا يملي الفتوى حتى يطمئن.." (١)

"ومن تربيته لطلابه، أنه كان يزجرهم، وينهرهم إذا استدعى المقام ذلك؛ فمن ذلك أنه إذا سأله بعضُ الطلاب سؤالاً فيه تعنت، أو تكلف قال له الشيخ: ابحث المسألة، وارجع إلى كلام أهل العلم.

وربما غضب الشيخ على السائل إذا شعر أن السؤال فيه تشدد، أو اعتراض على حكم، أو تنقص لأحد من أهل العلم.

وأذكر مرة أن أحد الطلاب سأل سماحة الشيخ عن مقادير الديات، وقال: يا شيخ الدية الآن فيها ظلم للمسلم؛ فإنها تحدد بمائة ألف، وأصلها مائة من الإبل؛ فلو أن الإبل المذكورة في دية المسلم عرضت في السوق للبيع لبلغت قيمتها أكثر من مائة ألف؛ فلو أعيد النظر في تقدير الدية.

فرد عليه سماحة الشيخ بشدة، وقال: الذي قدر الدية علماء أعرف منك، وأنت تعترض، وأنت في بداية الطريق؛ فيجب عليك أن تتأدب وتترك الكلام الذي لا يعنيك.

ومع ذلك فإن الرفق والتحمل هو دأب الشيخ، ولكنه يتقصد تربية الطلاب حتى يكونوا على منهج سوي، وخلق فاضل.

ولهذا فإن سماحة الشيخ إذا زجر طالباً أو نهره لم يحمل في نفسه على الطالب شيئاً، وإنما ينتهي الأمر بمجرد انتهاء المجلس.

أما إذا كان السائل يريد الحق فإن سماحة الشيخ يصبر عليه، ولا يزجره، ولا ينهره، بل يتلطف به حتى ينال بغيته من سماحته.

وكان سماحة الشيخ×كثير النصح، والتوجيه لطلاب العلم، وإليك هذه النصيحة التي كتبها في ١٢/٣/١٣٨٩هـ لما كان نائباً لرئيس الجامعة الإسلامية بعنوان: =نصيحة لطلبة العلم+.

وهذا نصها:

=نصيحة لطلبة العلم+

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله، نبينا محمد وآله وصحبه أما بعد:

فلا ريب أن طلب العلم من أفضل القربات، ومن أسباب الفوز بالجنة والكرامة لمن عمل به.

---

(١) جوانب من سيرة ابن باز، ص/١٨٦

ومن أهم المهمات الإخلاصُ في طلبه وذلك بأن يكون طلبه لله، لا لغرض آخر؛ لأن ذلك هو سبيل الانتفاع به، وسبب التوفيق لبلوغ المراتب العالية، في الدنيا والآخرة.." [1]

"وفي يوم من الأيام جاءتني امرأة من نساء الجيران ، ولم أكن أهتم بمن يسكن حولي ، ولا أحب الاختلاط بهم ، ولكن هذه المرأة تعلقت بي ، وأصرت على زيارتي ، وبما أنها كانت صالحة وملتزمة فقد كرهت الجلوس معها ، وكنت دائما أحاول الهروب منها ، لكنها كانت لا تيأس ، وتقول لي : لقد صليت صلاة الاستخارة (١) . هل أنزل عندك مرة أخرى أم لا ، فيقدر الله لي النزول ورؤيتك .

ومرت الأيام . حوالي الشهرين . مرة تكلمني ، ومرات لا تستطيع أن تقابلني ، وكانت تذهب كل يوم بعد العصر لتعلم النساء القرآن في المسجد المجاور لنا ، وكلما رآها زوجي دعا الله أن أكون مثلها ، وكانت هي تدعوني إلى الذهاب معها إلى المسجد ، ولكني كنت أعتذر بأعذار واهية ، حتى لا أذهب ، وكانت دائما تقول لي : إني والله أقوم من الليل أصلي ، فأدعو الله لك بالهداية ، وعند ما أتقلب في فراشي أذكرك فأدعو الله لك ، وذلك لما تفرسته في من الذكاء ، وقوة الحجة ، وفصاحة اللسان ، والقدرة على جذب الناس حولي .

وجاء يوم ذهبت فيه خادمتي إلى بلدها ، وكنت بانتظار مجيء أخرى ، فجاءتني جارتي وأنا منشغلة ببعض أعمال البيت ، فاقترحت علي الاستغناء عن الخادمة ، وكان موعد قدومها عصر ذلك اليوم ، فقدر الله عز وجل أن يتأخر قدومها أسبوعا كاملا ، فكانت جارتي تأتيني فتجدني في البيت ، فتساعدني في بعض الأعمال ، وتسر بي سرورا كبيرا ، وكنت أنا في الوقت نفسه قد أحببتها، ورأيتها امرأة مرحة، لا كما كنت أتصور ، فإن زوجي من الملتزمين ، ولكنه كان دائما عابس الوجه ، مقطب الجبين ، فكنت أظن أن ذلك هو دأب الملتزمين جميعا ، حتى رأيت هذه المرأة وعاشرتها ، فتغيرت الصورة التي كانت في ذهني عن الملتزمين .

---

(١) – صلاة الاستخارة من أعظم أسباب التوفيق والبركة وتيسير الأمور .." [2]

"لقد تعددت نصوص القرآن الكريم في الحث على صلة الرحم، تلك الصفة التي تدل على كمال الإيمان وحسن الإسلام، وبها يكتسب المسلم رضا الله سبحانه وتعالى ثم محبة الخلق، فالله سبحانه وتعالى يقرن بين الأمر بتقواه والأمر بصلة الأرحام في قوله تعالى: ﴿ واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا ﴾ [النساء: ١]، وقوله تعالى: ﴿ وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ﴾ [الأنفال: ٧٥]، وقوله تعالى: ﴿ وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ﴾ [الإسراء: ٢٦] وقال ×: (لا يدخل الجنة قاطع رحم) (١).

وقد يظن كثير من الناس أن صلة الرحم تذهب الأوقات والأموال فأخبر النبي × أن الأمر خلاف ما يظنون؛ ففي الحديث الذي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله × قال: (من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره فليصل

---

(١) جوانب من سيرة ابن باز، ص/٢٧٥

(٢) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب، ١٤٤/٢

رحمه) (٢) ففي صلة الرحم تحقيق السعة في الأرزاق والبركة في الأعمار بسبب التوفيق إلى الطاعة، وعمارة الوقت بما ينفع في الدنيا والآخرة، وما يحصل للواصل من التوفيق للعلم الذي ينتفع به من بعده، والصدقة الجارية عليه، والخلف الصالح. وتكون صلة الرحم بالتوادد والتناصح والعدل والإنصاف والقيام بالحقوق الواجبة المستحبة، والإنفاق على القريب، وتفقد أحوالهم والتغافل عن زلالهم والدعاء لهم. والمعنى الجامع (إيصال ما أمكن من الخير ودفع ما أمكن من الشر بحسب الطاقة) وهذا إنما يستمر إن كانت صلتهم تقربهم إلى الإسلام، فإن أصروا على باطلهم فمقاطعتهم صلتهم وهذا لا يمنع من الدعاء لهم بالصلاح والهداية(٣).

---

(١) ...فتح الباري، شرح صحيح البخاري، كتاب الأدب، جـ١٠، ص٥٠٩ رقم الحديث ٥٩٨٤.

(٢) ...المرجع السابق، جـ١٠، ص٥١٠.

(٣) ...انظر: فتح الباري، جـ١٠، ص٥١٤.." [1]

""""""""" صفحة رقم ٢٦٨ """""""

وحقيقة الإخلاص سلامته من وصفين ؛ وهما : الرياء والهوى ، ليكون خالصا كماوصف الله تعالى الخالص من اللبن ، فكان بذلك تمام النعمة علينا ، فقال : (من بين فرث ودم لبنا خالصا) النحل : ٦٦ ، فلو وجد فيه أحد الوصفين من فرث أو دم لم يكن خالصا ، ولم تتم النعمة به علينا ولم تقبله نفوسنا ، فكذلك معاملتنا لله عز وجل إذا شابها رياء بخلق أو هوى من شهوة نفس ، ولم تكن خالصة لم يتم بها الصدق والأدب في المعاملة ولم يقبلها الله تعالى منا فاعتبروا . وروينا عن سعيد بن أبي بردة عن كتاب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه إلى أبي موسى الأشعري : أنه من خلصت نيته كفاه الله تعالى ما بينه وبين الناس ، ومن تزين للناس بما يعلم الله تعالى منه غير ذلك شانه الله تعالى ، فما ظنك ؟ وكتب سالم بن عبد الله إلى عمر بن عبد العزير : اعلم يا عمر أن الله تعالى عون للعبد بقدر النية ، فمن تمت نيته تم عون الله تعالى إياه ، ومن قصرت عنه نيته قصر عنه من عون الله تعالى بقدر ذلك ، وقد قال الله تعالى في تصديق ذلك : (إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما) النساء : ٣٥ ، فجعل سبب التوفيق إرادة الإصلاح ؛ فذلك هو أول التوفيق من الموفق المصلح للعامل الصالح ، وقال بعض السلف : رأيت الخير إنما يجمعه حسن النية وكفاك به خيرا وإن لم ينصب رب عمل صغير تعظمه النية ورب عمل كبر تصغره النية ، وكتب بعض الأدباء إلى أخيه : أخلص النية في أعمالك يكفك القليل من العمل ، وقال داود الطائي : من أكبر همه التقوى لو تعلقت جميع جوارحه بالدنيا لردته نيته يوما إلى نية صالحة ، فكذلك الجاهل بالله تعالى وأيامه همه الدنيا والهوى ، ولو تعلقت جوارحه بكل أعمال الصالحات لكان مرجوعا إلى إرادة الدنيا وموافقة الهوى ، لأن سرها كان همه النفس لعاجل عرض الدنيا ، وقال محمد بن الحسين : ينبغي للرجل أن تكون نيته بين يدي عمله ، وقال أيوب السجستاني وغيره : تخلص النيات على العمال أشد عليهم من جميع الأعمال ، وقال الثوري : كانوا يتعلمون النية للعمل كما يتعلمون العلم ، وقال بعض العلماء : طلب النية للعمل قبل العمل وما دمت تنوي الخير فأنت بخير ،

---

(١) فضيلة تلاوة القرآن وحملته، ٣٢/١

وقال زيد بن أسلم : خصلتان هما كمال أمرك تصبح ولا تهيم لله تعالى بمعصية وتمسي ولا تهيم لله تعالى بمعصية ، وكذلك قال بعض السلف في معناه : إن نعمة الله تعالى أكثر من أن تحصوها وإن ذنوبكم أخفى من أن تعلموها ولكن أصبحوا توابين وأمسوا توابين يغفر لكم ما بين ذلك . وروينا في الخبر عن بعض المريدين : أنه كان يطوف على العلماء يقول : من يدلني على عمل لا أزال فيه عاملا لله تعالى فإني أحب أن لاتجيء علي ساعة من ليل أو نهار إلا وأنا عامل من عمال الله تعالى ، فقيل له : قد وجدت صاحبك اعمل الخير ما استطعت ، فإذا أفترت أو تركته فهم بعمله ، فإن الهام بعمل الخير كعامله . وروينا عن عيسى عليه الصلاة والسلام : طوبى لعين نامت ولا تهم بمعصية وانتهت إلى غير إثم .." (١)

"إن صلة الرحم – أخي الصائم – عظيمة البركة فهي : طاعة للرحمن وبركة في الأرزاق والأعمار ، ومن أسباب التوفيق في الحياة ودفع الأذى ، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم :" من سره أن يمد له في عمره ويوسع له في رزقه ويدفع عنه ميتة السوء فليتق الله وليصل رحمه "

إن رمضان والقرب من العيد تعد فرصة عظيمة لأجمل نسيان في الوجود ، وهو نسيان أخطاء أرحامك في حقك ، لتعود القلوب صافية نقية كما كانت .

فهلا عزمت – أخي الصائم – أن تطوي كل ما قد تراكم في قلبك عبر السنين بينك وبين أرحامك وأن تبدأ حياة جديدة غير منغصة بالحقد على أحد ، فما أشقى الحساد وما أشد مرض الحاقدين !

عافاني الله وإياك من أمراض القلب وآفاته ، حتى نستقبل عيدنا المبارك إن شاء الله ، ونحن في أحسن حال وأطهر قلب وأكرم نفس .

وإلى المصارحة الثامنة والعشرين ..

المصارحة الثامنة والعشرون : (قبل الوداع)

أخي الصائم ..

هل لي – أخي الصائم – بعد أن أكثرت عليك من الحديث أن تسمح لي بأن أخاطب شهرنا الكريم ..

لله أنت يا شهر الصوم والخير ، ما أخف ظلك ! وما أسرع خطاك ! حللت كالضيف الحبيب ، وسرعان ما تحزم حقائبك لتتركنا مع ذكريات جميلة وكأن آخر يوم منك أول يوم استقبلناك فيه ، حينها التفتت القلوب قبل الأنظار وأشعلنا مشاعرنا حبا وشوقا إليك لا لأننا نثق في أعمالنا ، ولكن لأننا نرجو فيك رحمة ربنا .

نعنو وجوها للإله وتستحي *** في صومنا الأقوال والأفعال

حتى إذا أزف الوداع وأوشكت *** نذر الفراق على الربا تنهال

عشناك شوقا لا يزول وفرحة *** لا تنتهي وإن انتهت آجال

من لنا بمثل شهرنا يوقظ فينا ما غفا ويستحث ما ركد فيا أيها الراحل العزيز تمهل .. فلا تزال همهمات الوداع تئن في قلوبنا .. تقول :

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، ٢٦٨/٢

يا أنس المصلين ، ترى هل سنبقى على هذه الصلة الحميمة ببيوت الله بعدك ؟

يا كهف المساكين ، وقد وجدوا فيك النفوس سمحة معطية ترى هل ستستمر تلك النفوس في نداها وجودها ؟." (١)

"فإن لم يشكر نعمته سبحانه، وقابلها بضد ما يليق أن يقابل به سبحانه، سلبه إياها ولا بد كما قال عز وجل: (؟ ؟ ؟ ؟ پ پ پ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟؟) [الأنعام: ٥٣].

وسبب الخذلان عدم صلاحية المحل وأهليته وقبوله للنعمة، بحيث لو وافته النعم لقال هذا لي، وإنما أوتيته لأني أهله ومستحقه كما قال سبحانه عن قارون: (؟ ؟ ؟ ؟ ؟ پ پ پ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ٹ ٹ ٹ ٹ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟؟) [القصص: ٧٨].

والواجب أن يقول كما قال سليمان صلى الله عليه وسلم لما أوتي الملك: (؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟؟) [النمل: ٤٠].

والمؤمن يرى كل نعمة من ربه هو المالك لها، وهو المتفضل بها، من بها على عبده من غير استحقاق منه، بل هي صدقة تصدق بها على عبده، وله أن لا يتصدق بها، وله أن يسلبها.

فلو منعه إياها لم يكن قد منعه شيئا هو له يستحقه عليه، فإذا لم يشهد ذلك رأى فيه أنه أهلا ومستحقا، فأعجبته نفسه وطغت بالنعمة، وعلت بها واستطالت على غيرها، فكان حظها منها الفرح والفخر كما قال سبحانه: (؟ ں ں ؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ہ ہہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟؟) [هود: ٩، ١٠].

وإذا علم الله هذا من قلب عبد.

يأس وكفر عند الضراء.. وفرح وفخر عند النعماء.. وكلاهما فتنة وبلاء.. وذلك من أعظم أسباب خذلانه وتخليه عنه.

فإن محله غير قابل لها، ولا تناسبه النعمة المطلقة التامة كما قال سبحانه: (؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ہ ہ ہ ہ ھ ھھ ھ ے ے ؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟؟) [الأنفال: ٢٢-٢٣].

فأسباب الخذلان من النفس وفيها.. وأسباب التوفيق من جعل الله سبحانه لها قابلة للنعمة.

فأسباب التوفيق منه ومن فضله، وهو الخالق لهذه وهذه، كما خلق سبحانه أجزاء الأرض، هذه قابلة للنبات، وهذه غير قابلة، وخلق الشجر، هذه قابلة للثمرة، وهذه لا تقبلها.

وخلق النحلة قابلة لأن يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانها، والزنبور غير قابل لذلك.." (٢)

"فهو سبحانه الرب الإله الذي خلقهم مما يعلمون، لا يحسن به مع ذلك أن يتركهم سدى، لا يرسل إليهم رسولا، ولا ينزل عليهم كتابا، ولا يعجز سبحانه مع ذلك أن يخلقهم بعد ما أماتهم خلقا جديدا، ويبعثهم إلى دار يوفيهم فيها أعمالهم من خير أو شر.

فكيف يطمع هؤلاء الكفار في دخول الجنة وهم يكذبون الله، ويكذبون رسله، ويعدلون به خلقه، وهم يعلمون من أي

---

(١) عشر خطب رمضانية، ٥٦/٤

(٢) موسوعة فقه القلوب / محمد التويجري-ت: الشحود، ١٠٢/٤

شيء خلقهم؟.

وسبب الخذلان لهم عدم صلاحية المحل وأهليته، وعدم قبوله للنعمة، بحيث لو وافته النعم لقال هذا لي، وإنما أوتيته لأني أهله ومستحقه، كما قال سبحانه عن قارون حين: (؟ ؟ ؟ ؟ ؟ پ پ پ پ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ٹ ٹ ٹ ٹ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟؟) [القصص: ٧٨].

وسليمان – صلى الله عليه وسلم – رأى ما أوتيه من الملك من فضل الله عليه ومنته كما قال سبحانه: (؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ہ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟؟) [النمل: ٤٠].

أما قارون فرأى ذلك من نفسه واستحقاقه وأنه أهله وحقيق به، وإذا علم الله هذا من قلب العبد فذلك من أعظم أسباب خذلانه وتخليه عنه، فإن محله لا تناسبه النعمة المطلقة التامة.

فأسباب الخذلان من النفس.. وأسباب التوفيق من جعل الله لها قابلة للنعمة، فأسباب التوفيق منه ومن فضله.. وهو الخالق لهذه وهذه.. كما خلق أجزاء الأرض هذه قابلة للنبات.. وهذه غير قابلة له.. وخلق الشجر هذه تقبل الثمرة.. وهذه لا تقبلها.

وخلق الأرواح الطيبة قابلة لذكره وشكره، وإجلاله وتعظيمه، وتوحيده ونصح عباده.. وخلق الأرواح الخبيثة غير قابلة لذلك، بل لضده، وهو الحكيم العليم.

والإنسان لا يصل إلى أسمى الغايات وأكمل النهايات إلا على جسر من الابتلاء والامتحان، وهذا الجسر لكماله يشبه الجسر الذي لا سبيل إلى دخول الجنة إلا بعبوره.

وكم لله من نعمة ورحمة ومنحة فيما يبتلي به عباده، فصورته صورة ابتلاء وامتحان، وباطنه فيه رحمة ونعمة، فكم لله من نعمة جسيمة ومنة عظيمة تجنى من قطوف الابتلاء والامتحان.." [(١)]

"إذا صح هذا التأويل الذي أختاره بعض أهل العلم فحري بنا أن يقال إذا كان هذا النبي الكريم الذي لم يقترف ذنبا أصابه ما أصابه من الذهول لما عاتبه ربه فكيف بمن يلقى الله جل وعلا وقد عصاه وتجاوزا حدوده وأنتهك حرماته نسأل الله لنا ولكم العافية .

(وما أعجلك عن قومك يا موسى * قال هم أولاء على أثري) أي غير بعيد عني (وعجلت إليك رب لترضى) هذه تصلح جوابا (وعجلت إليك رب لترضى)

وقد قال العلماء بناء على هذه :

إن العجلة مذمومة إلا إذا كانت مسارعة في الخيرات إن العجلة مذمومة إلا إذا كانت مسارعة في الخيرات (وعجلت إليك رب لترضى)

طلب رضوان الله جل وعلا من أعظم المقاصد وأجل المطالب ولا توجد عطية أصلا بعد رضوان الله قال الرب تبارك وتعالى (ورضوان من الله أكبر) وكلما كانت بغية المرء أن ينال رضوان الله جل وعلا كان من أعظم الساعين في أسباب التوفيق و

---

(١) موسوعة فقه القلوب / محمد التويجري–ت: الشحود، ٣١٨/٩

والله إنك لن تخرج من دارك تطلب أمر أعظم من رضوان الله فكلما غلب على ظنك في عمل فيه رضوان الله فلا تترد في السعي إليه عاجلا أم آجلا (وعجلت إليك ربي لترضى) .

قال الله له (فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري)

السامري من مبهمات القرآن كعلم ولم يذكر إلا في سورة "طه" وشخصيته جاءت في القرآن من حيث الجملة شخصية مبهمة سواء في أول أمرها أو في خاتمة مطافها ولا أظن أن ما بقي من الوقت يعين على أن أتكلم عنها سأرجأ الحديث عنه في اللقاء القادم لكني أقول مستدركا بعض ما بقي من الوقت : أن الله جل وعلا قال

(فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري)." (١)

"والتبتل و الانقطاع إلى الله جل ذكره من أعظم أسباب التوفيق بل أنه من أجل مقامات الصديقين وأعظم منازل السائرين في دروب إياك نعبد وإياك نستعين فإن الله تبارك وتعالى جعل من الانقطاع إليه سنه ماضيه في الأخيار من خلقه والأفذاذ من عباده والأتقياء من الصالحين قال الله لخير الخلق ﴿ واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا ﴾ وهذا الانقطاع إلى الله جل وعلا كما بينا منزلة عظيمه ذكرها الله جل وعلا في سورة الزمر في مواطن متفرقة فذكرها تارة بالتصريح وذكرها تارة بالتضمين فقال جل وعلا بالتصريح ﴿ ألا لله الدين الخالص ﴾ وقال ﴿ قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين ﴾ وقال جل ذكره ﴿ ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون﴾ فهذه الآيات وما أشبهها ومثيلاتها في هذه الصورة دعوة للمؤمن إلى أن ينقطع لربه والانقطاع إلى الله معناه إن الإنسان لا تقر عينه بشيء أعظم مما تقر عينه بالله وما يكون من الله كل شيء كان مقربا إلى الله قرة عينك به هذا إحدى معاني الانقطاع إلى الرب جل وعلا وهذا ينجم عنه صدق التوكل على الله جل وعلا وسيأتي بيانه تفصيلا في قوله جل وعلا ﴿ والذي جاء بالصدق وصدق به ﴾ والآيات في هذا الشأن كثيرة لكنها تنصب على محور واحد وهو أنه لا أحد غير الله يملك ضرا ولا نفعا وما دام لا أحد غير الله يملك ضرا ولا نفعا فلا يجب على القلب المؤمن أن ينقطع إلى غير الرب تبارك وتعالى." (٢)

"والأمر الثاني أن تحاول أن تنسى هذا العمل فقد يتلبس الإنسان بمعصية لا يستطيع الإنفكاك عنها من قريب وثمة طرائق أخرى لإقصائها وهو أن يكثر من العمل الصالح وأن يأتي بأعمال صالحة ترقق القلب قال الله (إن الحسنات يذهبن السيئات) وأن يحرص على بر الوالدة على وجه الخصوص فهي من أسباب التوفيق هذا وجود انكسار في القلب هذا كله بإذن الله يعينك ولو بعد حين على التخلص من تلك المعصية نسأل الله أن يهدينا وإياك سواء السبيل وأن يثبتنا عليه..

يقول أحسن الله إليكم أبتليت بأن تعلقت بشاب مثلي وفقدت بذالك السيطرة على قلبي حتى أني أشغل بالتفكير فيه حتى في الصلاة وحتى في قراءة القرآن فضيلة الشيخ إني أكتب هذه الكلمات وبي من الندم والحسرة على خسارة أعظم لذة

---

(١) ملفات خطب ودروس ومحاضرات / المغامسي، ١٣/ ٨٥

(٢) ملفات خطب ودروس ومحاضرات / المغامسي، ١٥/ ١٤

كنت أحسب أني أجدها لذة الطاعة شيخي هلا دللتني وفقك الله على شيء أتشبث به حتى ينجلي هذا الأمر ؟
إنا لله وإنا إليه راجعون قل إنا لله وإنا إليه راجعون
لا توجد مصيبة أعظم من أن يتعلق قلب العبد بغير الله على هذا من ابتلي بشيء من هذا فليقل بقلب صادق إنا لله وإنا إليه راجعون لأن الله يقول (والذين إذا أصابته مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمه) وقل اللهم أجرني في مصبتي وعوضني خيرا منها والله إن فقد الأولاد والأموال والزوجة والوالدين لا يعدل فقد الإنسان قلبه في أن يتعلق قلبه بغير الرب تبارك وتعالى لكن لا نريد أن نقرعك ونكثر عليك اللوم فثمة طرائق قد لا يحسن نشرها على الملأ فلو استطعت أن تتصل بنا هاتفيا أو بغيرنا ممن تظن به الفضل يرشدوك إلى طرائق لأن هذه قضية عين قضية فرديه وقد يكون فيك مكامن قوة في الصلاح والإيمان لو استغلت جيدا يعينك الله بها على أن لا يتعلق قلبك بغير الله جل وعلا .." (١)

"والأمر الثاني أن تحاول أن تنسى هذا العمل فقد يتلبس الإنسان بمعصية لا يستطيع الإنفكاك عنها من قريب وثمة طرائق أخرى لإقصائها وهو أن يكثر من العمل الصالح وأن يأتي بأعمال صالحة ترقق القلب قال الله (إن الحسنات يذهبن السيئات) وأن يحرص على بر الوالدة على وجه الخصوص فهي من أسباب التوفيق هذا وجود انكسار في القلب هذا كله بإذن الله يعينك ولو بعد حين على التخلص من تلك المعصية نسأل الله أن يهدينا وإياك سواء السبيل وأن يثبتنا عليه..
يقول أحسن الله إليكم أبتليت بأن تعلقت بشاب مثلي وفقدت بذالك السيطرة على قلبي حتى أني أشغل بالتفكير فيه حتى في الصلاة وحتى في قراءة القرآن فضيلة الشيخ إني أكتب هذه الكلمات وبي من الندم والحسرة على خسارة أعظم لذة كنت أحسب أني أجدها لذة الطاعة شيخي هلا دللتني وفقك الله على شيء أتشبث به حتى ينجلي هذا الأمر ؟
إنا لله وإنا إليه راجعون قل إنا لله وإنا إليه راجعون
لا توجد مصيبة أعظم من أن يتعلق قلب العبد بغير الله على هذا من ابتلي بشيء من هذا فليقل بقلب صادق إنا لله وإنا إليه راجعون لأن الله يقول (والذين إذا أصابته مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمه) وقل اللهم أجرني في مصبتي وعوضني خيرا منها والله إن فقد الأولاد والأموال والزوجة والوالدين لا يعدل فقد الإنسان قلبه في أن يتعلق قلبه بغير الرب تبارك وتعالى لكن لا نريد أن نقرعك ونكثر عليك اللوم فثمة طرائق قد لا يحسن نشرها على الملأ فلو استطعت أن تتصل بنا هاتفيا أو بغيرنا ممن تظن به الفضل يرشدوك إلى طرائق لأن هذه قضية عين قضية فرديه وقد يكون فيك مكامن قوة في الصلاح والإيمان لو استغلت جيدا يعينك الله بها على أن لا يتعلق قلبك بغير الله جل وعلا .
نعم." (٢)

---

(١) ملفات خطب ودروس ومحاضرات / المغامسي، ٢٠/٢

(٢) ملفات خطب ودروس ومحاضرات / المغامسي، ٢٠/٤١

"قارون: ﴿قال إنما أوتيته على علم عندي أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون (٧٨)﴾ [القصص: ٧٨].

والواجب أن يقول كما قال سليمان – صلى الله عليه وسلم – لما أوتي الملك: ﴿قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم (٤٠)﴾ [النمل: ٤٠].

والمؤمن يرى كل نعمة من ربه هو المالك لها، وهو المتفضل بها، من بها على عبده من غير استحقاق منه، بل هي صدقة تصدق بها على عبده، وله أن لا يتصدق بها، وله أن يسلبها.

فلو منعه إياها لم يكن قد منعه شيئا هو له يستحقه عليه، فإذا لم يشهد ذلك رأى فيه أنه أهلا ومستحقا، فأعجبته نفسه وطغت بالنعمة، وعلت بها واستطالت على غيرها، فكان حظها منها الفرح والفخر كما قال سبحانه: ﴿ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليئوس كفور (٩) ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني إنه لفرح فخور (١٠)﴾ [هود: ٩، ١٠].

وإذا علم الله هذا من قلب عبد.

يأس وكفر عند الضراء .. وفرح وفخر عند النعماء .. وكلاهما فتنة وبلاء .. وذلك من أعظم أسباب خذلانه وتخليه عنه.

فإن محله غير قابل لها، ولا تناسبه النعمة المطلقة التامة كما قال سبحانه: ﴿إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون (٢٢) ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون (٢٣)﴾ [الأنفال: ٢٢ – ٢٣].

فأسباب الخذلان من النفس وفيها .. وأسباب التوفيق من جعل الله سبحانه لها قابلة للنعمة.

فأسباب التوفيق منه ومن فضله، وهو الخالق لهذه وهذه، كما خلق سبحانه أجزاء الأرض، هذه قابلة للنبات، وهذه غير قابلة، وخلق الشجر، هذه قابلة للثمرة، وهذه لا تقبلها.." (١)

"يتركهم سدى، لا يرسل إليهم رسولا، ولا ينزل عليهم كتابا، ولا يعجز سبحانه مع ذلك أن يخلقهم بعد ما أماتهم خلقا جديدا، ويبعثهم إلى دار يوفيهم فيها أعمالهم من خير أو شر.

فكيف يطمع هؤلاء الكفار في دخول الجنة وهم يكذبون الله، ويكذبون رسله، ويعدلون به خلقه، وهم يعلمون من أي شيء خلقهم؟.

وسبب الخذلان لهم عدم صلاحية المحل وأهليته، وعدم قبوله للنعمة، بحيث لو وافته النعم لقال هذا لي، وإنما أوتيته لأني أهله ومستحقه، كما قال سبحانه عن قارون حين: ﴿قال إنما أوتيته على علم عندي أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون (٧٨)﴾ [القصص: ٧٨].

وسليمان – صلى الله عليه وسلم – رأى ما أوتيه من الملك من فضل الله عليه ومنته كما قال سبحانه: ﴿قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم (٤٠)﴾ [النمل: ٤٠].

أما قارون فرأى ذلك من نفسه واستحقاقه وأنه أهله وحقيق به، وإذا علم الله هذا من قلب العبد فذلك من أعظم أسباب

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ١٢١٥/٢

خذلانه وتخليه عنه، فإن محله لا تناسبه النعمة المطلقة التامة.

فأسباب الخذلان من النفس .. وأسباب التوفيق من جعل الله لها قابلة للنعمة، فأسباب التوفيق منه ومن فضله .. وهو الخالق لهذه وهذه .. كما خلق أجزاء الأرض هذه قابلة للنبات .. وهذه غير قابلة له .. وخلق الشجر هذه تقبل الثمرة .. وهذه لا تقبلها.

وخلق الأرواح الطيبة قابلة لذكره وشكره، وإجلاله وتعظيمه، وتوحيده ونصح عباده .. وخلق الأرواح الخبيثة غير قابلة لذلك، بل لضده، وهو الحكيم العليم.

والإنسان لا يصل إلى أسمى الغايات وأكمل النهايات إلا على جسر من الابتلاء والامتحان، وهذا الجسر لكماله يشبه الجسر الذي لا سبيل إلى دخول الجنة إلا." (١)

"تفسير قوله تعالى: (وما أعجلك عن قومك يا موسى وعجلت إليك رب لترضى)

قال الله جل وعلا بعد ذلك لموسى وهو في جبل الطور: ﴿وما أعجلك عن قومك يا موسى﴾ [طه:٨٣]، هذا يفهم منه أن موسى استبق قومه إلى جبل الطور ليتحقق الوعد المكاني والزماني، فقد ضرب الله له ميقاتا زمانيا ومكانيا، الميقات الزماني أربعون يوما، والميقات المكاني جبل الطور، فسبق موسى قومه، وجعل أخاه هارون يخلفه فيهم، فسأله ربه: ﴿وما أعجلك عن قومك يا موسى﴾ [طه:٨٣]، و (ما) هذه استفهامية ﴿قال هم أولاء على أثري﴾ [طه:٨٤]، قال بعض العلماء: إن هذا الجواب غير مطابق للسؤال، فقد كان ينبغي أن يقول: أعجلني كذا وكذا، ولا يقول: إن قومي قريبو عهد بي ومكان، لكن قالوا: لماذا احتار موسى في الجواب؟ قالوا: لأنه هاب معاتبة الله جل وعلا له، فلم يجد جوابا يخاطب به ربه، والمقصود أن معاتبة الله جل وعلا لموسى وسؤاله إياه أوقع في موسى الرهبة والخوف، فكان جوابه غير مطابق للسؤال، وإذا صح هذا التأويل الذي اختاره بعض أهل العلم فحري بنا أن نقول: إذا كان هذا النبي الكريم الذي لم يقترف ذنبا أصابه ما أصابه من الذهول لما عاتبه ربه، فكيف بمن يلقى الله جل وعلا وقد عصاه، وتجاوز حدوده، وانتهك حرماته!! نسأل الله السلامة والعافية.

﴿قال هم أولاء على أثري﴾ [طه:٨٤]، أي: غير بعيد عني ﴿وعجلت إليك رب لترضى﴾ [طه:٨٤]، هذه تصلح جوابا، وقد قال العلماء بناء على هذه الآية: إن العجلة مذمومة إلا إذا كانت مسارعة في الخيرات، وقوله: ﴿وعجلت إليك رب لترضى﴾ [طه:٨٤]، فيه أن طلب رضوان الله جل وعلا من أعظم المقاصد وأجل المطالب، ولا توجد عطية أصلا بعد رضوان الله، قال الرب تبارك وتعالى: ﴿ورضوان من الله أكبر﴾ [التوبة:٧٢]، وكلما كانت بغية المرء أن ينال رضوان الله جل وعلا كان من أعظم الساعين في أسباب التوفيق، فوالله إنك لن تخرج من دارك تطلب أمرا أعظم من رضوان الله.

فكلما غلب على ظنك في عمل أن فيه رضوان الله فلا تتردد في السعي إليه عاجلا أم أجلا.." (٢)

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٣/٢٤٤٦

(٢) سلسلة محاسن التأويل - المغامسي، صالح المغامسي ٩/٥٤

"الله هو الولي

قوله تعالى: ﴿ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا﴾ [الكهف:١٧]، الولي المرشد هو الله سبحانه وتعالى، الذي يتولى العبد ويتولى شأنه بالإصلاح، والذي يرشده إلى الهداية وإلى أسباب التوفيق والخير في دنياه وأخراه، فمن أضله الله فلن تجد له وليا مرشدا.

كثير من الصوفية يحتجون بهذه الآية في غير موضعها، ويقولون: لابد من وجود الولي المرشد في الطريق إلى الله، وهو استدلال على عادتهم بالآيات في غير معانيها ومواضعها، فيقولون: لابد أن يكون لكل واحد ولي من أولياء الله يرشده، ومن ليس له شيخ فشيخه شيطان، ويكون ضالا، مع أن الآية إنما هي في الله سبحانه وتعالى، ﴿ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا﴾ [الكهف:١٧]، فالمؤمنون الذين هداهم الله لهم ولي مرشد، من هو الولي المرشد؟ هو الله، قال سبحانه: ﴿من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا﴾ [الكهف:١٧]، واستدلالهم بالآية في غير موضعه، وإن كان لا شك أن الإنسان يحتاج إلى معلم ومرشد، ولكن هذه الآية لا يستدل بها على ذلك؛ لأن إرشاد الرب سبحانه وتعالى وهدايته أعظم الهداية، وولايته لعبده المؤمن حفظا وعناية ورعاية وتأييدا وتوفيقا أعظم ولاية، ولذلك هو يتولى المؤمنين، ويتولى الصالحين، فهو ولي يتولى أمره، ومرشد يرشده، فهذا الذي يفعله الله بعباده المؤمنين لا نظير له فيما يفعله الناس.." (١)

"صحبة أولي الهمم العالية سبب من أسباب الارتقاء بالهمة

من أسباب الارتقاء بالهمة: صحبة أولي الهمم العالية ومطالعة أخبارهم، فهذا سبب آخر مرتبط بالسبب الماضي، وإن كان السبب الماضي عاما، فمن انتقل إلى بيئة أخرى فعليه بعد ذلك أن يبحث عن أناس أولي همة عالية ويصحبهم؛ كي يتأثر بهم، فالطيور على أشكالها تقع، فالغراب يطير مع الغربان، والحمام مع الحمام، والنسور مع النسور، وكل شكل من أشكال الطيور مع شكله، وكذلك الأسماك وكذلك غيرها من الكائنات، وكذلك بنو آدم، فالطيور على أشكالها تقع، وكل قرين بالمقارن يقتدي.

والعبد يستمد من لحظ الصالحين قبل لفظهم، فإذا عشت مع الصالحين فإنك تستفيد باللحظ وبالنظر أكثر ما تستفيد بالكلام؛ لأن رؤيتهم تذكر بالله عز وجل، فعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن من الناس ناسا مفاتيح للخير مغاليق للشر) فمجرد رؤيتهم تفتح أبواب الخير، وتغلق أبواب الشر.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ [يونس:٦٢] قال: (هم الذين يذكر الله لرؤيتهم) هذه هي علامة أولياء الله، فإنهم مباركون حيثما كانوا، وإذا رآهم الناس تذكروا الله سبحانه وتعالى، والإنسان فعلا يشعر بهذا، فأحيانا يمضي مثلا في الطريق، ويكون غافلا عن ذكر الله، فإذا رأى رجلا تتحرك شفتاه بذكر الله، سرعان ما ينتبه الإنسان إليه ويقتدي به في هذا، ومثلا: تركب أحيانا في مواصلات فتجد رجلا منزويا في جانب ويمسك المصحف الشريف ويقرأ من القرآن، المصلحون في كل مكان يذكرون الناس بلحظهم

(١) القصص القرآني - ياسر برهامي، ياسر برهامي ١٠/١٣

قبل أن يذكروهم بلفظهم.

وروي عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود قال: كان الربيع بن خيثمة إذا دخل على ابن مسعود لم يكن له إذن لأحد حتى يفرغ كل واحد من صاحبه، فقال له ابن مسعود: (يا أبا يزيد! لو رآك رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحبك، وما رأيتك إلا ذكرت المخبتين)، فانظر إلى رجل ينبهر به عبد الله بن مسعود ويقول له: لو رآك رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحبك، وما رأيتك إلا ذكرت المخبتين، ولذلك كان ابن مسعود يعامله معاملة خاصة، فكان إذا دخل الربيع بن خيثمة على عبد الله بن مسعود تنقطع المقابلات، ولا يمكن أن يقابل أحدا أبدا إلى أن يفرغ من حاجته مع ابن خيثمة ثم بعد ذلك يقابل الآخرين.

وقالت العرب: لولا الوئام لهلك الأنام، والوئام هنا بالذات في هذه العبارة معناه: التشبه بالكرام.

قال الماوردي في معنى هذه الكلمة: لولا الناس يرى بعضهم بعضا فيقتدى بهم في الخير وينتهى بهم عن الشر لهلكوا؛ لأن الانغماس في البيئة الصالحة والبيئة الطيبة يوجد الوئام الذي هو ثمرة هذا الاختلاط، فالناس حينما يحتك بعضهم ببعض يتعلمون من بعض، فيرى الصالحون ويقتدى بهم، وأيضا يجتنب الشر عن طريق هذا الوئام، فلولا الوئام لهلك الأنام.

وقال زين العابدين علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم: إنما يجلس الرجل إلى من ينفعه في دينه.

تحر ألا تجلس إلا إلى من ينفعك في دينك.

أنت في الناس تقاس بالذي اخترت خليلا فاصحب الأخيار تعلو وتنل ذكرا جميلا وعن جعفر قال: كنت إذا وجدت بالقلب قسوة نظرت إلى وجه محمد بن واسع نظرة، وكنت إذا رأيت وجه محمد بن واسع حسبت أن وجهه وجه ثكلى، يعني: من شدة حزنه وخوفه من الآخرة.

وقال ابن المبارك: إذا نظرت إلى فضيل جدد لي الحزن، ومقت نفسي.

هذا والذي يقول هذا هو عبد الله بن المبارك رحمه الله الإمام الجليل المبارك الذي هو من سادات المسلمين رحمه الله تعالى، ومع ذلك يقول في الفضيل بن عياض: إذا نظرت إلى فضيل جدد لي الحزن، ومقت نفسي.

فيمقت نفسه ويكره نفسه، لتقصيرها في طاعة الله عن التشبه بهذا العبد الصالح.

وكان الإمام أحمد إذا بلغه عن شخص صلاحا أو زهدا أو قياما بحق أو اتباعا للأمر سأل عنه، وأحب أن يجري بينه وبينه معرفة، وأحب أن يعرف أحواله.

فكان من خصائص منهج الإمام أحمد في علاقته بالناس أنه إذا سمع عن رجل يأمر بمعروف أو ينهى عن منكر أو مجتهد في العبادة أو العلم أو الزهد أو الصلاح أو غير ذلك من هذه الأمور العالية يسأل ويبحث عنه، ويحرص على أن تجري بينه وبينه معرفة وأخوة، ويتابع أحواله باستمرار، الإمام أحمد كان يطبق قاعدة مهمة جدا وهي قاعدة: التجريب قبل التقريب، يعني: قبل أن تقرب واحدا منك ينبغي أن تجربه أولا وتجرب أخلاقه وتبحث عن صفاته وطباعه؛ لأن الصورة التي تريدها لنفسك هي الصورة التي عليها من تخالله وتتخذه صديقا قريبا، فكان الإمام أحمد رحمه الله تعالى يطبق قاعدة التجريب قبل التقريب، فكان يدقق في اختيار من يقربه منه ويدنيه، وعرف عنه ذلك، حتى قال الشاعر في مدح الإمام أحمد رحمه الله: ويحسن في ذات الإله إذا رأى مضيما لأهل الحق لا يسأم البلا فإخوانه الأدنون كل موفق بصير بأمر الله يسمو إلى العلا

هؤلاء هم إخوانه في الله، فكان الإمام أحمد يحرص على ألا يصادق ولا يؤاخي إلا من تحقق فيه هذا المعنى.
وحكى ابن القيم رحمه الله تعالى بعض ما استفاده من ملاحظة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى فقال: وعلم الله ما رأيت أحدا أطيب عيشا منه قط، مع ما كان فيه من ضيق العيش، وخلاف الرفاهية والنعيم بل ضدها، وما كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشا، وأشرحهم صدرا، وأقواهم قلبا، وأسرهم نفسا، تلوح نضرة النعيم على وجهه.
وابن القيم يتكلم وكأنه يتكلم عن أبناء أو أطفال يفزعون إلى أبيهم في شدة الفزع كي يلوذوا به ويطمئنوا، فـ ابن القيم هو شعاع من نور شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى يتحدث بلسان إخوانه من تلامذة شيخ الإسلام فيقول: وكنا إذا اشتد بنا الخوف، وساءت منا الظنون، وضاقت بنا الأرض أتيناه، فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله وينقلب انشراحا وقوة ويقينا وطمأنينة.
وإذا أردت أن تلمس أثر الصحبة العالية الهمة في التسابق إلى الخيرات فتأمل ما قاله محمد بن علي السلمي رحمه الله – تأملوا وابكوا على أحوالكم– حيث يقول: قمت ليلة سحرا لآخذ النوبة على ابن الأخرم.
يعني: من أجل أن يذهب يحجز مكانا في المسجد الذي فيه حلقة ابن الأخرم، وكأنه يقول: أنا سأكون أول واحد يحضر، وبالتالي أكون في المقدمة، وأبادر للأخذ على الشيخ، فاستيقظ في السحر، وخرج من بيته وذهب ليحجز مكانا في الحلقة، قال: فوجدت أنه قد سبقني ثلاثون قارئا، أي: ثلاثون من إخوانه، وهذا معناه: أنهم استيقظوا وأتوا قبل ذلك بفترة، قال: فوجدت أنه قد سبقني ثلاثون قارئا، ولم تدركني النوبة إلى العصر.
وقال علي بن الحسين بن شقيق: قمت لأخرج مع ابن المبارك في ليلة باردة من المسجد، فذاكرني عند الباب بحديث أو ذاكرته فما زلنا نتذاكر حتى جاء المؤذن للصبح.
أي: لم يشعروا بالوقت، فظلوا يتذاكرون طوال الليل وهم قيام، وفي ليلة باردة إلى أن جاء المؤذن يؤذن لصلاة الصبح.
وهذا الشاعر محمد إقبال يدعو الله أن يمن عليه بصاحب عالي الهمة فيقول: هب نجيا يا ولي النعمة محرما يدرك ما في فطرتي هب نجيا لقنا ذا جنة ليس في الدنيا له من صلة وقال أمير المؤمنين عمر رضي الله تعالى عنه: (ما أعطي عبد بعد الإسلام خيرا من أخ صالح، فإذا رأى أحدكم ودا من أخيه فليتمسك به).
وقال الحسن البصري: إخواننا أحب إلينا من أهلنا وأولادنا؛ لأن أهلنا يذكروننا بالدنيا، وإخواننا يذكروننا بالآخرة.
ويقول الدكتور خلدون الأحدب حفظه الله: وإذا ما نظرنا إلى أولئك الذين استفادوا من لحظات أعمارهم، وكان من نتاجهم وأثرهم ما يعجب أو يدهش نجدهم لا يصاحبون إلا المجدين العاملين، والنابغين الأذكياء الذين يحرصون على أوقاتهم حرصهم على حياتهم؛ لأن الزمن هو الحياة.
ونحن المسلمون نقول: الذهب هو الحياة، ولا نقول: الوقت من ذهب؛ لأن هذه الكلمة هي كلمة الغربيين؛ لأن الذهب عندهم هو أعظم حاجة يضرب بها المثل في النفاسة، فالوقت عندهم من ذهب، أما المسلمون فيقولون: الذهب هو الحياة نفسها التي هي أغلى بكثير من الذهب.
يقول: وصحبة هؤلاء الأمجاد المجدين المتيقظين للدقائق والثواني كان له عظيم الأثر في همة مثل الإمام: ابن جرير الطبري

وابن عقيل الحنبلي وابن عساكر الدمشقي وابن تيمية وابن القيم وابن النفيس والمزي والذهبي وابن حجر وأضرابهم في غزارة إنتاجهم وجدته.

يقول الإمام ابن عقيل الحنبلي صاحب كتاب (الفنون): وعصمني الله من عنفوان الشبيبة بأنواع من العصمة، وقصر محبتي على العلم وأهله فما خالطت لعابا قط، ولا عاشرت إلا أمثالي من طلبة العلم.

يعني: أن أحد أسباب توفيقه هو أنه قصر صحبته على كبيري الهمة.

فالحريص الموفق الذي يروم المعالي لا تراه إلا مع أهل العلم العاملين، وأولي الفضل والمجاهدة والحكمة والبصيرة، ليرشح عليه ما هم فيه أو بعضه، فيكون مثلهم أو قريبا منهم، إن صحبة هؤلاء تعلم منافسة الزمان، وصحبة البطالين تعلم تضييع الزمان.

وصحبة البطالين الآن ليس فقط عن طريق اتخاذ أصدقاء بطالين لاهين غافلين، إنما هناك نوع." [1]

"٨ – يُستحبّ له أن يجتهد في اختيار الرفيق الصالح، ويحرص أن يكون من طلبة العلم الشرعي؛ فإنَّ هذا من أسباب توفيقه، وعدم وقوعه في الأخطاء في حجه وعمرته، كما قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: ((الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل)) (١)، وقال – صلى الله عليه وسلم –: ((لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي)) (٢)، وقد مثل النبي – صلى الله عليه وسلم – الجليس الصالح بحامل المسك، والجليس السوء بنافخ الكير (٣).

٩ – يُستحبّ له أن يُودِّع أهله، وأقاربه، وأهل العلم: من جيرانه، وأصحابه، قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: ((من أراد سفراً فليقل لمن يخلِّف: أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه)) (٤)، وكان النبي – صلى الله عليه وسلم – يودع أصحابه إذا أراد أحدهم سفرًا فيقول: ((أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك)) (٥)، وكان – صلى الله عليه وسلم – يقول لمن طلب منه أن يوصيه من المسافرين: ((زودك الله التقوى، وغفر ذنبك، ويسَّر لك الخير حيثما كنت)) (٦). وجاء رجل إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – يريد سفراً فقال: يا رسول الله أوصني، قال: ((أوصيك بتقوى الله، والتكبير على كل شرف))، فلما مضى قال: ((اللهمّ ازوِ له الأرض،

---

(١) أبو داود، برقم ٤٨٣٣، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ٣/ ١٨٨.

(٢) أبو داود، برقم ٤٨٣٢، والترمذي، برقم ٢٣٩٥، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ٤٨٣٢، وصحيح الترمذي، برقم ٢٥١٩.

(٣) متفق عليه: البخاري، برقم ٥٥٣٤، ومسلم، برقم ٢٦٢٨.

(٤) أحمد، ٢/ ٤٠٣، ابن ماجه، برقم ٢٨٢٥، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ١٦، ٢٥٤٧، وصحيح سنن ابن ماجه، ٢/ ١٣٣.

---

(١) سلسلة علو الهمة – المقدم، محمد إسماعيل المقدم ١١/١٧

(٥) أبو داود، برقم ٢٦٠٠،والترمذي، برقم ٣٤٤٢،وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ٣/ ١٥٥.

(٦) الترمذي، برقم ٣٤٤٤، وقال الألباني في صحيح سنن الترمذي، ٣/ ٤١٩: ((حسن صحيح)).." [١]

"مظهريّاً، فالأخلاق شيء يتصل بباطن الإنسان، ولابد لنا من مظهر يدلّنا على هذه الصفة النفسية، وهذا المظهر هو السلوك، فالسلوك هو المظهر الخارجي للخلق، فنحن نستدل من السلوك المستمر لشخص ما على خلقه، فالسلوك دليل الخلق، ورمز له، وعنوانه، فإذاكان السلوك حسناً دل على خلق حسن، وإن كان سيئاً دل على خلق قبيح، كما أن الشجرة تعرف بالثمر، فكذلك الخُلق الطيّب يعرف بالأعمال الطيبة (١).

والحكمة تتفرّع إلى فروع، وأحد هذه الفروع هو السلوك الحكيم، والتزام فضائل الأخلاق، واجتناب رذائلها ظاهراً وباطناً هو السلوك الأخلاقي الحكيم (٢).

والداعية إذا التزم السلوك الأخلاقي الحكيم كان ذلك من أعظم طرق اكتساب الحكمة، ومن أسباب توفيق الله له في دعوته، وفي أموره كلها، واستقامته، وحسن سيرته، وأدعى لقبول دعوته، وإصلاح الأخلاق، ومحاربة المنكرات، إذ لا يجد في الناس من يغمزه في سلوكه الشخصي، سواء كان ذلك من قبل قيامه بالدعوة أو بعده، وكثيراً ما سمعنا أن أناساً قاموا بدعوة الإصلاح، وخاصة إصلاح الأخلاق، وكان من أكبر العوامل في إعراض الناس عنهم، وعن دعوتهم ما يذكرونه لهم من ماضٍ ملوّث، وخلق غير مستقيم، بل إن هذا الماضي السيىء مدعاة للشك في صدق مثل هؤلاء الدعاة، بحيث يُتَّهمون بالتستر وراء دعوة الإصلاح؛ لأغراض

---

(١) انظر: مقدمة في علم الأخلاق، ص٤٣.

(٢) انظر: الأخلاق الإسلامية وأسسها للميداني، ١/ ١٣.." [٢]

"فمن وفَّقه الله لحُسنِ الخاتمةِ فقد سعِد سعادةً لا يَشقَى بَعدَها أبدًا، ولاَ كَربَ عليه بعد ذلكَ التّوفيقِ، ومَن خُتِمَ لَه بسوءِ خاتمةٍ فقَد خسِرَ في دنياه وأُخرَاه.

وَالصّالحونَ تَعظُم عِنايَتُهم بالأعمَالِ الصالحةِ السّوابِقِ للخَاتمَة، كمَا أنّهم يجتَهِدُونَ في طَلَبِ التَّوفِيقِ للخَاتمةِ الحَسَنَةِ، فيُحسِنون الأعمالَ، ويحسِنونَ الرَّجاءَ والظنَّ بالله تَعالى، ويُسيئُون الظنَّ بأنفسِهِم، كمَا قَالَ تَعَالى: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ [البقرة: ٢١٨].

وَمَن صَدَقَ اللهَ في نِيّتِه وعَمِل بِسُنّةِ رَسولِ اللهِ واتَّبعَ هَديَ أَصحَابِه فقَد جَرَت سُنّةُ الله تَعالى أَن يختِمَ له بخَيرٍ، وأَن يجعَلَ اللهُ عواقبَ أمورِهِ إلى خَيرٍ، قَالَ تَعَالى: إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً [الكهف: ٣٠]، وقال تَعالى: وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلاَ يَخَافُ ظُلْمًا وَلاَ هَضْمًا [طه: ١١٢]، وَقَالَ تَعَالى: وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ [البقرة: ١٤٣].

وَأَسبَابُ التَّوفِيقِ إلى حُسنِ الخاتمةِ النِّيةُ الصَّالحةُ والإخلاَصُ لله تعالى؛ لأنَّ النيةَ الصَّالحةَ والإخلاصَ شُرطُ الأعمالِ المقبولةِ

---

(١) العمرة والحج والزيارة في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ص/٢٢

(٢) الخلق الحسن في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ص/٧٩

عندَ الله عز وجلّ. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (١١٠) سورة الكهف.

ولحسن الخاتمة علامات، كل واحدة منها كافية بإذن الله في الاستبشار بحسن الخاتمة من غير جزم بذلك (١):

١ - النطق بالشهادة عند الموت، فعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -: مَنْ كَانَ آخِرُ كَلامِهِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ " رواه الحاكم (٢).

(١) - انظر موسوعة خطب المنبر - الإصدار الثاني - (١/ ٤١٤٦) -حسن الخاتمة والتحذير من سوئها الرقاق والأخلاق والآداب

(٢) - المستدرك للحاكم (١٢٩٩) صحيح

وَقَالَ الْحَافِظ فِي الْفَتْح: وَالْمُرَاد بِقَوْلِ لَا إِلَه إِلَّا اللَّه فِي هَذَا الْحَدِيث وَغَيْره كَلِمَتَا الشَّهَادَة، فَلَا يَرِد إِشْكَال تَرْك ذِكْر الرِّسَالَة. قَالَ الزَّيْن بْن الْمُنِير: قَوْل لَا إِلَه إِلَّا اللَّه لَقَب جَرَى عَلَى النُّطْق بِالشَّهَادَتَيْنِ شَرْعًا اِنْتَهَى. عون المعبود - (٧/ ١٠٠)." (١)

"وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ [آل عمران: ١٩٣]، وَقَالَ تَعَالى عَنِ التَّائِبِينَ: رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ [الأعراف: ١٢٦]، عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ «إِنَّ قُلُوبَ بَنِى آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ». ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ». رواه مسلم (١)

ومِن أسبابِ الخَاتِمةِ الحَسَنةِ المحَافظَةُ عَلَى الصَّلَواتِ جمَاعةً، فعَنْ أَبِى بَكْرِ بْنِ أَبِى مُوسَى عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ «مَنْ صَلَّى الْبَرْدَيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ» (٢). والبردَان الفجرُ والعَصر، وصلاةُ المرءِ لهما دَليلٌ على أنه يحافَظ علَى غَيرهما مِن بابِ أولى.

وَمِن أَسبابِ التَّوفِيقِ لحُسنِ الخَاتمةِ الإيمَانُ والإصلاحُ، قال الله تَعَالى: فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُون [الأنعام: ٤٨].

وَمِن أَسبَابِ توفيق الله لحسنِ الخاتمة تقوَى الله في السّرِّ والعَلَن بامتِثالِ أَمرِه واجتِناب نهيه والدَّوامِ عَلَى ذلك، قَالَ اللهُ عز وجلّ: تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًا فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ [القصص: ٨٣].

ومِن أَسبَابِ التَّوفِيقِ لحُسنِ الخَاتمةِ اجتِنَابُ الكبائِرِ وعَظائِمِ الذّنوبِ، قال عز وجلّ: إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا [النساء: ٣١].

ومِن أَسبَابِ التّوفِيقِ لحسنِ الخاتمَة لُزومُ هَديِ النَّبِيّ - صلى الله عليه وسلم - وَاتِّبَاعُ طَرِيقِ المهَاجِرينَ والأنصَارِ والتّابعينَ لهُم رَضي الله عنهم بإحسانٍ، قال اللهُ تَعَالى: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا [الأحزاب: ٢١]، وَقَالَ تَعَالى: وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ

(١) الاستعداد للموت، علي بن نايف الشحود ص/٢٠٣

عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ [التوبة: ١٠٠].

ومِن أَسبَابِ التَّوفِيقِ لحسنِ الخَاتمَةِ البُعدُ عَن ظُلمِ النَّاسِ وعَدَمُ البَغيِ والعُدوانِ عليهم في نفسٍ أو مالٍ أو عِرضٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو – رضى الله عنهما – عَنِ النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم –

(١) – صحيح مسلم– المكنز – (٦٩٢١)

(٢) – صحيح البخارى– المكنز – (٥٧٤) وصحيح مسلم– المكنز – (١٤٧٠) – البردان: الفجر والعصر." [1]

"قَالَ «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ» (١).

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ – رضى الله عنهما – قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ «إِنَّكَ سَتَأْتِى قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِى كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ». رواه البخاريّ (٢)

وعَنْ أَبِي بَكْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – قَالَ: " مَا مِنْ ذَنْبٍ هُوَ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللَّهُ تَعَالَى عُقُوبَتَهُ لِصَاحِبِهِ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْبَغْيِ، وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ ". (٣)

وعَنْ أَبِي بَكْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم –: " مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللَّهُ تَعَالَى لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِثْلُ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ " (٤)

ومِن أَسبَابِ التَّوفِيقِ لحسنِ الخَاتمةِ الإحسانُ إلى الخلقِ، قال الله تَعَالى: الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ [البقرة: ٢٧٤].

(١) – صحيح البخارى– المكنز – (١٠)

(٢) – صحيح البخارى– المكنز – (١٤٩٦) – الكرائم: جمع كريمة وهى خيار المال وأفضله

(٣) – مُشْكِلُ الْآثَارِ لِلطَّحَاوِيِّ (٥٢٣٧) صحيح

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: فَقَالَ قَائِلٌ: أَفَتَكُونُ الْعُقُوبَةُ عَلَى الْبَغْيِ، وَالْعُقُوبَةُ عَلَى قَطِيعَةِ الرَّحِمِ أَسْرَعُ مِنَ الْعُقُوبَةِ عَلَى الْكُفْرِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِمَنْ كَفَرَ بِهِ؟ فَكَانَ جَوَابُنَا لَهُ فِي ذَلِكَ: أَنَّ مَا فِي هَذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ اللَّذَيْنِ ذَكَرْنَاهُمَا فِي هَذَا الْبَابِ لَمْ يُرَدْ بِهِ مَا ظَنَّ هَذَا الْقَائِلُ، وَلَيْسَ شَيْءٌ أَشَدُّ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْكُفْرِ، وَلَا عُقُوبَةَ أَشَدُّ مِنَ الْعُقُوبَةِ عَلَيْهِ، إِلَّا أَنْ تُدْرِكَ التَّوْبَةُ مَنْ كَانَ مِنْهُ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا أُرِيدَ بِمَا فِي الْحَدِيثَيْنِ اللَّذَيْنِ ذَكَرْنَاهُمَا فِي هَذَا الْبَابِ عُقُوبَةُ مَنْ كَانَ مِنْهُ الْبَغْيُ، وَقَطِيعَةُ الرَّحِمِ مِنْ أَهْلِ الشَّرِيعَةِ الَّتِي لَمْ يَخْرُجْ مِنْهَا بِذَلِكَ، وَكَانَ مَا تُوُعِّدَ بِهِ مِنْ ذَلِكَ عُقُوبَةً عَلَى بَغْيِهِ، وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ الَّتِي أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِصِلَتِهَا. وَأَمَّا الْعُقُوبَةُ عَلَى

(١) الاستعداد للموت، علي بن نايف الشحود ص/٢١٣

الْكُفْرِ، فَأَغْلَظُ مِنْ ذَلِكَ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.

(٤) - سُنَنُ أَبِي دَاوُدَ (٤٣١٩) صحيح." [١]

"السبب الخامس: العمل بآداب المشي إلى الصلاة من أعظم ما يجلب الخشوع:

إذا عمل المسلم بالآداب المشروعة في المشي إلى الصلاة؛ فإن ذلك يكون من أسباب التوفيق للخشوع في الصلاة، ومن هذه الآداب الآتية:

١ - يتوضأ في بيته ويسبغ الوضوء؛ لحديث عمر - رضي الله عنه - يرفعه: ((مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ أَوْ فَيُسْبِغُ الوُضُوءَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ [وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ]، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، إِلاَّ فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ، يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ)) (١)، زاد الترمذي: ((اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ، وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ)) (٢)، وفي النسائي: ((سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ)) (٣)، ثم يُصلِّي ركعتين بعد الوضوء؛ لحديث عقبة بن عامر، عن النبي - صلى الله عليه وسلم -: ((مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ وُضُوءَه، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ مُقْبِلٌ عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ إِلاَّ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ)) (٤)؛ ولحديث ابن مسعود - رضي الله عنه -: ((ما من رجل يتطهر فيحسن الطهور ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة، ويرفعه بها درجة، ويحط عنه بها سيئة)) (٥).

---

(١) مسلم، كتاب الطهارة، باب الذكر المستحب عقب الوضوء، برقم ٢٣٤.

(٢) الترمذي، كتاب الطهارة، باب فيما يقال بعد الوضوء، برقم ٥٥، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ١/ ١٨.

(٣) النسائي في عمل اليوم والليلة، برقم ٨١، وصحح إسناده الألباني في إرواء الغليل، ١/ ١٣٥، و٢/ ٩٢.

(٤) مسلم، كتاب الطهارة باب الذكر المستحب عقب الوضوء، برقم ٢٣٤.

(٥) مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب صلاة الجماعة من سنن الهدى، برقم ٦٥٤.." [٢]

"* قال - صلى الله عليه وسلم -: ((إذا أكل أحدكم طعاما فليقل اللهم بارك لنا فيه وأبدلنا خيرا منه، وإذا شرب لبنا فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه، فإنه ليس شيء يجزئ من الطعام والشراب إلا اللبن)) صحيح الجامع١/ ٣٨١.

* قال - صلى الله عليه وسلم -: ((إذا شربتم اللبن فتمضمضوا منه فإن له دسما)) صحيح الجامع١/ ٦٢٨.

فهذه إحدى عشرة نية قطفناها من بستان السنة لنحصل على الثواب العظيم في الآخرة والفائدة الكبرى في الدنيا وهي تمتعك بصحة جيدة. فيستحب لكل مسلم أن ينويها.

وصايا نبوية قيمة:

---

(١) الاستعداد للموت، علي بن نايف الشحود ص/٢١٤

(٢) الخشوع في الصلاة في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ص/١٨٩

١ – قال – صلى الله عليه وسلم –: ((عليكم بهذه الحبة السوداء فإن فيها شفاء من كل داء)) صحيح الجامع٢/ ٤٠٨٣.

٢ – قال – صلى الله عليه وسلم –: ((عليكم بألبان البقر فإنها دواء وأسمانها فإنها شفاء وإياكم ولحومها فإن لحومها داء)) صحيح الجامع٢/ ٤٠٦٠.

٣ – قال – صلى الله عليه وسلم –: ((العجوى من الجنة وفيها شفاء من السم والكمأة من المن وماؤها شفاء للعين)) صحيح الجامع٢/ ٤١٢٧.

فلنحاول جميعا أن نتبع هذه الوصايا والآداب العظيمة لنرى أثرها العظيم في تنظيم طعامنا ورعاية صحتنا ونقطف ثمار اتباعنا لها في الدنيا والآخرة.

**

النية في العمل

خلق الله سبحانه الخلق ويسر لهم كل أسباب الرزق وجعل لهم مخرجا من كل ضيق وسهل لهم كل طريق ليسعوا لكسب الأرزاق من كل فج عميق وليشكروه على نعمه التي لا تعد ولا تحصى فهو الميسر لهم كل أسباب التوفيق قال تعالى ﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾ الملك٢٣.

فلقد فتح الله تعالى لعباده بركات من السماء والأرض فذلل لهم الأرض وبسطها وأخرج منها ماءها ومرعاها وأنزل من السماء ماءً فأحيا به الأرض بعد موتها وملأ جوفها بكنوز من الذهب والفضة وأنواع كثيرة من معادنها وسخر لهم البحار وجواهرها وأصدافها وخلق لهم الأنعام لينتفعوا بألبانها ولحومها وأصوافها وأشعارها وبرُكُوبها.

فمن هنا كان لابد من أيدي عاملة لعمارة الأرض ولتزرع الأرض وتحرثها لتخرج منها ثمارها ولتصنع من جلود الأنعام اللباس الذي يقي من البرد ويقينا بأسنا، وأن تبحث عن معادن الأرض وكنوزها وتستخرج منها حلية نلبسها وأدوات لخِدمتنا وصناعات تنفعنا في حياتنا.

فلا يستطيع أي مجتمع أن يعيش بغير عمل إذ أنه المصدر الأول لحياتنا وخدمتنا فمن هنا حث الإسلام على العمل وكسب الرجل من عمل يده وعلى نفع الناس كما قال تعالى ((فامشوا في مناكبها)) أي: سافروا حيث شئتم من أقطار الأرض وترددوا في أقاليمها وأرجائها في أنواع المكاسب والتجارات.

والعمل في منظور الإسلام عبادة ولكن لا ينبغي للجاهل أن يفهم هذه العبادة بمفهوم خاطئ فهي عبادة إذا لم يضيع حقوق الله عز وجل وفرائضه قال تعالى في مدح المؤمنين ﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة﴾ النور٣٧.." (١)

"فطرحت عليه (١).

(١) أوقات مليئة بالحسنات مع النية الصالحة، سمية السيد عثمان ص/١٣

٥ – على الحاج أو المعتمر أن ينتخب المال الحلال لحجه وعمرته؛ لأن الله طيب لا يقبل إلا طيباً؛ ولأن المال الحرام يسبب عدم إجابة الدعاء (٢)، وأيّما لحم نبت من سحت فالنار أولى به (٣).

٦ – يُستحبّ له أن يكتب وصيته، وما له وما عليه؛ لحديث ابن عمر رضي الله عنهما، ويشهد عليها، ويقضي ما عليه من الديون، ويردّ الودائع إلى أهلها، أو يستأذنهم في بقائها.

٧ – يُستحبّ له أن يوصي أهله بتقوى الله تعالى.

٨ – يُستحبّ له أن يجتهد في اختيار الرفيق الصالح، ويحرص أن يكون من طلبة العلم الشرعي؛ فإنَّ هذا من أسباب توفيقه وعدم وقوعه في الأخطاء في حجه وعمرته.

٩ – يُستحبّ له أن يُودِّع أهله، وأقاربه، وأهل العلم: من جيرانه، وأصحابه، قال – صلى الله عليه وسلم –: ((من أراد سفراً فليقل لمن يخلِّف: أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه)) (٤)،وكان النبي – صلى الله عليه وسلم – يودّع أصحابه إذا أراد أحدهم سفراً، فيقول: ((أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك)) (٥)، وكان

---

(١) انظر: سورة النور، الآية: ٣١، والبخاري مع الفتح ١١/ ٣٩٥.

(٢) انظر: صحيح مسلم، برقم ١٠١٥والبخاري مع الفتح، ١١/ ٣٩٥.

(٣) أبو نعيم في الحلية بنحوه،١/ ٣١، وأحمد في الزهد بمعناه، ص١٦٤، وفي المسند،٣/ ٣٢١، والدارمي، ٢/ ٢٢٩، وغيرهم، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ٤/ ١٧٢، وانظر: فتح الباري، ٣/ ١١٣.

(٤) أحمد، ٢/ ٤٠٣، ابن ماجه، برقم ٢٨٢٥، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ١٦، ٢٥٤٧، وصحيح سنن ابن ماجه، ٢/ ١٣٣.

(٥) أبو داود، برقم ٢٦٠٠،والترمذي، برقم ٣٤٤٢،وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ٣/ ١٥٥.." [1]

"ثامناً: يستحب للمسافر أن يجتهد في اختيار الرفيق الصالح، ويحرص أن يكون من طلبة العلم الشرعي؛ فإن هذا من أسباب توفيقه وعدم وقوعه في الأخطاء في سفره وفي حجه وعمرته؛ لقول النبي – صلى الله عليه وسلم – ((الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل)) (١)؛ولقوله – صلى الله عليه وسلم – ((لا تصاحب إلا مؤمنًا ولا يأكل طعامك إلا تقي)) (٢)، وقد مثل النبي – صلى الله عليه وسلم – الجليس الصالح بحامل المسك، والجليس السوء بنافخ الكير (٣).

تاسعاً: يستحب للمسافر أن يودع أهله، وأقاربه، وأهل العلم: من جيرانه، وأصحابه، قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: ((من أراد سفرًا فليقل لمن يخلِّف: أستودعكم اللَّه الذي لا تضيع ودائعه)) (٤)، وكان النبي – صلى الله عليه وسلم – يودع أصحابه

إذا أراد أحدهم سفرًا فيقول: ((أستودع اللَّه دينك وأمانتك وخواتيم عملك)) (٥)، وكان – صلى الله عليه وسلم – يقول

---

(١) مرشد المعتمر والحاج والزائر في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ص/١٦

لمن طلب منه أن يوصيه من المسافرين:

---

(١) أبو داود، كتاب الأدب، باب من يؤمر أن يجالس، برقم ٤٨٣٣، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ٣/ ١٨٨.

(٢) أبو داود، كتاب الأدب، باب من يؤمر أن يجالس، برقم ٤٨٣٢، والترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في صحبة المؤمن، برقم ٢٣٩٥، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ٤٨٣٢، وصحيح الترمذي، برقم ٢٥١٩.

(٣) متفق عليه من حديث أبي موسى – رضي الله عنه –: البخاري، كتاب الذبائح والصيد، باب المسك، برقم ٥٥٣٤، ومسلم، كتاب البر والصلة، باب استحباب مجالسة الصالحين، ومجانبة قرناء السوء، برقم ٢٦٢٨.

(٤) أحمد، ٢/ ٤٠٣، ابن ماجه، الجهاد، باب تشييع الغزاة ووداعهم، برقم ٢٨٢٥، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ١٦، ٢٥٤٧، وصحيح سنن ابن ماجه، ٢/ ١٣٣.

(٥) أبو داود، كتاب الجهاد، باب في الدعاء عند الوداع، برقم ٢٦٠٠، والترمذي، كتاب الدعوات، باب ما جاء فيما يقول إذا ودع إنسانًا، برقم ٣٤٤٢، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ٣/ ١٥٥.." [١]

"يكون من أسباب التوفيق للخشوع في الصلاة (١).

السبب السادس: عدم الالتفات لغير حاجة.

والالتفات نوعان:

النوع الأول: التفات حسي، وعلاجه بالسكون في الصلاة، وعدم الحركة.

النوع الثاني: التفات معنوي بالقلب، وهذا علاجه صعب شاق، إلا على من يسره الله عليه، ولكن من أعظم العلاج استحضار عظمة الله، والوقوف بين يديه، والاستعاذة بالله من الشيطان، والتفل عن اليسار ثلاثا؛ لحديث عثمان بن أبي العاص أنه أتى النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال: يا رسول الله إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها علي، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: ((ذاك شيطان يقال له: خنزب فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه، واتفل عن يسارك ثلاثا)) قال: ففعلت ذلك فأذهبه الله عني.

السبب السابع: عدم رفع البصر إلى السماء.

السبب الثامن: عدم افتراش الذراعين في السجود.

السبب التاسع: عدم التخصر.

السبب العاشر: عدم النظر إلى ما يلهي ويشغل.

---

(١) مناسك الحج والعمرة في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ص/١١٧

السبب الحادي عشر: عدم الصلاة إلى ما يشغل ويلهي.

السبب الثاني عشر: عدم الإقعاء المذموم.

السبب الثالث عشر: عدم عبث المصلي بجوارحه.

السبب الرابع عشر: عدم تشبيك الأصابع، وفرقعتها في الصلاة.

السبب الخامس عشر: عدم الصلاة بحضرة الطعام.

---

(١) انظر هذه الآداب في هذا الكتاب: المبحث الرابع والعشرون: صلاة الجماعة، البند السادس، فقد ذكرت هناك ستة عشر أدبا بأدلتها.." [١]

"وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير﴾ (١)، وقال – صلى الله عليه وسلم –: ((ما حق امرئ مسلم له شيء يريد أن يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده)) (٢). ويشهد عليها، ويقضي ما عليه من الديون، ويرد الودائع إلى أهلها أو يستأذنهم في بقائها.

٧ – يستحب للمسافر أن يوصي أهله بتقوى الله تعالى، وهي وصية الله تعالى للأولين والآخرين: ﴿ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله وإن تكفروا فإن لله ما في السموات وما في الأرض وكان الله غنيا حميدا﴾ (٣).

٨ – يستحب للمسافر أن يجتهد في اختيار الرفيق الصالح، ويحرص أن يكون من طلبة العلم الشرعي؛ فإن هذا من أسباب توفيقه وعدم وقوعه في الأخطاء في سفره وفي حجه وعمرته؛ لقول النبي – صلى الله عليه وسلم – ((الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل)) (٤)؛ولقوله – صلى الله عليه وسلم – ((لا تصاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقي)) (٥)، وقد مثل النبي – صلى الله عليه وسلم – الجليس الصالح بحامل المسك، والجليس السوء بنافخ الكير (٦).

---

(١) سورة لقمان، الآية: ٣٤.

(٢) متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: البخاري، كتاب الوصايا، باب الوصايا، برقم ٢٧٣٨، ومسلم، كتاب الوصية، برقم ١٦٢٧.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٣١.

(٤) أبو داود، كتاب الأدب، باب من يؤمر أن يجالس، برقم ٤٨٣٣، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ٣/ ١٨٨.

(٥) أبو داود، كتاب الأدب، باب من يؤمر أن يجالس، برقم ٤٨٣٢، والترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في صحبة المؤمن، برقم ٢٣٩٥، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ٤٨٣٢، وصحيح الترمذي، برقم ٢٠١٩.

---

(١) صلاة المؤمن، سعيد بن وهف القحطاني ٣٤١/١

(٦) متفق عليه من حديث أبي موسى – رضي الله عنه –: البخاري، كتاب الذبائح والصيد، باب المسك، برقم ٥٥٣٤، ومسلم، كتاب البر والصلة، باب استحباب مجالسة الصالحين، ومجانبة قرناء السوء، برقم ٢٦٢٨.." [١]

"أزواج:

من حاول الأمور احتاج فيها إلى ست: العلم، والتوفيق، والفرصة، والأعوان، والأدب، والاجتهاد.

وهن أزواج:

فالرأي والأدب زوج: لا يكمل الرأي بغير الأدب، ولا يكمل الأدب إلا بالرأي.

والأعوان والفرصة زوج: لا ينفع الأعوان إلا عند الفرصة، ولا تتم الفرصة إلا بحضور الأعوان.

والتوفيق والاجتهاد زوج: فالاجتهاد سبب التوفيق، وبالتوفيق ينجح الاجتهاد.

سلامة العاقل:

يسلم العاقل من عظام الذنوب والعيوب بالقناعة ومحاسبة النفس.

لا تجد العاقل يحدث من يخاف تكذيبه، ولا يسأل من يخاف منعه، ولا يعد بما لا يجد إنجازه، ولا يرجو ما يعنف برجائه، ولا يقدم على من يخاف العجز عنه.

وهو يسخي بنفسه عما يغبط به القوالون١ خروجا من عيب

---

١ يسخي بنفسه: يربأ بها. القوالون: المدعون بما ليس فيهم.." [٢]

"وحقيقة الإخلاص سلامته من وصفين؛ وهما: الرياء والهوى، ليكون خالصا كماوصف الله تعالى الخالص من اللبن، فكان بذلك تمام النعمة علينا، فقال: (من بين فرث ودم لبنا خالصا) النحل: ٦٦، فلو وجد فيه أحد الوصفين من فرث أو دم لم يكن خالصا، ولم تتم النعمة به علينا ولم تقبله نفوسنا، فكذلك معاملتنا لله عز وجل إذا شابها رياء بخلق أو هوى من شهوة نفس، ولم تكن خالصة لم يتم بها الصدق والأدب في المعاملة ولم يقبلها الله تعالى منا فاعتبروا.

وروينا عن سعيد بن أبي بردة عن كتاب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه إلى أبي موسى الأشعري: أنه من خلصت نيته كفاه الله تعالى ما بينه وبين الناس، ومن تزين للناس بما يعلم الله تعالى منه غير ذلك شانه الله تعالى، فما ظنك؟ وكتب سالم بن عبد الله إلى عمر بن عبد العزيز: اعلم يا عمر أن الله تعالى عون للعبد بقدر النية، فمن تمت نيته تم عون الله تعالى إياه، ومن قصرت عنه نيته قصر عنه من عون الله تعالى بقدر ذلك، وقد قال الله تعالى في تصديق ذلك: (إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما) النساء: ٣٥، فجعل سبب التوفيق إرادة الإصلاح؛ فذلك هو أول التوفيق من الموفق المصلح للعامل الصالح، وقال بعض السلف: رأيت الخير إنما يجمعه حسن النية وكفاك به خيرا وإن لم ينصب رب عمل صغير تعظمه النية ورب عمل كبر تصغره النية، وكتب بعض الأدباء إلى أخيه: أخلص النية في أعمالك يكفك القليل من العمل، وقال داود

---

(١) صلاة المؤمن، سعيد بن وهف القحطاني ٢/٧٢٧

(٢) الأدب الصغير والأدب الكبير ابن المقفع ص/٤٧

الطائي: من أكبر همه التقوى لو تعلقت جميع جوارحه بالدنيا لردته نيته يوما إلى نية صالحة، فكذلك الجاهل بالله تعالى وأيامه همه الدنيا والهوى، ولو تعلقت جوارحه بكل أعمال الصالحات لكان مرجوعا إلى إرادة الدنيا وموافقة الهوى، لأن سرها كان همه النفس لعاجل عرض الدنيا، وقال محمد بن الحسين: ينبغي للرجل أن تكون نيته بين يدي عمله، وقال أيوب السجستاني وغيره: تخلص النيات على العمال أشد عليهم من جميع الأعمال، وقال الثوري: كانوا يتعلمون النية للعمل كما يتعلمون العلم، وقال بعض العلماء: طلب النية للعمل قبل العمل وما دمت تنوي الخير فأنت بخير، وقال زيد بن أسلم: خصلتان هما كمال أمرك تصبح ولا تهيم لله تعالى بمعصية وتمسي ولا تهيم لله تعالى بمعصية، وكذلك قال بعض السلف في معناه: إن نعمة الله تعالى أكثر من أن تحصوها وإن ذنوبكم أخفى من أن تعلموها ولكن أصبحوا توابين وأمسوا توابين يغفر لكم ما بين ذلك.

وروينا في الخبر عن بعض المريدين: أنه كان يطوف على العلماء يقول: من يدلني على عمل لا أزال فيه عاملا لله تعالى فإني أحب أن لاتجيء علي ساعة من ليل أو نهار إلا وأنا عامل من عمال الله تعالى، فقيل له: قد وجدت صاحبك اعمل الخير ما استطعت، فإذا أقترت أو تركته فهم بعمله، فإن الهام بعمل الخير كعامله.

وروينا عن عيسى عليه الصلاة والسلام: طوبى لعين نامت ولا تهم بمعصية وانتهت إلى غير إثم.." (١)

"قوله جل ذكره:

[سورة القصص (٢٨) : آية ١٦]

قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم (١٦)

تاب موسى عما جرى على يده، واستغفر ربه، وأخبر الله أنه غفر له، ولا عتاب «١» بعد المغفرة.

قوله جل ذكره:

[سورة القصص (٢٨) : آية ١٧]

قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرا للمجرمين (١٧)

قال موسى رب بما أنعمت علي من توفيقك لى بالتوبة «٢» فلن أعود بعد ذلك إلى مثل ما سلف منى.

قوله جل ذكره:

[سورة القصص (٢٨) : الآيات ١٨ الى ١٩]

فأصبح في المدينة خائفا يترقب فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه قال له موسى إنك لغوي مبين (١٨) فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس إن تريد إلا أن تكون جبارا في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين (١٩)

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ٢٦٨/٢

أصبح في المدينة خائفا على نفسه من فرعون لأنه كان يدعى أنه يحكم بالعدل، وخاف موسى أن ينسبه في قتل القبطي إلى العمد والقصد. فهو «يترقب» علم فرعون وأن يخبر بذلك في وقته.

(١) هكذا في النسختين ولا نستبعد أن تكون (عقاب) بالقاف فالسياق يحتملها أيضا وإن كانت (عتاب) أليق بمقام النبوة.

(٢) حقيقة التوبة أن يتوب الله عليك أولا، ويهيء لك أسباب التوفيق لذلك، فإذا شكرت فاشكر له، فعملك لا يكفى ولا يغنى عن فضل الله.." (١)

"الأنباط أنباطا لعلمهم باستخراج المياه (١)، والقليل مستثنى من المذيعين، وقيل: من معلوم المستنبطين. ﴿فضل الله عليكم ورحمته﴾ الكتاب والرسول، أو بعض أسباب التوفيق مما استغنى عنه الخاصة (٢) دون العامة كانشقاق القمر والفتح فعل هذا القليل مستثنى من المتبعين للشيطان فإن عمرو (٣) بن زيد وزريبا وقسا (٤) آمنوا من غير كتاب ورسول، وأبو بكر وعلي وزيد بن حارثة آمنوا قبل انشقاق القمر، والمهاجرون والأنصار آمنوا قبل الفتح.
﴿فقاتل﴾ الفاء جواب الشرط وهو قوله: ﴿ومن تولى﴾ [النساء: ٨٠] ويحتمل التعقيب، هذا الأمر، الأمر بالتوكل (٥) تقديره: وتوكل على الله فقاتل، أو التعقيب الكلام الكلام والآية الآية ﴿لا تكلف إلا نفسك﴾ يعني التكليف عنه، تقديره: أنك لا تكلف إلا فعل نفسك، حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، أي: لا تأخذ بتكليف غيرك وإن كانوا مكلفين مثلك، وقيل: لا تكلف نفس إلا نفسك، وهذا بعيد لأنه لو كان كذلك لضم نفسك، ثم حملناه على التكليف الضروري دون الشرعي ﴿وحرض المؤمنين﴾ حثهم على القتال ﴿عسى﴾ من الله إيجاب منه لأن التكريم يصدق في التطميع ولأنه تقوية لأحد الموهومين المختلفين على الآخر بالقول، فصار كالأمر باعتقاد أحدهما وذلك لا يكون إلا بالواجب، ﴿بأس﴾ شدة الإصابة والامتناع ﴿تنكيلا﴾ فعل النكال (٦).

= قريب ثراه ما ينال عدوه ... له نبطا، آبي الهوان قطوب
[اللسان "نبط"- الأصمعيات (ص ١٠٣)، البحر (٣/ ٤٠٣)].
(١) قريبا من هذا المعنى عند القرطبي (٥/ ٢٩١)، وابن الجوزي كما في "زاد المسير" (٢/ ١٤٧).
(٢) في الأصل: (للخاصة).
(٣) في "ب": (عمر).
(٤) في الأصل: (وفتيا).
(٥) في "ب": (الأمر بالتوكيل).
(٦) أي أنه مصدر من قولك: نكلت بفلان، فأنا أنكل به تنكيلا إذا أوجعته عقوبة. والمعنى: والله أشد نكاية في عدوه

(١) لطائف الإشارات = تفسير القشيري القشيري، عبد الكريم ٥٨/٣

من أهل الكفر به، منهم فيك يا محمد وفي أصحابك.

[الطبري (٧/ ٢٦٧)].." [(١)]

"وقوله (١): (أمر): أي: نبأ وخبر، (من الأمن): من الأعداء، ﴿أو الخوف:﴾ منهم.

﴿أذاعوا به﴾ (٢): «أفشوه».

(أولو الأمر): أمراء السرايا (٣)، وقيل (٤): أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، وقيل (٥): أولو العلم والبصارة.

﴿يستنبطونه:﴾ يستخرجونه، وإنباط الماء: استخراجه، وسمي الأنباط أنباطا (٦) لعلمهم باستخراج المياه.

و (القليل): مستثنى من المذيعين، وقيل: من معلوم المستنبطين، وقيل: من المستنبطين (٧).

(فضل الله ورحمته): الكتاب والرسول، أو بعض أسباب التوفيق مما استغنى عنه الخاصة دون العامة كانشقاق القمر والفتح، فعلى (٨) هذا (القليل) مستثنى من المتبعين للشيطان، فإن عمرو (٩) بن زيد وزريبا وقسا آمنوا من غير كتاب ورسول، وأبو بكر وعلي وزيد بن حارثة آمنوا قبل انشقاق القمر، والمهاجرون والأنصار آمنوا قبل الفتح.

٨٤ - ﴿فقتل:﴾ الفاء جواب الشرط وهو قوله: ﴿ومن تولى﴾ [النساء:٨٠]، ويحتمل لتعقيب هذا الأمر (١٠) بالتوكل تقديره: وتوكل على الله فقاتل، أو لتعقيب الكلام الكلام والآية الآية (١١).

﴿لا تكلف إلا نفسك:﴾ يعني التكليف عنه، تقديره: إنك لا تكلف إلا فعل نفسك (١٢)، حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، أي: لا تؤخذ (١٣) بتخلف غيرك وإن كانوا مكلفين مثلك. وقيل: لا تكلف نفس إلا نفسك (١٤)، وهذا بعيد؛ لأنه لو كان كذلك لضم

---

(١) في ع وب: فقوله.

(٢) النسخ الأربع: أذاعوه، والتصويب من المصحف. وينظر: معاني القرآن للفراء ١/ ٢٧٩، وغريب القرآن وتفسيره ١٢٢، وتفسير الطبري ٥/ ٢٤٦.

(٣) ينظر: معاني القرآن للفراء ١/ ٢٧٩، والتفسير الكبير ١٠/ ١٩٩، وتفسير القرطبي ٥/ ٢٩١.

(٤) ينظر: تفسير القرآن الكريم ٢/ ٣٧٣، وتفسير البغوي ١/ ٤٥٦، وزاد المسير ٢/ ١٦١.

(٥) ينظر: تفسير غريب القرآن ١٣٢، وتفسير البغوي ١/ ٤٥٦، والتفسير الكبير ١٠/ ١٩٩.

(٦) في الأصل وك وب: أنباط. وينظر: معاني القرآن وإعرابه ٢/ ٨٣، والبحر المحيط ٣/ ٣١٥.

(٧) (وقيل من المستنبطين) ساقطة من ع. وينظر: معاني القرآن للفراء ١/ ٢٧٩ - ٢٨٠، ومعاني القرآن وإعرابه ٢/ ٨٤.

(٨) النسخ الثلاث: فعل.

(٩) في ك: عمر. وينظر: تفسير البغوي ١/ ٤٥٦، ومجمع البيان ٣/ ١٤٣ - ١٤٤، والتفسير الكبير ١٠/ ٢٠٢ -

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الحكمة الجرجاني، عبد القاهر ٦١٧/٢

.٢٠٣

(١٠) ساقطة من ك، وبعدها في ك وب: بالتوكيل، بدل (بالتوكل).

(١١) ينظر في توجيه الفاء: المجيد ٤٠٧ – ٤٠٨ (تحقيق: د. عطية أحمد)، والبحر المحيط ٣/ ٣٢١، والدر المصون ٤/ ٥٤.

(١٢) ينظر: التبيان في تفسير القرآن ٣/ ٢٧٥، ومجمع البيان ٣/ ١٤٤.

(١٣) في ك: تؤاخذ.

(١٤) ينظر: الدر المصون ٤/ ٥٤.." [(١)]

"إلا الله رب العالمين وخالق السموات والأرضين ومكلف الجن والإنس والملائكة المقربين أن يعبدوه عبادة المخلصين فقال تعالى ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾ فما لله إلا الدين الخالص المتين فإنه أغنى الأغنياء عن شركة المشاركين والصلاة على نبيه محمد سيد المرسلين وعلى جميع النبيين وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين

أما بعد فقد انكشف لأرباب القلوب ببصيرة الإيمان وأنوار القرآن أن لا وصول إلى السعادة إلا بالعلم والعبادة فالناس كلهم هلكى إلا العالمون والعالمون كلهم هلكى إلا العاملون والعاملون كلهم هلكى إلا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم فالعمل بغير نية عناء والنية بغير إخلاص رياء وهو للنفاق كفاء ومع العصيان سواء والإخلاص من غير صدق وتحقيق هباء وقد قال الله تعالى في كل عمل كان بإرادة غير الله مشوبا مغمورا ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا﴾ وليت شعري كيف يصحح نيته من لا يعرف حقيقة النية أو كيف يخلص من صحح النية إذا لم يعرف حقيقة الإخلاص أو كيف تطالب المخلص نفسه بالصدق إذا لم يتحقق معناه فالوظيفة الأولى على كل عبد أراد طاعة الله تعالى أن يتعلم النية أولا لتحصل المعرفة ثم يصححها بالعمل بعد فهم حقيقة الصدق والإخلاص اللذين هما وسيلتنا العبد إلى النجاة والخلاص

ونحن نذكر معاني الصدق والإخلاص في ثلاثة أبواب

الباب الأول في حقيقة النية ومعناها

الباب الثاني في الإخلاص وحقائقه

والباب الثالث في الصدق وحقيقته الباب الأول في حقيقة النية ومعناها

وفيه

بيان فضيلة النية

وبيان حقيقة النية وبيان كون النية خيرا من العمل وبيان تفضيل الأعمال المتعلقة بالنفس وبيان خروج النية عن الاختيار

بيان فضيلة النية

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ٥١١/١

قال الله تعالى ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾ والمراد بتلك الإرادة هي النية

وقال صلى الله عليه وسلم إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه (١) وقال صلى الله عليه وسلم أكثر شهداء أمتي أصحاب الفرش ورب قتيل بين الصفين الله أعلم بنيته (٢) وقال تعالى ﴿إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما﴾ فجعل النية سبب التوفيق

وقال صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم وأموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم (٣) وإنما نظر إلى القلوب لأنها مظنة النية وقال صلى الله عليه وسلم إن العبد ليعمل أعمالا حسنة فتصعد الملائكة في صحف مختمة فتلقى بين يدي الله تعالى فيقول ألقوا هذه الصحيفة

---

(١) حديث إنما الأعمال بالنيات الحديث متفق عليه من حديث عمر وقد تقدم

(٢) حديث أكثر شهداء أمتي أصحاب الفرش ورب قتيل بين الصفين الله أعلم بنيته أخرجه أحمد من حديث ابن مسعود وفيه عبد الله بن لهيعة

(٣) حديث إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم الحديث أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة وقد تقدم." [1]

"٤٩١٩ - وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((خلق الله الخلق، فلما

وأجاب العلماء بوجوه: أحدها: أن هذه الزيادة بالبركة في العمر بسبب التوفيق في الطاعات وعمارة أوقاته بما ينفعه في الآخرة، وصيانتها عن الضياع في غير ذلك.

وثانيها: أنه بالنسبة إلى ما يظهر للملائكة في اللوح المحفوظ ونحو ذلك، فيظهر لهم في اللوح المحفوظ أن عمره ستون سنة إلا أن يصل رحمه، فإن وصلها زيد له أربعون. وقد علم الله سبحانه وتعالى بما سيقع له من ذلك، وهو من معنى قوله تعالى: ﴿ويمحو الله ما يشاء ويثبت﴾. فبالنسبة إلى ما في علم الله تعالى وما سبق به قدره لا زيادة، بل هي مستحيلة وبالنسبة إلى ما ظهر للمخلوقين يتصور الزيادة، وهو مراد الحديث.

وثالثها: أن المراد بقاء ذكره الجميل بعده، فكأنه لم يمت، وهو ضعيف.

أقول: كأن هذا الوجه أظهر؛ فإن أثر الشيء هو حصول ما يدل على وجوده، فمعنى ((يؤخر في أثره)) أي يؤخر ذكره الجميل بعد موته، أو يجري له ثواب عمله الصالح بعد موته. قال الله تعالى: ﴿ونكتب ما قدموا وآثارهم﴾ وعليه كلام صاحب الفائق حيث قال: ويجوز أن يكون المعنى، أن الله يبقى أثر واصل الرحم في الدنيا طويلا، فلا يضمحل سريعا كما يضمحل أثر قاطع الرحم. ولم أنشد أبو تمام أبا دلف ما رثى به محمد بن حميد:

توفيت الآمال بعد محمد وأصبح في شغل مع السفر

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٤/٣٦٢

الأبيات المذكورة في التبيان. بكى وقال: وددت أنها في. فقال أبو تمام:

((بل يطيل الله عمر الأمير)).

فقال: لم يمت من قيل فيه هذا، وعليه قول الخليل عليه السلام: ﴿واجعل لي لسان صدق في الآخرين﴾.

الحديث التاسع عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: ((فلما فرغ)). تو)) ((تو)): أي قضاه الله وأتمه، أو نحو ذلك مما يشهد بأنه مجاز القول؛ فإنه سبحانه وتعالى لا يشغله شأن عن شأن، أو يطلق عليه الفراغ الذي هو ضد الشغل. ويقال: مه فلان أي: ما تقول، على الزجر والاستفهام. وههنا إن كان على الزجر فبين، وإن كان على الاستفهام فالمراد منه الأمر بإظهار الحاجة دون الاستعلام؛ فإن الله تعالى يعلم السر وأخفي. وقيل: هو في الحقيقة ضرب مثلا واستعارة؛ إذا الرحم معنى، وهو اتصال القرب بين أهل النسب.." (١)

"أما بعد: فإن الله سبحانه لم يخلق خلقه سدى مهملا، بل جعلهم موردا للتكليف، ومحلا للأمر والنهى، وألزمهم (فهم) ما أرشدهم إليه مجملا ومفصلا وقسمهم إلى شقى وسعيد، وجعل لكل واحد من الفريقين منزلا، وأعطاهم مواد العلم والعمل: من القلب، والسمع، والبصر، والجوارح، نعمة منه وتفضلا، فمن استعمل ذلك فى طاعته، وسلك به طريق معرفته على ما أرشد إله ولم يبغ عنه عدولا، فقد قام بشكر ما أوتيه من ذلك، وسلك به إلى مرضاة الله سبيلا. ومن استعمله فى إرادته وشهوته ولم يرع حق خالقه فيه يخسر إذا سئل عن ذلك، ويحزن حزنا طويلا. فإنه لا بد من الحساب على حق هذه الأعضاء لقوله تعالى: ﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا﴾ [الإسراء: ٣٦] .

ولما كان القلب لهذه الأعضاء كالملك المتصرف فى الجنود، الذى تصدر كلها عن أمره، ويستعملها فيما شاء، فكلها تحت عبوديته وقهره، وتكتسب منه الاستقامة والزيغ، وتتبعه فيما يعقده من العزم أو يحله، قال النبى صلى الله عليه وسلم: "ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله". فهو ملكها، وهى المنفذة لما يأمرها به، القابلة لما كان يأتيها من هديته، ولا يستقيم لها شئ من أعمالها حتى تصدر عن قصده ونيته. وهو المسؤول عنها كلها "لأن كل راع مسؤول عن رعيته" كان الاهتمام بتصحيحه وتسديده أولى ما اعتمد عليه السالكون. والنظر فى أمراضه وعلاجها أهم ما تنسك به الناسكون.

ولما علم عدو الله إبليس أن المدار على القلب والاعتماد عليه، أجلب عليه بالوساوس، وأقبل بوجوه الشهوات إله، وزين له من الأقوال والأعمال ما يصده عن الطريق، وأمده من أسباب الغى بما يقطعه عن أسباب التوفيق، ونصب له من المصايد والحبائل ما إن سلم من الوقوع فيها لم يسلم من أن يحصل له بها التعويق، فلا نجاة من مصائده ومكائده إلا بدوام الاستعانة بالله تعالى، والتعريض لأسباب مرضاته، والتجاء القلب إليه، وإقباله عليه فى حركاته وسكناته، والتحقق بذل العبودية الذى هو أولى ما تلبس به الإنسان ليحصل له الدخول فى ضمان ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ [الحجر: ٤٢] فهذه الإضافة هى القاطعة بين العبد وبين الشياطين، وحصولها يسبب تحقيق مقام العبودية لرب العالمين، وإشعار القلب." (٢)

---

(١) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن الطيبي ٣١٦٠/١٠

(٢) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ابن القيم ٥/١

"ومما ينبغي أن يعلم أن أسباب الخذلان من بقاء النفس على ما خلقت عليه في الأصل وإهمالها وتخليتها فأسباب الخذلان منها وفيها وأسباب التوفيق من جعل الله سبحانه لها قابلة للنعمة فأسباب التوفيق منه ومن فضله وهو الخالق لهذه وهذه كما خلق أجزاء الأرض هذه قابلة للنبات وهذه غير قابلة له وخلق الشجر هذه تقبل الثمرة وهذه لا تقبلها وخلق النحلة قابلة لأن يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه والزنبور غير قابل لذلك وخلق الأرواح الطيبة قابلة لذكره وشكره وحجته وإجلاله وتعظيمه وتوحيده ونصيحة عباده وخلق الأرواح الخبيثة غير قابلة لذلك بل لضده وهو الحكيم العليم قال شيخ الإسلام بحر العلوم مفتي الفرق أبو العباس احمد بن تيمية رحمه الله

فصل قال الله تعالى

الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ساء ما يحكمون من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت وهو السميع العليم ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغني عن العالمين والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون ووصينا الأنسان بوالديه حسنا وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعلمون والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم أو ليس الله بأعلم بما في صدور العالمين وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين وقال الله تعالى أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل." (١)

"عبد الله بن أحمد في زوائد المسند والبزار وصححه الحاكم من حديث علي نحو حديثي الباب قال ويدفع عنه ميتة السوء ولأبي يعلى من حديث أنس رفعه إن الصدقة وصلة الرحم يزيد الله بهما في العمر ويدفع بهما ميتة السوء فجمع الأمرين لكن سنده ضعيف وأخرج المؤلف في الأدب المفرد من حديث بن عمر بلفظ من اتقى ربه ووصل رحمه نسئ له في عمره وثري ماله وأحبه أهله قوله وينسأ بضم أوله وسكون النون بعدها مهملة ثم همزة أي يؤخر قوله في أثره أي في أجله وسمي الأجل أثرا لأنه يتبع العمر قال زهير والمرء ما عاش ممدود له أمل لا ينقضي العمر حتى ينتهي الأثر وأصله من أثر مشيه في الأرض فإن من مات لا يبقى له حركة فلا يبقى لقدمه في الأرض أثر قال بن التين ظاهر الحديث يعارض قوله تعالى فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون والجمع بينهما من وجهين أحدهما أن هذه الزيادة كناية عن البركة في العمر بسبب التوفيق إلى الطاعة وعمارة وقته بما ينفعه في الآخرة وصيانته عن تضييعه في غير ذلك ومثل هذا ما جاء أن النبي صلى الله عليه وسلم تقاصر أعمار أمته بالنسبة لأعمار من مضى من الأمم فأعطاه الله ليلة القدر وحاصله أن صلة الرحم تكون سببا للتوفيق للطاعة والصيانة عن المعصية فيبقى بعده الذكر الجميل فكأنه لم يمت ومن جملة ما يحصل له من التوفيق العلم الذي ينتفع به من بعده والصدقة الجارية عليه والخلف الصالح وسيأتي مزيد لذلك في كتاب القدر إن شاء الله

(١) الفوائد لابن القيم ابن القيم ص/٢٠٧

تعالى ثانيهما أن الزيادة على حقيقتها وذلك بالنسبة إلى علم الملك الموكل بالعمر وأما الأول الذي دلت عليه الآية فبالنسبة إلى علم الله تعالى كأن يقال للملك مثلا إن عمر فلان مائة مثلا إن وصل رحمه وستون إن قطعها وقد سبق في علم الله أنه يصل أو يقطع فالذي في علم الله لا يتقدم ولا يتأخر والذي في علم الملك هو الذي يمكن فيه الزيادة والنقص وإليه الإشارة بقوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب فالمحو والإثبات بالنسبة لما في علم الملك وما في أم الكتاب هو الذي في علم الله تعالى فلا محو فيه ألبتة ويقال له القضاء المبرم ويقال للأول القضاء المعلق والوجه الأول أليق بلفظ حديث الباب فإن الأثر ما يتبع الشيء فإذا أخر حسن أن يحمل على الذكر الحسن بعد فقد المذكور وقال الطيبي الوجه الأول أظهر وإليه يشير كلام صاحب الفائق قال ويجوز أن يكون المعنى أن الله يبقي أثر واصل الرحم في الدنيا طويلا فلا يضمحل سريعا كما يضمحل أثر قاطع الرحم ولما أنشد أبو تمام قوله في بعض المراثي توفيت الآمال بعد محمد وأصبح في شغل عن السفر السفر قال له أبو دلف لم يمت من قيل فيه هذا الشعر ومن هذه المادة قول الخليل عليه السلام واجعل لي لسان صدق في الآخرين وقد ورد في تفسيره وجه ثالث فأخرج الطبراني في الصغير بسند ضعيف عن أبي الدرداء قال ذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم من وصل رحمه أنسيء له في أجله فقال إنه ليس زيادة في عمره قال الله تعالى فإذا جاء أجلهم الآية ولكن الرجل تكون له الذرية الصالحة يدعون له من بعده وله في الكبير من حديث أبي مشجعة الجهني رفعه إن الله لا يؤخر نفسا إذا جاء أجلها وإنما زيادة العمر ذرية صالحة الحديث وجزم بن فورك بأن المراد بزيادة العمر نفي الآفات عن صاحب البر في فهمه وعقله وقال غيره في أعم من ذلك وفي وجود البركة في رزقه وعلمه ونحو ذلك." (١)

"روايته لهذا الحديث في أول الزكاة: أخشى أن يكون محمد غير محفوظ، إنما هو عمرو.

والحديث مر في أول الزكاة، ومضى الكلام فيه.

قوله: (ماله؟) استفهام وكرر للتأكيد. قوله: (أرب) بفتحتين الحاجة وتقديره: له أرب، فيكون ارتفاعه على الابتداء وخبره قوله: له مقدما، وروي بكسر الراء وفتح الباء الموحدة من أرب في الشيء إذا صار ماهرا فيه فيكون معناه التعجب من حسن فظنته والتهدي إلى موضع حاجته. قوله: (ذرها) أي: أترك الراحلة ودعها كان الرجل كان على الراحلة حين سأل المسألة، وفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، استعجاله، فلما حصل مقصود من الجواب قال له: دع الراحلة تمشي إلى منزلك إذ لم يبق لك حاجة فيما قصدته، أو كان صلى الله عليه وسلم راكبا وهو كان آخذا بزمام راحلته، فقال بعد الجواب: دع زمام الراحلة.

١١ - (باب إثم القاطع)

أي: هذا باب في بيان إثم قاطع الرحم.

١٣ - (حدثني يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب أن محمد بن جبير بن مطعم قال إن جبير بن مطعم

(١) فتح الباري لابن حجر ابن حجر العسقلاني ٤١٦/١٠

أخبره أنه سمع النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول لا يدخل الجنة قاطع) مطابقته للترجمة ظاهرة ومحمد بن جبير يروي عن أبيه جبير بن مطعم والحديث أخرجه مسلم في الأدب عن ابن أبي عمر وغيره وأخرجه أبو داود في الزكاة عن مسدد وأخرجه الترمذي في البر عن ابن أبي عمر وغيره قوله قاطع أي قاطع الرحم قال الكرماني المؤمن بالمعصية لا يكفر فلا بد من أن يدخل الجنة ثم قال حذف مفعول قاطع يدل على عمومه ومن قطع جميع ما أمر الله به أن يوصل كان كافرا أو المراد المستحل أو لا يدخلها مع السابقين -

١٢ - (باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم)

أي: هذا باب في بيان من بسط على صيغة المجهول له في الرزق بسبب صلة الرحم.

١٤ - (حدثني إبراهيم بن المنذر حدثنا محمد بن معن قال حدثني أبي عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول من سره أن يبسط له في رزقه وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه) مطابقته للترجمة ظاهرة ومحمد بن معن بفتح الميم وسكون العين المهملة وبالنون ابن محمد بن معين بن نضلة بفتح النون وسكون الضاد المعجمة ابن عمرو المدني الغفاري ونضلة له صحبة كان يسكن في ناحية العرج ومحمد بن معن يروي عن أبيه معن بن محمد وهو ثقة وليس له في البخاري سوى هذا الحديث وكذا أبوه ليس له إلا موضع آخر أو موضعان وسعيد بن أبي سعيد هو المقبري واسم أبي سعيد كيسان والحديث من أفراده قوله وأن ينسأ له من النسأ بفتح النون وسكون السين المهملة وبالهمزة في آخره وهو التأخير أي يؤخر له في أثره أي في أجله وأثر الشيء هو ما يدل على وجوده ويتبعه والمراد به ههنا الأجل وسمي به لأنه يتبع العمر فإن قلت الآجال مقدرة وكذا الأرزاق لا تزيد ولا تنقص ﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ قلت أجيب عن هذا بوجهين (أحدهما) أن هذه الزيادة بالبركة في العمر بسبب التوفيق في الطاعات وصيانته عن الضياع وحاصله أنها بحسب الكيف لا الكم (والثاني) أن الزيادة على حقيقتها وذلك بالنسبة إلى علم الملك الموكل بالعمر وإلى ما يظهر له في اللوح المحفوظ بالمحو والإثبات فيه ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت﴾ كما أن عمر فلان ستون سنة إلا أن يصل رحمه فإنه يزاد عليه عشرة وهو سبعون وقد علم الله عز وجل بما سيقع له من ذلك فبالنسبة إلى الله تعالى لا زيادة ولا نقصان ويقال له القضاء المبرم وإنما يتصور الزيادة بالنسبة إليهم ويسمى مثله بالقضاء المعلق ويقال المراد بقاء ذكره الجميل بعده فكأنه لم يمت وهو إما بالعلم الذي ينتفع به أو الصدقة الجارية أو الخلف الصالح." (١)

"٤٩١٨ - وعن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: " «من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره؟ فليصل رحمه» ". متفق عليه.

٤٩١٨ - (وعن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: «من أحب أن يبسط») بصيغة

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري بدر الدين العيني ٩١/٢٢

المجهول أي: يوسع (له في رزقه) أي: في دنياه أو آخرته (وينسأ) : بضم فسكون ففتح فنصب فهمزة أي: يؤخر (له في أثره) : بفتحتين أي: أجله (فليصل رحمه) : في النهاية: النسأ التأخير يقال: نسأت الشيء أنسأ وأنسأته إنساء: إذا أخرته، والنساء الاسم، ويكون في العمر والدين والأثر والأجل، ويسمى به لأنه يتبع العمر. قال زهير:

يسعى الفتى لأمور ليس يدركها ... والنفس واحدة والهم منتشر

والمرء ما عاش ممدود له أمل ... لا ينتهي العمر حتى ينتهي الأثر

وأصله من أثر مشيه في الأرض، فإن من مات لا يبقى له أثر، فلا يرى لأقدامه في الأرض أثر. قال النووي: في تأخير الأجل سؤال مشهور، وهو أن الآجال والأرزاق مقدرة ولا تزيد ولا تنقص ﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ [الأعراف: ٣٤] ، وأجاب العلماء بوجوه، أحدها: أن الزيادة بالبركة في العمر بسبب التوفيق في الطاعات وعمارة أوقاته بما ينفعه في الآخرة، وصيانتها عن الضياع وغير ذلك. وثانيها: أنه بالنسبة إلى ما يظهر للملائكة في اللوح المحفوظ، ونحو ذلك فيظهر لهم في اللوح أن عمره ستون سنة إلا أن يصل رحمه، فإن وصلها زيد له أربعون، وقد علم الله تعالى ما سيقع له من ذلك، وهو من معنى قوله تعالى: ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت﴾ [الرعد: ٣٩] ، فبالنسبة إلى علم الله تعالى وما سبق قدره لا زيادة، بل هي مستحيلة، وبالنسبة إلى ما ظهر للمخلوقين يتصور الزيادة وهو مراد الحديث، وثالثها: أن المراد بقاء ذكره الجميل بعده، فكأنه لم يمت وهو ضعيف. اهـ.

وإنما قال في القول الأوسط: إنه مراد الحديث ؛ لأن الأول أيضا يرجع إليه، فإن بركة العمر وتوفيق العمل من جملة المقدرات التي لا تزيد ولا تنقص في الحقيقة، وكذا الأخير، وإنما ضعفه لأنه من جملة الصيت المشتمل على الرياء والسمعة غالبا، فلا يصح أن يكون مراد الحديث، وإن كان له وجه في الجملة على أنه ورد في غير حديث أن صلة الرحم تزيد في العمر، فإرادة غير الأجل المتعارف خلاف الحقيقة، والعدول منها إلى المجاز غير جائز بلا ضرورة. وقد غفل الطيبي عن هذا المعنى، فتعقب النووي على غير المبنى، فقال: وكان هذا الوجه أظهر، فإن أثر الشيء حصول ما يدل على وجوده، فمعنى يؤخر في أثره أي: يؤخر ذكره الجميل بعد موته، أو يجرى له ثواب عمله الصالح بعد موته. قال تعالى: ﴿ونكتب ما قدموا وآثارهم﴾ [يس: ١٢] ، قلت: وفيه أن المعنى الثاني عام غير مخصوص بواصل الرحم. بقي الأول قال: وعليه كلام صاحب الفائق ؛ حيث قال: يجوز أن يكون المعنى أن الله يبقي أثر واصل الرحم في الدنيا طويلا، فلا يضمحل سريعا كما يضمحل أثر قاطع الرحم. قلت: كيف يجوز ما عبر عنه الفائق بيجوز أن يكون هو الأظهر في مراد الحديث والله أعلم. (متفق عليه) : ورواه أبو داود والنسائي عن أنس، وأحمد والبخاري أيضا عن أبي هريرة.." (١)

"٨٣١٩ - (وعن أنس) بن مالك (رضي الله عنه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: من أحب) وفي رواية: «من يسره» (أن يبسط) بالبناء للمفعول: أي يوسع. في «المصباح» : بسط الله الرزق: كثره ووسعه، وقال المصنف: بسطه توسيعه وكثرته، وقيل بالبركة فيه ونائب الفاعل أحد الطرفين في قوله: (له في رزقه) أي مرزوقه مصدر بمعنى المفعول، وهو ما به النفع للحيوان، والثاني أنسب، والظرف الآخر في محل الحال، وهذا الإعراب بعينه جار في قرينه من الجملة الثانية:

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح الملا على القاري ٧/٣٠٨٤

أعني قوله: (وينسأ) بهمزة آخره أي يؤخر (له في أثره) بفتح الهمزة والمثلثة: أي أجله، وسمي الأجل أثرا لأنه يتبع العمر قال زهير:

والمرء ما عاش ممدود له أمل

لا ينتهي العمر حتى ينتهي الأثر

وأصله من أثر مشيه في الأرض فإن من مات لا يبقى له حركة فلا يبقى لقدمه في الأرض أثر (فليصل رحمه) قال ابن التين: ظاهر الحديث يعارض قوله تعالى: ﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ (الأعراف: ٣٤) والجمع بينهما إما بحمل الزيادة على أنها كناية عن البركة في العمر بسبب التوفيق إلى طاعة الله وعمارة وقته بما ينفعه، ويقربه من مولاه تعالى ويقويه ما جاء من: أنه تقاصر أعمار أمته بالنسبة لأعمار من مضى من الأمم فأعطى ليلة القدر. وحاصله أن صلة الرحم سبب للتوفيق لمرضاة المولى وحفظ الأوقات عن الضياع في غير رضا فيبقى بعده الذكر الجميل، فكأنه لم يمت، أو يحمل الزيادة في الحديث على حقيقتها، وذلك بالنسبة للأجل المعلق المكتوب في اللوح المدفوع للملك، مثلا كتب فيه: إن أطاع فلان فعمره كذا وإلا فعمره كذا، وا سبحانه وتعالى عالم بالواقع منهما والأجل المحتوم في الآية على ما في علم الله سبحانه الذي لا تغير فيه، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾ (الرعد: ٣٩) فالحديث فيه ما أشارت إليه أول الآية من الأجل المعلق، وقوله: ﴿عنده أم الكتاب﴾ أشار به إلى العلم الإلهي الذي لا تغير فيه البتة ويعبر عنه بالقضاء المبرم وعن الأول بالقضاء المعلق، والوجه الأول أليق بلفظ المذكور.

وقال الطيبي: الأول أظهر وإليه يشير كلام صاحب." (١)

"(١٣٦٧) - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «من أحب أن يبسط له في رزقه، وأن ينسأ له في أثره، فليصل رحمه» أخرجه البخاري.

ـــــــQوالأصهار والتعطف عليهم والرفق بهم والرعاية لأحوالهم وكذلك إن تعدوا وأساءوا وضد ذلك قطيعة الرحم. اهـ

(عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: من أحب أن يبسط) مغير صيغته أي يبسط الله (له في رزقه) أي يوسع له فيه (وأن ينسأ) مثله في ضبطه. بالسين المهملة مخففة أي يؤخر له (في أثره) بفتح الهمزة والمثلثة فراء أي أجله (فليصل رحمه. أخرجه البخاري) وأخرج الترمذي عن أبي هريرة «أن صلة الرحم محبة في الأهل مثراة في المال منسأة في الأجل» وأخرج أحمد عن عائشة - رضي الله عنها - مرفوعا «صلة الرحم وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان في الأعمار» .

وأخرج أبو يعلى من حديث أنس مرفوعا «إن الصدقة وصلة الرحم يزيد الله بهما في العمر ويدفع بهما ميتة السوء» وفي سنده ضعف: قال ابن التين: ظاهر الحديث أي حديث البخاري معارض لقوله تعالى: ﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ [النحل: ٦١] قال: والجمع بينهما من وجهين أحدهما: أن الزيادة كناية عن البركة في العمر بسبب التوفيق إلى الطاعة وعمارة وقته بما ينفعه في الآخرة وصيانته عن تضييعه في غير ذلك، ومثل هذا ما جاء: أن النبي - صلى

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ابن علان ١٥٤/٣

الله عليه وسلم – تقاصر أعمار أمته بالنسبة إلى أعمار من مضى من الأمم فأعطاه الله ليلة القدر. وحاصله أن صلة الرحم تكون سببا للتوفيق للطاعة والصيانة عن المعصية فيبقى بعده الذكر الجميل فكأنه لم يمت.

ومن جملة ما يحصل له من التوفيق العلم الذي ينتفع به من بعده بتأليف ونحوه والصدقة الجارية عليه، والخلف الصالح.

وثانيهما أن الزيادة على حقيقتها وذلك بالنسبة إلى علم الملك الموكل بالعمر، والذي في الآية بالنسبة إلى علم الله كأن يقال للملك في علمه أنه يصل أو يقطع فالذي في علم الله لا يتقدم ولا يتأخر والذي يقال مثلا إن عمر فلان مائة إن وصل رحمه، وإن قطعها فستون وقد سبق مثلا في علم الملك هو الذي يمكن فيه الزيادة والنقص، وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾ [الرعد: ٣٩] والمحو والإثبات بالنسبة إلى ما في علم الملك وما في أم." (١)

"والشهوات، وما فيها من حيرة وعماية إلى الحالة التي تطمئن فيها القلوب، كما تطمئن في النور عندما يسطع فيبدد سدول الظلام.

فباتباعهما فقط تطمئن القلوب بالإيمان واليقين، فتضمحل أمامها الشبهات، وتكسر سلطان الشهوات، فتلك الأحوال العديدة الظلمانية التي يكون فيها من أعرض عنهما، أو خالفهما، يخرج منها إلى الحالة النورانية الوحيدة، وهي حالة من آمن بهما واتبعهما كما قال تعالى: ﴿ويخرجهم من الظلمات إلى النور﴾ [المائدة: ١٦].

على العبد أن يقبل ما فيه كماله وسعادته، ومرضاة خالقه، مما هداه الله إليه برسوله وكتابه، وجعل قبوله له سببا في توفيقه وإخراجه من الظلمات إلى النور، وعليه أن يعتقد أنه لا ينال شيئا من التوفيق وحظا من النور إلا بإذن الله، أي إرادته وتيسيره، فلا يعتمد على نفسه ولا على أعماله، وإنما يكون اعتماده على الله، فيحمله ذلك على الاجتهاد في العمل، وعدم العجب به، ودوام التوجه إلى الله، وصدق الرجاء فيه، والخوف من عقابه، ودوام المراقبة له.

ولأجل لزوم هذا الاعتماد على الله الميسر للأسباب، الذي لا يكون في ملكه إلا ما أراد- قرن قوله: ﴿يهدي﴾ و ﴿يخرجهم﴾ بقوله: ﴿بإذنه﴾.

الإسلام هو السبيل الجامع العام:

ما جاء به النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- والقرآن العظيم، هو دين الله الإسلام، فكل ما دل الله عليه الخلق بهما، وما وفق إليه العلم والعمل باتباعهما، فهو من الإسلام. ولهذا لما ذكر- تعالى- إرشاده وتوفيقه للذين اتبعوا رضوانه، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، ذكر إرشاده وتوفيقه لهم إلى الطريق المستوي، الموصل إلى الكمال والسعادة، ومرضاة الله الجامع لذلك كله بقوله تعالى: ﴿ويهديهم إلى صراط مستقيم﴾.

الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسول الله لازم دائما:

إن الحاجة إلى إرشاد الله وتوفيقه دائمة متجددة، فكل عمل من أعمال الإنسان وكل حالة من أحواله هو محتاج فيه إلى

(١) سبل السلام الصنعاني ٦٢٧/٢

هداية الله ودلالته؛ ليعرف ما يرضاه الله منه مما لا يرضاه.

وهو محتاج فيه إلى توفيق الله وتيسيره ليقوم بما يرضاه منه، وشرعه له ودله عليه، ولن يزال العبد- غير المعصومين (صلوات الله وسلامه عليهم) – تغشاه ظلمات الشبهات والشهوات، فيحتاج إلى دلالة الله وتوفيقه، ليخرج منها إلى نور الإيمان والاستقامة.

فالعبد محتاج دائما إلى الرجوع إلى كتاب الله، وما ثبت من سنة نبيه- صلى الله عليه وآله وسلم- ليهتدي إلى ما يرضي الله، مما شرعه له من أحواله وأفعاله، وإلى ما يدفع عنه شبهاته، وينقذه من شهواته.

ومحتاج إلى التوسل بذلك الرجوع إليهما وذلك الاتباع لهما إلى الله، ليفتح له أبواب المعرفة، ويمد له أسباب التوفيق، وهذا هو القصد من صيغة المضارع، المفيدة للتجدد، في قوله تعالى: ﴿يهدي﴾ و ﴿يخرجهم﴾ و ﴿يهديهم إلى صراط مستقيم﴾.." (١)

"أشخاص يزعمون لهم العصمة غير الأنبياء، أو الإحاطة بعلم الغيب "من أئمة أو رؤساء أو أولياء، أو أقطاب أو أغوات ... أو نحوهم"، أو يزعمون أنه يسعهم العلم بأنظمة البشر وقوانينهم، من زعم ذلك فقد افترى على الله أعظم الفرية"١.

أسباب التوفيقية:

وأما الأسباب التي حملت أهل السنة على الوقوف عند النصوص، وعدم تجاوزها فيمكن إجمالها فيما يأتي:

أولا: تواتر النصوص الآمرة باتباع الكتاب والسنة ولزومهما.

ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ [الحشر: ٧] ، وقوله تعالى: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ [النساء: ٥٩] . قال عطاء: "طاعة الرسول اتباع الكتاب والسنة"٢.

وقال ابن القيم: "روى أبو داود في مراسيله عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه رأى بيد بعض أصحابه قطعة من التوراة فقال: "كفى بقوم ضلالة أن يتبعوا كتابا غير كتابهم الذي أنزل على نبيهم" ٣، فأنزل الله -عز وجل- تصديق ذلك: ﴿أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون﴾ [العنكبوت: ٥١] ، فهذا حال من أخذ دينه عن كتاب منزل على غير النبي، فكيف بمن أخذه عن عقل فلان وفلان، وقدمه على كلام الله ورسوله"٤.

---

١ بحوث في عقيدة أهل السنة والجماعة لناصر العقل ص٣٣.

٢ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماع للالكائي "١/ ٧٢"، وتفسير الطبري "٥/ ١٤٧".

٣ المراسيل لأبي داود "٤٥٤" عن يحيى بن جعدة. وراجع أثر ابن عباس في النهي عن سؤال أهل الكتاب، رواه البخاري

---

(١) تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ابن باديس، عبد الحميد ص/٣٣٣

"٢٦٨٥".

٤ جلاء الأفهام لابن القيم ص١٧٩-١٨١.." (١)

"وبهذه النقاط المهمة المستخلصة تحليليا من مضامين سورة القصص نجد أن لا شيء يعادل الكفرة في كفرهم بالله عز وجل على علم منهم، لذلك كانت آيات سورة القصص تفسر لنا بعض دلالات قوله تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ ((١)) ، لأن القرآن الكريم يفسر بعضه بعضا، وهذا من استدلالاتنا الحديثة في تحليلنا الاستقرائي المعاصر لدلالات سورة القصص الشريفة.

فلا يغترن أحد بما عليه الكفار اليوم من رغد العيش وتسلط على البشر، وتقدم علمي يريد الله أن يبتليهم به. قال تعالى: ﴿والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون * وأملي لهم إن كيدي متين﴾ ((٢)) . هذا من جانب، وأن من سنن الله في خلقه أن من عمل وسعى وبذل جهده وطاقته في تحصيل مقصد وصل إليه، فالمسلمون حين يستجمعون أسباب التوفيق والتمكين المادية والمعنوية فإنهم يصلون في القيادة والريادة إلى ما وصل إليه الغرب وأكثر، فالمسلمون يملكون العون من الله والتوقيف لأنهم حملة دينه، وحماة شرعه.

المطلب الثالث: مبشرات انتصار الإسلام في مفهوم ﴿إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد﴾

مع آيات نصر المؤمنين في سورة القصص

في العقيدة الإسلامية الحقة الحقيقية، وهي عقيدة أهل السنة والجماعة من أهل الحق، نجد تقريرات مهمة لآخر الزمان من عمر الدنيا تشمله كلمتان جامعتان (انتصار الإسلام) .

---

(١) سورة النساء: الآية ٤٨. و ١١٦.

(٢) سورة الأعراف: الآيتان ١٨٢ -١٨٣.." (٢)

"٩٢ - ثم سار كذلك مستعينا بما هيأ الله له من أسباب التوفيق، سالكا طريقا بين الشرق والغرب.." (٣)

"وذكر أن العلاء بن زياد قال له رجل: رأيت كأنك في الجنة، فقال له، ويحك، أما وجد الشيطان أن أحدا يسخر به غيري وغيرك؟ (١).

ويعلمنا الحسن البصري كيف نرد على من يمدحنا فيقول: قيل لبعضهم: ما أقل التفاتك في صلاتك" وأحسن خشوعك!! فقال: يا ابن أخي، وما يدريك أين كان قلبي؟

وقيل لابن حنبل: ما أكثر الداعين لك، فتغرغرت عيناه، وقال: أخاف أن يكون هذا استدراجا. وقال له خرساني: الحمد لله الذي رأيتك، قال: اقعد، أي شيء ذا؟ من أنا؟ (٢).

---

(١) طريق الهداية مبادىء ومقدمات علم التوحيد عند أهل السنة والجماعة محمد يسري ص/٢٠٥

(٢) سورة القصص دراسة تحليلية محمد مطني ٢/١٠٨

(٣) المنتخب في تفسير القرآن الكريم مجموعة من المؤلفين ص/٤٤٠

٢ – زجر ونهي المادح:

فلو زجر كل منا من يمدحه، فلن يستمر في المدح، ولن يعود إلى تكرار ذلك مرة أخرى. قال صلى الله عليه وسلم: " احثوا التراب في وجوه المداحين" (٣).

وقال رجل يوما لابن عمر: يا خير الناس، وابن خير الناس، فقال: ما أنا خير الناس، ولا ابن خير الناس، ولكني عبد من عباد الله، وأرجو الله وأخافه، والله لن تزالوا بالرجل حتى تهلكوه.

٣ – مطالبة الناس بحمد الله لا حمدك:

فعلينا بتذكير المادح بحقيقتنا، وأن الذي يستوجب الحمد هو الله، لا نحن، فلو تركنا ولم يمدنا بأسباب التوفيق ما وفقنا.

يقول ابن رجب: من هنا كان أئمة الهدى ينهون عن حمدهم على أعمالهم، وما يصدر منهم من الإحسان إلى الخلق، ويأمرون بإضافة الحمد على ذلك لله وحده لا شريك له، فإن النعم كلها منه.

---

(١) من تواضع لله رفعه ص ٤٨.

(٢) صلاح الأمة في علو الهمة ٥/ ٤٤٣.

(٣) صحيح، رواه الترمذي عن أبي هريرة. وصححه الألباني في صحيح الجامع، ح (١٨٥).." [(١)]

"كان زوجي يذهب لزيارة أهله في كل أسبوعين فيمكث يومين، فأنتهزها فرصة للذهاب إلى بيت عمي القريب من بيتنا، فكنت أجد من زوجة عمي حنانا غريبا، وعطفا زائدا حيث كانت تعطيني كل ما أطلب، لكنها لم تكن مستقيمة، فقد كانت تذهب بي إلى الأسواق، وإلى هنا وهناك، وتفعل أشياء مخلة بالأدب لا ترضي الله تعالى، فسرت على نهجها، والصاحب ساحب كما يقولون، ومن تلك اللحظات تغيرت الفتاة الوديعة الغافلة إلى فتاة مستهترة متمردة على كل من حولها، كانت زوجة عمي ـ هداها الله ـ دائما تغريني بأن خروج المرأة من بيتها حرية، ورفع صوتها للحصول على مطالبها أفضل وسيلة، فصرت أستهزئ بكل من يذكرني بالله أو يدعوني إليه .. ألهو كما أشاء، وألعب كما أحب على الرغم من أني زوجة، ولي أولاد، لكني لم أكن أبالي، ولم يقف الأمر عند هذا، بل رحت أجمع حولي صديقات سيئات الأخلاق، كن دائما يدعونني إلى الحفلات والأفراح، والخروج إلى الأسواق بلا سبب يذكر، وبما أني كنت أكثرهن ذكاء وجمالا وتمردا، وأقلهن حياء، كنت أنا الزعيمة.

وأدهى من ذلك أنني كنت أعتقد في السحر، وأستعين بالمشعوذين مع خطورة ذلك على العقيدة.

وفي يوم من الأيام جاءتني امرأة من نساء الجيران، ولم أكن أهتم بمن يسكن حولي، ولا أحب الاختلاط بهم، ولكن هذه المرأة تعلقت بي، وأصرت على زيارتي، وبما أنها كانت صالحة وملتزمة فقد كرهت الجلوس معها، وكنت دائما أحاول الهروب

---

(١) حطم صنمك وكن عند نفسك صغيرا مجدي الهلالي ص/١٤٧

منها، لكنها كانت لا تيأس، وتقول لي: لقد صليت صلاة الاستخارة (١). هل أنزل عندك مرة أخرى أم لا، فيقدر الله لي النزول ورؤيتك.

ومرت الأيام ـ حوالي الشهرين ـ مرة تكلمني، ومرات لا تستطيع أن تقابلني، وكانت تذهب كل يوم بعد العصر لتعلم النساء القرآن في المسجد المجاور لنا، وكلما رآها زوجي دعا الله أن أكون مثلها، وكانت هي تدعوني إلى الذهاب معها إلى المسجد، ولكني كنت أعتذر بأعذار واهية، حتى لا أذهب، وكانت دائما تقول لي: إني والله أقوم من الليل أصلي، فأدعو الله لك بالهداية، وعند ما أتقلب في فراشي أذكرك فأدعو الله لك، وذلك لما تفرسته في من الذكاء، وقوة الحجة، وفصاحة اللسان، والقدرة على جذب الناس حولي.

---

(١) – صلاة الاستخارة من أعظم أسباب التوفيق والبركة وتيسير الأمور.." [1]

"عنده)) (١). ويشهد عليها، ويقضي ما عليه من الديون، ويرد الودائع إلى أهلها أو يستأذنهم في بقائها.

٧ – يستحب للمسافر أن يوصي أهله بتقوى الله تعالى، وهي وصية الله تعالى للأولين والآخرين: ﴿ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله وإن تكفروا فإن لله ما في السموات وما في الأرض وكان الله غنيا حميدا﴾ (٢).

٨ – يستحب للمسافر أن يجتهد في اختيار الرفيق الصالح، ويحرص أن يكون من طلبة العلم الشرعي؛ فإن هذا من أسباب توفيقه وعدم وقوعه في الأخطاء في سفره وفي حجه وعمرته؛ لقول النبي – صلى الله عليه وسلم – ((الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل)) (٣)؛ولقوله – صلى الله عليه وسلم – ((لا

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: البخاري، كتاب الوصايا، باب الوصايا، برقم ٢٧٣٨، ومسلم، كتاب الوصية، برقم ١٦٢٧.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٣١.

(٣) أبو داود، كتاب الأدب، باب من يؤمر أن يجالس، برقم ٤٨٣٣، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ٣/ ١٨٨.." [2]

"يناسب الموعظة؛ لأنها تلقى على عامة، وقد يكون ذلك مضلة لأفهامهم، مبعدا لهم عن الهدى.

٤٨ـ الاعتدال في الطرح، والحذر من المبالغة وتضخيم الأمور: فيحسن بالواعظ أن يكون متزنا في طرحه بعيدا عن التهويل والتهوين؛ لأن الحقيقة تضيع بين ذلك، والعرب تقول في أمثالها: "خير الناس هذا النمط الأوسط" يعني بين المقصر والغالي١. ومما يدل على حكمة الواعظ، ورجحان عقله، وحرصه على الحقيقة ـ لزومه الاعتدال، وألا يسرف في مدح ولا ذم، ولا في

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٥٠٢/٤

(٢) صلاة المسافر = السفر وأحكامه في ضوء الكتاب والسنة سعيد بن وهف القحطاني ص/١٢

وعد ولا وعيد؛ فإن الإسراف مظنة الكذب، والاعتدال مظنة الصدق.

٤٩. انشراح الصدر للنقد الهادف: فالواعظ المخلص من يسعى لإرضاء الله ـ جل وعلا ـ فتراه يبذل كل سبب في سبيل نفع الناس؛ ابتغاء الأجر من الله؛ ولهذا لا تراه يتأذى من ملحوظة تقدم إليه ولو صاغها مقدمها في جفاء وغلظة؛ بل تراه يفرح بالنقد الهادف كفرحه بالثناء الصدق، بل ربما طلب ذلك من غيره، وهذا مما يرفع قدره، ويرتقي بعلمه، ووعظه.

وهذا هو دأب الأكابر والعظماء.

وقال عمر بن عبد العزيز لمولاه مزاحم ـ رحمهما الله ـ "إن الولاة جعلوا العيون على العوام، وأنا أجعلك عيني على نفسي؛ فإن سمعت مني كلمة تربأ بي عنها، أو أفعالا لا تحبها ـ فعظني عنده، وانهني عنه"٢.

٥٠. الإقبال على الله، وإحسان معاملته ـ عز وجل ـ فذلك من أعظم الأسرار لنجاح الواعظ، ومن أكبر أسباب توفيقه وإعانته، وإقبال الناس عليه،

---

١ مجمع الأمثال للميداني ٤٣٢/١.

٢ عيون الأخبار ١٨/٢.." (١)

"يعنون بشأنه، ويتداعون للعمل به، أو الإقلاع عنه.

وما سطع الإيمان في نفس إلا كانت كالبلد الطيب ﴿يخرج نباته بإذن ربه﴾ ؛ فابذر ـ أيها الواعظ ـ في النفوس من الحكمة والموعظة الحسنة ما شئت أن تبذر؛ فلا تريك إلا نيات صالحة، وأعمالا راضية.

ثم إن مبلغ جهد الإنسان إنما هو البلاغ، والهداية بيد الله ـ عز وجل ـ قال ـ عز وجل ـ ﴿إن عليك إلا البلاغ﴾ [الشورى٤٩] .

وقال: ﴿ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء﴾ [البقرة: ٢٧٢] .

وقال: ﴿فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا﴾ [الشورى:٤٩] .

وقال: ﴿أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾ [يونس:٩٩] .

٥٥. أن يستشعر الواعظ أنه هو المقصود الأول من موعظته، وأنه مفتقر إلى الله ـ عز وجل ـ فذلك يدعوه إلى ربط القول بالعمل، ويردعه عن التمادي في الإعجاب، ويبعثه إلى الانطراح بين يدي الله ـ عز وجل ـ وسؤاله أن لا يكله إلى نفسه طرفة عين.

كما أن ذلك يقوده إلى التواضع، والزراية على النفس.

كل ذلك من أسباب توفيقه وتسديده.

فما أجمل أن يكون الواعظ كثير الانكسار والتذلل لله ـ عز وجل ـ وما أروع أن يستحضر معنى قوله ـ عندما يقول في مستهل موعظته ـ: "أوصيكم ونفسي بتقوى الله ـ عز وجل ـ".

---

(١) أدب الموعظة محمد بن إبراهيم الحمد ص/٩٤

ولقد كان العلماء الربانيون العالمون بالله وبأمره ـ عز وجل ـ يأخذون بهذه السيرة؛ فتراهم يستشعرون بأنهم أولى الناس بالتذكرة، وأنهم أخوف الناس على أنفسهم، وأرجاهم لغيرهم.." (١)

"وأخبر – صلى الله عليه وسلم –: "إن أحب الأعمال إلى الله –عز وجل– أدومها وإن قل" (١)، فأحب العمل أدومه وإن قل، فيكون تهنئتنا للمقبولين سببا لدوامهم على ما آتاهم الله –عز وجل– من أسباب التوفيق، فيقتدون في ذلك بسنة النبي – صلى الله عليه وسلم –: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾ [الأحزاب: ٢١].

تهانينا .. تهانينا

أيها المقبول، تهانينا؛ ولكن لا تغتر، إنما قبلت بتوفيق الله، وتسديد الله، وفضل الله ورحمته، وليس منك؛ فليتعلق قلبك بالله شكرا لله.

أيها المقبول، تهانينا؛ ولكن لا تفرح بعملك؛ فإن الله يستحق أكثر من ذلك.

أيها المقبول، تهانينا؛ ولكن احرس قلبك حتى لا تضيع لذة الطاعة التي حصلتها في رمضان.

أيها المقبول، تهانينا؛ ولكن احذر المشي والقعود مع البطالين والاغترار بهم.

أيها المقبول، تهانينا؛ ولكن اعلم أن علامة القبول الازدياد كل يوم من الطاعة.

أيها المقبول، تهانينا؛ ولكن سل نفسك: هل قوة الاندفاع للعبادة ضعفت عندك أم لا؟

أيها المقبول، تهانينا؛ ولكن هل لو مت الآن ستجد الله راضيا عنك.

---

(١) متفق عليه، البخاري (٦٠٩٩)، مسلم (٧٨٣).." "وأصله من أثر مشيه في الأرض فإن من مات لا يبقى له حركة فلا يبقى لقدمه في الأرض أثر (فليصل رحمه) قال ابن التين: ظاهر الحديث يعارض قوله تعالى: ﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ (الأعراف:٣٤) والجمع بينهما إما بحمل الزيادة على أنها كناية عن البركة في العمر بسبب التوفيق إلى طاعة الله وعمارة وقته بما ينفعه، ويقربه من مولاه تعالى ويقويه ما جاء من: أنه تقاصر أعمار أمته بالنسبة لأعمار من مضى من الأمم فأعطى ليلة القدر. وحاصله أن صلة الرحم سبب للتوفيق لمرضاة المولى وحفظ الأوقات عن الضياع في غير رضا فيبقى بعده الذكر الجميل، فكأنه لم يمت، أو يحمل الزيادة في الحديث على حقيقتها، وذلك بالنسبة للأجل المعلق المكتوب في اللوح المدفوع للملك، مثلا كتب فيه: إن أطاع فلان فعمره كذا وإلا فعمره كذا، وا سبحانه وتعالى عالم بالواقع منهما والأجل المحتوم في الآية على ما في علم الله سبحانه الذي لا تغير فيه، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾ (الرعد:٣٩) فالحديث فيه ما أشارت إليه أول الآية من الأجل المعلق، وقوله: ﴿عنده أم الكتاب﴾ أشار به إلى العلم الإلهي الذي لا تغير فيه البتة ويعبر عنه بالقضاء المبرم وعن الأول بالقضاء المعلق، والوجه الأول

---

(١) أدب الموعظة محمد بن إبراهيم الحمد ص/١٠٠

أليق بلفظ المذكور.

(٢/٤٦١)." [1]

"نصيحة لطلاب العلم

Q بعض من تسموا بطلبة العلم، وهيأت لهم الدولة كل الوسائل، ومع ذلك نائمون في سباتهم لا يعملون لطلب العلم ولا التحصيل، وهم أصبحوا عالة على مجتمعاتهم، ووبالا على أمتهم فما حكم الشرع فيهم؟

A أنا أشاركك في الفكرة أنه وجد في المجتمع من أهل التقصير كثير ممن هيئت لهم الأسباب، وتهيئة الأسباب توفيق من الله عز وجل ثم من أهل الخير القائمين على ذلك فنحمد الله عز وجل على ذلك، ووجد أن هناك كسلا، يعرف ذلك من يعايش التدريس، أو من يصحح في الامتحانات أو يرى في المقابلات المستوى العلمي الهابط، والسبب في ذلك الزهد في طلب العلم وكثرة المثبطات، ربما يرتاح كثير من طلبة العلم بالجلوس ساعة أو ساعتين على شرب إبريق من الشاي، وفي هذا الوقت ألف ابن تيمية كتابا كاملا وقد سلف في مناسبات أنه ألف كتاب التدمرية من صلاة الظهر إلى صلاة العصر، وقرأناه سنة فما فهمناه لأنها ﴿ تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم ﴾ [الأحقاف:٢٥] فالوقت الضائع هذا سببه الخمول والكسل وعدم معرفة طرق التحصيل، وهذه الكليات والمعاهد والمؤسسات العلمية إنما تعطي الإنسان أمورا تجريبية واستقرائية ومفاتيح لطلب العلم، أما العلم الغزير، والتحصيل العلمي، وتحقيق المسائل فلا يحصل إلا بمدارسة الكتب ومراجعة طلبة العلم والعكوف في البيت مع المكتبة، وحضور الجلسات وندوات الخير والمحاضرات والدروس وكثرة التعليم والتحقيق والمسائلة والمذاكرة، أما أن يبقى الإنسان هكذا! فلا يمكن أن يحصل على طائل من العلم، وقد يكون عنده نسبة من العلم، لكن قال أحد الحكماء: يهلك الأجسام نصف طبيب، ويهلك الأديان نصف عالم، ويهلك الجيل نصف مربي، لأنه يريد أن يوجههم وما عنده إلا نصف فقط فلو كان جاهلا لاعتذر وقال سامحوني ما عندي تربية.

ونصف عالم يهلك الناس ولو كان جاهلا لتعلم أو لتواضع وعرف نفسه، ولو كان عالما لأفاد لكن يرى أنه عالم وهو ليس بعالم هذه هي المشكلة.

وأسباب التحصيل تندرج في أمور:

الأمر الأول: تقوى الله الواحد الأحد، نسأل الله أن يرزقنا وإياكم تقواه.

الأمر الثاني: كثرة التوبة والاستغفار.

---

(١) الورد المصفى من كلام المصطفى – صلى الله عليه وسلم –، ١/١٠٥

الأمر الثالث: أن يكون لك همة في طلب العلم ولا تقل كبرت ولا شخت ولا شبت فأصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام تعلموا العلم كبارا.

الأمر الرابع: أن يكون لك مكتبة سمعية ونظرية تقرأ وتسمع، ويكون شغلك الشاغل هذا، ثم يكون لك مذاكرة مع طلبة العلم واستحضار، ولا تفوتك أي فائدة، ولا بد أن تعلق وتقول دائما: ﴿ وقل رب زدني علما ﴾ [طه:١١٤].

وأسباب حفظ العلم كما يقول ابن هبيرة الحنبلي صاحب الإفصاح : أسباب تحصيل العلم وحفظه ثلاثة:

السبب الأول: العمل بالعلم: فإذا عملت أنت بالأحاديث حفظك الله الحديث، والذي يريد أن يحفظ كتابا في الذكر لكنه لا يقرأ الأذكار الصباحية والمسائية وعند النوم وعند القيام فإنه لن يحفظه بل ينساه.

السبب الثاني: التصنيف: إذا بلغت إلى درجة أن تبحث المسألة وتحققها فهذا يثبت معك العلم لأنك تخرج الحديث وتراجعه وتحققه وتسأل عنه وتبحث فيثبت ويرسخ.

السبب الثالث: التعليم: تعليم الناس نحن نقول إننا لسنا أهلا لأن نجلس أمام هذه الوجوه لأن في الجمع من هو أعلم منا؛ لكن ليثبت العلم ولأن الإنسان يشحذ نفسه إذا علم أن عنده درس أو عنده إلقاء أو محاضرة أو كلمة فتراه راجع المسائل وحقق الأحاديث ورجع إلى التراجم، وأما إذا لم يعلم أن وراءه طلب ولا كلمة ولا درس فقد لا يهتم بهذا، فالعلم يحفظ بالتعليم والتصنيف والعمل به، فيدعو طلبة العلم إلى أن ينفقوا مما أعطاهم الله عز وجل ويزكوا هذا الميراث وهذا الكنز الذي معهم وهو الدعوة إلى الله عز وجل، ومن كان في قرية أو مدينة أو بادية أو ضاحية فإذا ذهب إلى أهله فليكن رسول خير وداعية إسلام يتحدث بما سهل الله عز وجل، فإن الناس لا يريدون كثرة علم، يريدون أي حديث بشرط أن تكون مخلصا صادقا متمكنا مما تقول، تسأل الله منه المثوبة وحسن العرض وحسن الخلق للناس فسوف يستفيدون: ﴿ بلغوا عني ولو آية ﴾ ﴿ نضر الله امرءا سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها فرب مبلغ أوعى من سامع ﴾.

أسأل الله لي ولكم القبول والهداية والرشد، وأن يعيننا وإياكم على الدنيا والآخرة، ويسهل لنا أمورنا جميعا وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.." (١)

"٣٣- لا يوجد دين أنقذ الرقيق من المعاملات الوحشية وأمر بمساواته لسادته وحض على إعتاقه إلا الإسلام.

٣٤- لا يوجد دين قرر سيادة العقل والخضوع لحكمه إلا الإسلام.

٣٥- لا يوجد دين ينقذ الفقراء والأغنياء بفرض جزء من مال الأغنياء يعطى للفقراء إلا الإسلام.

٣٦- لا يوجد دين قرر من الأخلاق مقتضى الفطرة والحكمة الإلهية، فللشدة موقف وللرحمة موقف إلا الإسلام.

---

(١) خطب ومحاضرات للشيخ عائض القرني، ٢٦/٦٧

٣٧- لا يوجد دين أمر بالإحسان والرفق بجميع الخلق إلا الإسلام.

٣٨- لا يوجد دين قرر أصول الحقوق المدنية على قواعد فطرية إلا الإسلام.

٣٩- لا يوجد دين اعتنى بصحة الإنسان وثروته إلا الإسلام.

٤٠- لا يوجد دين أثر في النفوس والأخلاق والعقول كالإسلام. (١) #

نصيحة لطلبة العلم

لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز

رئيس إدارات البحوث والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله، نبينا محمد وآله وصحبه. أما بعد: فلا ريب أن طلب العلم من أفضل القربات، ومن أسباب الفوز بالجنة والكرامة لمن عمل به، ومن أهم المهمات الإخلاص في طلبه، وذلك بأن يكون طلبه لله لا لغرض آخر، لأن ذلك هو سبيل الانتفاع به، وسبب التوفيق لبلوغ المراتب العالية في الدنيا والآخرة.

وقد جاء في الحديث عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال "من تعلم علما مما يبتغي به وجه الله، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا، لم يجد عرف الجنة يوم القيامة" يعني ريحها أخرجه أبو داود بإسناد حسن. وأخرج الترمذي بإسناد فيه ضعف عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه قال "من طلب العلم ليجاري به العلماء، أو ليماري به السفهاء، أو ليصرف به وجوه الناس إليه، أدخله الله النار".

---

(١) التفسير العصري القديم — ج ٣.وأنظر كتاب الإسلام والرسول في نظر منصفي الشرق والغرب- تأليف أحمد بن حجر آل بوطامي قاضي المحكمة الشرعية بدولة قطر- ص ١١٧-١١٩.." [١]

"فرحة الأمة بحلول هذا الشهر الكريم

إخوة الإسلام: ويا لها من فرحة غامرة تعيشها الأمة الإسلامية هذه الأيام، فهي إزاء دورة جديدة من دورات الفلك السيار، والزمن الدوار، وإن في مرور الليالي والأيام لعبرا، وفي تصرم الشهور والأعوام لمزدجرا ومدكرا.

تمر الأيام وما أسرعها! وتمضي الشهور وما أعجلها! ويطل علينا موسم كريم، وشهر عظيم، ويفد علينا وافد حبيب وضيف عزيز، فبعد ساعات معدودات يهل علينا شهر رمضان المبارك بأجوائه العبقة، وأيامه المباركة الوضاءة، ولياليه الغر المتلألئة، ونظامه الفريد المتميز، وأحكامه وحكمه السامية.

---

(١) الثمار اليانعة من الكلمات الجامعة، ١٥/١

هو من فضل الله سبحانه وتعالى على هذه الأمة لما له من الخصائص والمزايا، ولما أعطيت فيه أمة محمد صلى الله عليه وسلم من الهبات وخصت فيه من الكرامات، كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿ إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وأغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين ﴾.

فيا لها من فرصة عظيمة، ومناسبة كريمة، تصفو فيها النفوس، وتهفو إليها الأرواح، وتكثر فيها دواعي الخير، تفتح الجنات، وتتنزل الرحمات، وترفع الدرجات، وتغفر الزلات، وتحط الأوزار والخطيئات، يجزل الله فيها العطايا والمواهب، ويفتح أبواب الخير لكل راغب، ويعظم أسباب التوفيق لكل طالب، فلله الحمد والشكر على جزيل نعمائه، وترادف مننه وآلائه.." (١)

"خطر تفكك النسيج الاجتماعي

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له فالق الإصباح، شرع لعباده النكاح، وحرم عليهم السفاح، وأشهد أن نبينا محمدا عبد الله ورسوله، إمام الدعاة ورائد الإصلاح، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أولي التقى والصلاح، والتابعين ومن تبعهم بإحسان ما تعاقب المساء والصباح، وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد:

فأوصيكم –عباد الله– ونفسي بتقوى الله عز وجل، فإنها سبب التوفيق والنجاح، وطريق العز والصلاح، وينبوع الخير والفلاح.

أيها المسلمون: إن النسيج الاجتماعي المترابط في الأمة دعامة من دعائم سعادتها واستقرارها، وركيزة من ركائز نموها وازدهارها، والمنظومة الاجتماعية الخيرة في المجتمعات قاعدة كبرى في إرساء حضارتها وبناء أمجادها، والخلل الاجتماعي في أي أمة نذير خطر يهدد كيانها لما يحدثه من صدوع عميقة في بنائها الحضاري، ونظامها الاجتماعي، مما يهدد البنية التحتية الاجتماعية، ويستأصل شأفتها.

والمتأمل في الواقع الاجتماعي لكثير من المجتمعات يدرك ما أحدثته المتغيرات الحضارية من نقلة نوعية في حياة الأفراد والأسر والبيوتات، انعكست آثارها السلبية على كافة المستويات، لا سيما في القضايا الاجتماعية، فبعد أن كانت قضايا الأمة الاجتماعية متسمة باليسر والسهولة انقلبت إلى صور جديدة متسمة بالعنت والمشقة والتعقيد، لتظهر أنماط جديدة وظواهر خطيرة يخشى أن تسهم في خلخلة النظام الاجتماعي في الأمة، ويأتي الانفتاح العالمي، والتواصل الحضاري، بين

---

(١) خطب للشيخ عبد الرحمن السديس، ٣/٤

الشعوب والمجتمعات ليسهم في إبرام هذه الظواهر وإذكاء سعير هذه المظاهر؛ مما يتطلب التأكيد على التمسك بثوابت الأمة وأصولها وأخلاقها وقيمها ونظمها.

ولعل من أبرز الظواهر والسلبيات التي أذكتها المتغيرات والمستجدات: تلك الظواهر الاجتماعية الخطيرة التي تعصف بكيان الأسر، وتهدد تماسك المجتمع، حتى تقلصت وظائف البيت، وضعفت مسئوليات الأسرة، وكثرت ظواهر العقوق، وتخلى كثير من الأبناء والآباء عن أداء الحقوق، وعلت نسبة العنوسة، وكثرت المشكلات الاجتماعية، وارتفعت معدلات الطلاق، وتعددت أسباب الانحراف والجريمة والانتحار والمخدرات والمسكرات، وجنوح الأحداث، وتشرد الأطفال والعنف العائلي، وتفككت كثير من العلاقات الاجتماعية، وضعف تواصل الأرحام وذوي القربى، وسادت القطيعة والجفاء، وعم الحقد والحسد والبغضاء، وأسندت مهمة البيت وتربية النشء للخدم والسائقين، وضعفت أواصر المودة ووشائج الأخوة، وانتشرت ظواهر البطالة والاستهلاك التفاخري بين مطرقة الديون وسندان التقسيط، وشاعت قيم الآحادية والأنانية محل القيم الجماعية والإيثارية، وأهملت قضايا المرأة في حجابها وعفافها، واشتكت كثير من المجتمعات من تبرجها وسفورها، مما يشكل أزمة اجتماعية وتربوية محدقة، ويفرز أجيالا جديدة وفق معطيات ثقافية مخالفة لعقيدتنا، وقيم مخالفة لمجتمعاتنا المحافظة، مما يتطلب من الغيورين إيلاء القضايا الاجتماعية في الأمة حقها من العناية والتركيز والاهتمام والرعاية .." (١)

"مكانة البيت العتيق

الحمد لله؛ بوأ لخليله إبراهيم عليه السلام مكان البيت العتيق، وجمع لمن قصده خالصا مخلصا أسباب التوفيق، أحمده سبحانه وأشكره وأتوب إليه وأستغفره، يسر السبيل لبيته المحرم؛ فجاءوا حجاجا وعمارا من كل فج عميق.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة بها المخرج من كل ضيق، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبد الله ورسوله، ذو المجد المؤثل والنسب العريق، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد:

فأوصيكم -أيها الناس- ونفسي بتقوى الله عز وجل، فتقوى الله سبيل النجاة، وطريق الفلاح، فاتقوه رحمكم الله لعلكم تفلحون.

أيها المسلمون: ها هم حجاج بيت الله الحرام تتوافد أفواجهم إلى هذه الأرض الطيبة المباركة في خطا وئيدة متهيبة.

(١) خطب للشيخ عبد الرحمن السديس، ٢/١٣

أيها الحاج الكريم! إن فيضا دفاقا من المشاعر والأحاسيس يملك عليك روحك وقلبك، وأنت تقلب بصرك الثاقب وبصيرتك الواعية، فإذا أنت تعيش خطا محمد صلى الله عليه وسلم، وصحب محمد صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم وأرضاهم في صورة حية نابضة، ومشاعر لله عابدة، وأشواق حارة في الإقبال على هذا البيت ورب هذا البيت.

أرض مباركة ضمت أروع حوادث التاريخ، وأعظم ملاحم الإنسانية، أرض تروي أوديتها وجبالها ووهادها ورمالها تاريخا عبقا، طويلا عريضا، زاخرا بالبطولات، وألوان الجهاد والانتصارات، ومصارع الشهداء في سبيل الله، وإعلاء كلمة الحق.

أرض تغيرت بسيرتها ومسيرتها معالم التاريخ، وقفزت بالإنسانية إلى أبعد الآفاق في المعالي والحياة الكريمة.

تقدم -أيها الحاج- إلى هذه البلاد الطيبة الطاهرة، وهي تمد يديها إليك مرحبة، يتشرف أهلها بقدومك، ويتقربون إلى الله بخدمتك، ولاة الأمر فيها صادقون جادون في كل ما ييسر الحج، ويعين على أداء النسك.

حفظك الله!

كم وقف بساحاتها من الجموع؟! وكم سالت على ثراها من الدموع؟! وكم ذابت في عرصاتها فوارق الأجناس واللغات؟!

كم اعتز بها من ذليل لاذ بجناب الله! وبورك فيها من منكسر انطرح بين يدي مولاه؟!

كم تآلفت فوقها قلوب! وفرجت على ثراها كروب! وحطت فيها من أوزار وغفرت ذنوب؟!

كم امتزجت فيها دموع المذنبين! وتعانقت أصوات المستغفرين! وتوحدت رغبات الراغبين؟!

كم تجردت فيها النيات! وسالت على جنباتها العبرات؟!

هذه هي الأرض الطيبة المباركة التي تقدم إليها، فماذا أعددت؟! وكيف تهيأت؟!

أيها الحاج: دمت في رعاية الله وكنفه.

إن الحج عبادة عظيمة تتداخل فيها أنواع من العبادات لا يتيسر تداخلها في غيره: عبادة في المال، وعبادة في البدن، أعمال بالقلوب والألسنة والجوارح، جمعت أنواعا من التعبد عملا وقولا ونية .." (١)

"وصايا ونتائج

ولكي تتم الفرحة بهذه البشائر، ولكي تلحق بالركب، ولتنال شرف نصرة هذا الدين فإليك هذه الوصايا التي لا يتم الموضوع إلا بها .

---

(١) خطب ورسائل للشيخ صالح بن حميد، ٢/١٧

أولا : يتعجب بعض الناس من هيمنة الغرب ودوره القيادي، فأقول: لا تعجب أيها الحبيب! فإن من سنة الله عز وجل في خلقه أن من عمل وسعى وبذل جهده، وطاقته في تحصيل مقصد أو هدف وصل إليه ما لم تقم بعض الموانع والأسباب الحائلة دون ذلك، فالمسلمون حين يستجمعون قوتهم، وحين يستجمعون أسباب التوفيق والتمكين المادية والمعنوية فإنهم يصلون إلى ما وصل إليه الغرب وأكثر –أقصد في القيادة والريادة– فهم مع ذلك –أي: المسلمون– يملكون العون من الله والتوفيق لأنهم حملة دينه، وحماة شريعته.

إذا: فالغرب وصل إلى ما وصل إليه الآن بالجد والعمل والمثابرة، ولو عمل المسلمون بهذه الأسباب لنالوا ذلك لأننا نتفوق على الغرب بالعقيدة –بلا إله إلا الله– فإن تخلينا عن لا إله إلا الله، وتخلينا عن هذا الدين انخفضنا وارتقى الغرب علينا، وأصبحت القيادة والريادة بيده كما هو حال الناس اليوم .

ثانيا: متى يكون هذا النصر للإسلام؟! اليوم أو غدا أم بعد سنوات هذا السؤال ربما خطر على بعض الناس، فأقول: المهم أن تثق بنصرة هذا الدين، وقد لا تشهد أنت هذه النصرة، ولكن اسأل هل أنت ممن صنع هذه النصرة؟ هل أنت ممن شارك في هذه النصرة؟ ما هو رصيدك من العمل والدعوة والعبادة؟ ما هو رصيدك من البذل والتضحية والصبر في سبيل الله ومن أجل هذا الدين؟ إن النصر لا ينزل كما ينزل المطر، وإن الإسلام لا ينتشر كما تنتشر أشعة الشمس من حين تشرق، ألم تقرأ في القرآن قول الحق عز وجل: ﴿ حتى إذا استيئس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا ﴾ [يوسف:١١٠] بعد الشدة وبعد وصول الأمر منتهاه جاء الفرج وجاء النصر، ألم تقرأ في القرآن قول الحق عز وجل: ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه ﴾ [البقرة:٢١٤] بلغ الأمر منتهاه ﴿ متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب ﴾ [البقرة:٢١٤].

إذا: فالأمر يتطلب منا أن نبذل ما نستطيع من جهود مالية وبدنية وفكرية لنشر الخير، ابذل يا أخي الحبيب! ما تستطيع من أي جهد مالي أو فكري أو بدني لنشر الخير، فالصور كثيرة وأبواب الخير كثيرة جدا، والدعوة في هذا المجتمع، وإصلاح ما نراه فيه من خلل مهما بذل الإنسان من جهد فإنه قليل في ذات الله عز وجل .

ثالثا: الاستمرار بالدعاء والإلحاح فيه وعدم الانقطاع، خاصة عند حدوث الفتن ونزول المصائب، وهذا الأمر مطلب شرعي تركه والغفلة عنه سبب للعذاب، اسمع لقول الحق عز وجل يوم أن قال: ﴿ ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون * فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون ﴾ [الأنعام:٤٢-٤٣] نعوذ بالله من قسوة القلب.

رابعا: موتانا في الجنة وموتاهم في النار، الدنيا لهم والآخرة لنا، حقيقة نسيها المسلمون حتى أصبحت الدنيا لكثير من المسلمين غاية وهدفا، فأصابهم الهوان والذل، وهذا هو واقع كثيرا من المسلمين، والله يقول ﴿ ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ﴾ [آل عمران:١٣٩] والهوان قد يكون للالتفات للدنيا وملذاتها وشهواتها .

خامسا: لا ننس ضعف كيد الكافرين مهما كان عملهم، ومهما كانت قوتهم، فإن سعيهم في ضلال مهما كان هذا الكيد، ومهما كان هذا الجهد لحرب الإسلام والمسلمين، ومهما اتبعوا من وسائل فإن الله يقول عز وجل يقول: ﴿ الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت)[النساء:٧٦] انظر المبادئ انظر العقيدة!! ﴿ الذين

آمنوا يقاتلون في سبيل الله ﴾ ويكفي هذا فخرا ونصرة ﴿ والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا ﴾ [النساء:٧٦].

الله عز وجل يخبرنا أن كيد الشيطان وأولياؤه كان ضعيفا، لكن هذا الكيد المهم أنه كيد مادام أنه وجد ضعفا من المسلمين فسيكون الأعلى مع ضعفه وهوانه وحقارته ما دام وجد من المسلمين هوانا وضعفا فإن هذا الكيد الضعيف ما دام كيدا وعملا يرتقي ويصبح عاليا على المسلمين، وإلا فكيد الشيطان وأولياء الشيطان كيد ضعيف، وقال عز وجل: ﴿ ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين ﴾ [الأنفال:١٨] المهم اعمل تحرك فكر ابذل لهذا الدين، ادع لله عز وجل كيفما استطعت، سجل في موازين أعمالك وفي حسناتك أعمالا صالحة، سجل فيها أناسا اهتدوا وصلحوا على يديك، وستجد أثر ذلك، تحرك إلى الله عز وجل، ابذل ما تستطيع، حرك الأمة معك، فكر بحال الأمة، احمل هم الدنيا وهم هذه الأمة، ستجد بعد ذلك نصرة الله عز وجل وستجد التوفيق من الله عز وجل؛ لأن الله عز وجل أخبرنا أنه موهن كيد الكافرين، مهما كان هذا الكيد ومهما بلغ، وقال عز وجل: ﴿ وما كيد الكافرين إلا في ضلال ﴾ [غافر:٢٥] وقال: ﴿ إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون ﴾ [الأنفال:٣٦].

هذه هي الحقيقة بعد ذلك توكل على الله عز وجل، وقم يا أخي الحبيب! ولا يصيبك الهوان ولا يصيبك الخمول ما دمت واثقا بنصرة هذا الدين، وواثقا بهذه البشائر وبهذه المبشرات.

اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه، اللهم إنا نسألك للإسلام نصرا مؤزرا في كل مكان، اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك، اللهم انصر عبادك المخلصين في كل مكان، اللهم أعل مكانتهم، اللهم احفظهم بحفظك يا حي يا قيوم، اللهم إنك خير حافظا وأنت أرحم الراحمين، اللهم من أراد بالإسلام والمسلمين سوءا فأشغله بنفسه، اللهم أشغله بنفسه، اللهم اجعل كيده كيدا عليه، اللهم اجعل كيده تدبيرا تدميرا عليه، اللهم من كاد للإسلام بأمر سوء فكده يا حي يا قيوم، اللهم اجعل تدبيره تدميرا عليه، اللهم اجعلنا من جندك المخلصين، اللهم اجعلنا من الصالحين المصلحين، اللهم انفع بنا، اللهم انفعنا وانفع بنا، اللهم أقر أعيننا بعزة الإسلام والمسلمين.

سبحانك اللهم وبحمدك نشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وسلم تسليما كثيرا .." (١)

"خامسا: إحضار جميع الأدوات المطلوبة والمسموح بها كالأقلام وأدوات الهندسة والحاسبات لأن حسن الاستعداد يعين على الإجابة.

سادسا: تذكر دعاء الخروج من البيت (بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله اللهم إني أعوذ بك أن أضل أو أضل أو أزل أو أزل أو أن أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل علي) ولا تنسى التماس رضى والديك فدعوتهما مستجابة.

سابعا: أن تسمي بالله قبل البدء لأن التسمية مشروعة في ابتداء كل عمل مباح وفيها بركة واستعانة بالله وهي من أسباب

---

(١) خطب ومحاضرات للشيخ إبراهيم الدويش، ١٧/٢٢

التوفيق.

ثامنا: اتقي الله في زملائك فلا تثر لديهم القلق ولا الفزع قبيل الاختبار فالقلق مرض معد بل أدخل عليهم التفاؤل بالعبارات الطيبة المشروعة وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم لما جاءه سهيل المشرك قال (سهل لكم من أمركم وكان يجب إذا خرج لحاجته أن يسمع يا راشد يا نجيح) لأن الرشد والنجاح مما يتفاؤل به في هذه الأسماء.

تاسعا: ذكر الله يطرد القلق والتوتر وإذا استغلقت عليك مسألة فادعو الله أن يهونها عليك وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إذا استغلق عليه فهم شيء يقول (يا معلم إبراهيم علمني ويا مفهم سليمان فهمني)

تاسعا: اختر مكانا جيدا للجلوس أثناء الاختبار وحافظ على استقامة ظهرك وأن تجلس على الكرسي جلسة صحية.

عاشرا: تصفح الامتحان أولا والأبحاث توصي بتخصيص ١٠ ٪ من وقت الامتحان لقراءة الأسئلة بدقة وعمق وتحديد الكلمات المهمة وتوزيع الوقت على الأسئلة.

الحادي عشر: خطط لحل الأسئلة السهلة أولا والصعبة لاحقا وأثناء قراءة الأسئلة اكتب ملاحظات وأفكار لتستخدمها في الإجابة.

الثاني عشر: أجب على الأسئلة حسب الأهمية

الثالث عشر: ابتدأ بحل الأسئلة التي تعرفها ثم اشرع في حل الأسئلة ذات العلامات الأعلى وأخر الأسئلة التي لا يحضرك جوابها أو ترى أنها ستأخذ وقتا للتوصل فيها إلى نتيجة أو التي خصص لها درجات أقل.." [١]

"(وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ) أي ونزّه ربك عما لا يليق به ، وصل له واعبده وقتي العصر والمغرب ، وخصهما بالذكر لزيادة فضلهما وشرفهما .

(وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ) قيل : التسبيح بعد الصلاة .

(وَأَدْبَارَ السُّجُودِ) قيل : هما الركعتان بعد المغرب .

الفوائد :

أن الله أهلك كثيراً من القرون والأمم بسبب ذنوبها .

أن الله لا يعجزه شيء .

التهديد الشديد لمن كذب بالرسول محمد – صلى الله عليه وسلم – ، فإن الله قد أهلك قبلهم من هم أقوى منهم وأشد عدة وعتاداً .

وجوب الاعتبار بهلاك الأمم الماضية .

من علامات كمال العقل أن يعتبر الإنسان بأخبار من مضى وهلاكهم .

أن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام .

تنزيه الله عن صفات النقص كالتعب والعجز .

---

(١) جميع دروس ومحاضرات قناة المجد، ١٤١/٣

الرد على اليهود الذين قالوا إن الله تعب فاستراح السبت .

واليهود – عليهم لعائن الله – وصفوا الله بأقبح الأوصاف .

فقد قالوا (لَّقَدْ سَمِعَ اللّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء) .

ونسبوا له الولد (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ) .

وجوب الصبر على مشاق الدعوة ، فبالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين .

وقد قال تعالى (فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل) .

أن الصلاة وكثرة ذكر الله من أسباب توفيق الله للعبد على الصبر وتحمل المشاق .

(وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ (٤١) يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ (٤٢) إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ (٤٣) يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعاً ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ (٤٤) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ) .

------------------------." (١)

"لطائف الإشارات ، ج ٣ ، ص : ٥٨

قوله جل ذكره :

[سورة القصص (٢٨) : آية ١٦]

قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم (١٦)

تاب موسى عما جرى على يده ، واستغفر ربه ، وأخبر الله أنه غفر له ، ولا عتاب «١» بعد المغفرة.

قوله جل ذكره :

[سورة القصص (٢٨) : آية ١٧]

قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرا للمجرمين (١٧)

قال موسى رب بما أنعمت علي من توفيقك لى بالتوبة «٢» فلن أعود بعد ذلك إلى مثل ما سلف منى.

قوله جل ذكره :

[سورة القصص (٢٨) : الآيات ١٨ الى ١٩]

فأصبح في المدينة خائفا يترقب فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه قال له موسى إنك لغوي مبين (١٨) فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى أ تريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس إن تريد إلا أن تكون جبارا في الأرض و ما تريد أن تكون من المصلحين (١٩)

أصبح في المدينة خائفا على نفسه من فرعون لأنه كان يدعى أنه يحكم بالعدل ، وخاف موسى أن ينسبه في قتل القبطي إلى العمد والقصد. فهو «يترقب» علم فرعون وأن يخبر بذلك في وقته.

---

(١) تفسير سورة ق، ص/٣٢

(١) هكذا في النسختين ولا نستبعد أن تكون (عقاب) بالقاف فالسياق يحتملها أيضا وإن كانت (عتاب) أليق بمقام النبوة.

(٢) حقيقة التوبة أن يتوب الله عليك أولا ، ويهيىء لك أسباب التوفيق لذلك ، فإذا شكرت فاشكر له ، فعملك لا يكفى ولا يغنى عن فضل الله.." [1]

"٨٦- وسار حتى وصل إلى مكان سحيق جهة الغرب ، فوجد الشمس - فى رأى العين - تغرب فى مكان به عين ذات ماء حار وطين أسود ، وبالقرب من هذه العين وجد ذو القرنين قوما كافرين ، فألهمه الله أن يتخذ فيهم أحد أمرين : إما أن يدعوهم إلى الإيمان ، وهذا أمر حسن فى ذاته ، وإما أن يقاتلهم إن لم يجيبوا داعى الإيمان .

٨٧- فأعلن ذو القرنين فيهم : أن من ظلم منهم نفسه بالبقاء على الشرك ، استحق العذاب الدنيوى على يديه ، ثم يرجع إلى ربه فيعذبه عذابا شديدا ليس معروفا لهم .

٨٨- وأن من استجاب له وآمن بربه وعمل صالحا ، فله العاقبة الحسنى فى الآخرة ، وسنعامله فى الدنيا برفق ويسر .

٨٩- ثم سار ذو القرنين كذلك ، مستعينا بتوفيق الله ، واتبع سببا للوصول إلى مطلع الشمس مشرقا .

٩٠- حتى بلغ مشرق الشمس - فى رأى العين - فى نهاية ما وصل إليه من العمران ، فوجدها تطلع على قوم يعيشون على الفطرة الأولى لا يسترهم من حرها ساتر .

٩١- وكما دعا ذو القرنين السابقين من أهل المغرب إلى الإيمان دعا هؤلاء وسار فيهم سيرته الأولى .

٩٢- ثم سار كذلك مستعينا بما هيأ الله له من أسباب التوفيق ، سالكا طريقا بين الشرق والغرب .." [2]

"٥٥٢٦ - قوله : (محمد بن معن)

أي ابن محمد بن معن بن نضلة بنون مفتوحة ومعجمة ساكنة ابن عمرو ، ولنضلة جده الأعلى صحبة ، وهو قليل الحديث موثق ليس له في البخاري سوى هذا الحديث ، وكذا أبوه لكن له موضع آخر أو موضعان .

قوله : (سعيد هو ابن أبي سعيد)

المقبري .

قوله : (من سره أن يبسط له في رزقه)

في حديث أنس " من أحب " وللترمذي وحسنه من وجه آخر عن أبي هريرة " إن صلة الرحم محبة في الأهل ، مثراة في المال ، منسأة في الأثر " وعند أحمد بسند رجاله ثقات عن عائشة مرفوعا " صلة الرحم وحسن الجوار وحسن الخلق يعمران الديار ويزيدان في الإعمار " وأخرج عبد الله بن أحمد في " زوائد المسند " والبزار وصححه الحاكم من حديث علي نحو حديثي الباب قال : " ويدفع عنه ميتة السوء " ولأبي يعلى من حديث أنس رفعه " إن الصدقة وصلة الرحم يزيد الله بهما

(١) لطائف الإشارات موافقا للمطبوع، ٥٨/٣

(٢) المنتخب، ٢/٢

في العمر ، ويدفع بهما ميتة السوء " فجمع الأمرين ، لكن سنده ضعيف . وأخرج المؤلف في " الأدب المفرد " من حديث ابن عمر بلفظ " من اتقى ربه ووصل رحمه نسئ له في عمره ، وثري ماله ، وأحبه أهله " .

قوله : (وينسأ)

بضم أوله وسكون النون بعدها مهملة ثم همزة أي يؤخر .

قوله : (في أثره)

أي في أجله ، وسمي الأجل أثرا لأنه يتبع العمر ، قال زهير : والمرء ما عاش ممدود له أمل لا ينقضي العمر حتى ينتهي الأثر وأصله من أثر مشيه في الأرض ، فإن من مات لا يبقى له حركة فلا يبقى لقدمه في الأرض أثر ، قال ابن التين : ظاهر الحديث يعارض قوله تعالى : (فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) والجمع بينهما من وجهين :

أحدهما : أن هذه الزيادة كناية عن البركة في العمر بسبب التوفيق إلى الطاعة ، وعمارة وقته بما ينفعه في الآخرة ، وصيانته عن تضييعه في غيره ذلك . ومثل هذا ما جاء أن النبي صلى الله عليه وسلم تقاصر أعمار أمته بالنسبة لأعمار من مضى من الأمم فأعطاه الله ليلة القدر . وحاصله أن صلة الرحم تكون سببا للتوفيق للطاعة والصيانة عن المعصية فيبقى بعده الذكر الجميل ، فكأنه لم يمت . ومن جملة ما يحصل له من التوفيق العلم الذي ينتفع به من بعده ، والصدقة الجارية عليه ، والخلف الصالح . وسيأتي مزيد لذلك في كتاب القدر إن شاء الله تعالى . ثانيهما : أن الزيادة على حقيقتها ، وذلك بالنسبة إلى علم الملك الموكل بالعمر ، وأما الأول الذي دلت عليه الآية فبالنسبة إلى علم الله تعالى ، كأن يقال للملك مثلا : إن عمر فلان مائة مثلا إن وصل رحمه ، وستون إن قطعها . وقد سبق في علم الله أنه يصل أو يقطع ، فالذي في علم الله لا يتقدم ولا يتأخر ، والذي في علم الملك هو الذي يمكن فيه الزيادة والنقص وإليه الإشارة بقوله تعالى : (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) فالمحو والإثبات بالنسبة لما في علم الملك ، وما في أم الكتاب هو الذي في علم الله تعالى فلا محو فيه البتة . ويقال له القضاء المبرم ، ويقال للأول القضاء المعلق . والوجه الأول أليق بلفظ حديث الباب ، فإن الأثر ما يتبع الشيء ، فإذا أخر حسن أن يحمل على الذكر الحسن بعد فقد المذكور . وقال الطيبي : الوجه الأول أظهر ، وإليه يشير كلام صاحب " الفائق " قال : ويجوز أن يكون المعنى أن الله يبقي أثر واصل الرحم في الدنيا طويلا فلا يضمحل سريعا كما يضمحل أثر قاطع الرحم . ولما أنشد أبو تمام قوله في بعض المراثي : توفيت الآمال بعد محمد وأصبح في شغل عن السفر السفر قال له أبو دلف : لم يمت من قيل فيه هذا الشعر . ومن هذه المادة قول الخليل عليه السلام (واجعل لي لسان صدق في الآخرين) وقد ورد في تفسيره وجه ثالث ، فأخرج الطبراني في " الصغير " بسند ضعيف عن أبي الدرداء قال : " ذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم من وصل رحمه أنسئ له في أجله ، فقال : إنه ليس زيادة في عمره ، قال الله تعالى : (فإذا جاء أجلهم) الآية ؛ ولكن الرجل تكون له الذرية الصالحة يدعون له من بعده " . وله في " الكبير " من حديث أبي مشجعة الجهني رفعه " إن الله لا يؤخر نفسا إذا جاء أجلها ، وإنما زيادة العمر ذرية صالحة " الحديث .

وجزم ابن فورك بأن المراد بزيادة العمر نفي الآفات عن صاحب البر في فهمه وعقله . وقال غيره في أعم من ذلك وفي وجود البركة في رزقه وعلمه ونحو ذلك .." [1]

"مطابقته للترجمة ظاهرة ومحمد بن معن بفتح الميم وسكون العين المهملة وبالنون ابن محمد بن معين بن نضلة بفتح النون وسكون الضاد المعجمة ابن عمرو المدني الغفاري ونضلة له صحبة كان يسكن في ناحية العرج ومحمد بن معن يروي عن أبيه معن بن محمد وهو ثقة وليس له في البخاري سوى هذا الحديث وكذا أبوه ليس له إلا موضع آخر أو موضعان وسعيد بن أبي سعيد هو المقبري واسم أبي سعيد كيسان والحديث من أفراده قوله وأن ينسأ له من النسأ بفتح النون وسكون السين المهملة وبالهمزة في آخره وهو التأخير أي يؤخر له في أثره أي في أجله وأثر الشيء هو ما يدل على وجوده ويتبعه والمراد به ههنا الأجل وسمي به لأنه يتبع العمر فإن قلت الآجال مقدرة وكذا الأرزاق لا تزيد ولا تنقص فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون قلت أجيب عن هذا بوجهين (أحدهما) أن هذه الزيادة بالبركة في العمر بسبب التوفيق في الطاعات وصيانته عن الضياع وحاصله أنها بحسب الكيف لا الكم (والثاني) أن الزيادة على حقيقتها وذلك بالنسبة إلى علم الملك الموكل بالعمر وإلى ما يظهر له في اللوح المحفوظ بالمحو والإثبات فيه يمحو الله ما يشاء ويثبت كما أن عمر فلان ستون سنة إلا أن يصل رحمه فإنه يزاد عليه عشرة وهو سبعون وقد علم الله عز وجل بما سيقع له من ذلك فبالنسبة إلى الله تعالى لا زيادة ولا نقصان ويقال له القضاء المبرم وإنما يتصور الزيادة بالنسبة إليهم ويسمى مثله بالقضاء المعلق ويقال المراد بقاء ذكره الجميل بعده فكأنه لم يمت وهو إما بالعلم الذي ينتفع به أو الصدقة الجارية أو الخلف الصالح

٥٩٨٦ - حدثنا (يحيى بن بكير) حدثنا (الليث) عن (عقيل) عن (ابن شهاب) قال أخبرني (أنس بن مالك) أن رسول الله قال من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه (انظر الحديث ٢٠٦٧)." [2]

"عبد الله بن أحمد في "زوائد المسند" والبزار وصححه الحاكم من حديث علي نحو حديثي الباب قال: "ويدفع عنه ميتة السوء" ولأبي يعلى من حديث أنس رفعه: "إن الصدقة وصلة الرحم يزيد الله بهما في العمر، ويدفع بهما ميتة السوء" فجمع الأمرين، لكن سنده ضعيف. وأخرج المؤلف في "الأدب المفرد" من حديث ابن عمر بلفظ: "من اتقى ربه ووصل رحمه نسئ له في عمره، وثري ماله، وأحبه أهله". قوله: "وينسأ" بضم أوله وسكون النون بعدها مهملة ثم همزة أي يؤخر. قوله: "في أثره" أي في أجله، وسمي الأجل أثرا لأنه يتبع العمر، قال زهير:

والمرء ما عاش ممدود له أمل ... لا ينقضي العمر حتى ينتهي الأثر

وأصله من أثر مشيه في الأرض، فإن من مات لا يبقى له حركة فلا يبقى لقدمه في الأرض أثر، قال ابن التين: ظاهر الحديث يعارض قوله تعالى: ﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ والجمع بينهما من وجهين: أحدهما: أن هذه الزيادة كناية عن البركة في النمر بسبب التوفيق إلى الطاعة، وعمارة وقته بما ينفعه في الآخرة، وصيانته عن تضييعه في غيره ذلك. ومثل هذا ما جاء أن النبي صلى الله عليه وسلم تقاصر أعمار أمته بالنسبة لأعمار من مضى من الأمم

---

(١) فتح الباري لابن حجر، ١١٢/١٧

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ١٦٠/٣٢

فأعطاه الله ليلة القدر. وحاصله أن صلة الرحم تكون سببا للتوفيق للطاعة والصيانة عن المعصية فيبقى بعده الذكر الجميل، فكأنه لم يمت. ومن جملة ما يحصل له من التوفيق العلم الذي ينتفع به من بعده، والصدقة الجارية عليه، والخلف الصالح.

وسيأتي مزيد لذلك في كتاب القدر إن شاء الله تعالى. ثانيهما: أن الزيادة على حقيقتها، وذلك بالنسبة إلى علم الملك الموكل بالعمر، وأما الأول الذي دلت عليه الآية فبالنسبة إلى علم الله تعالى، كأن يقال للملك مثلا: إن عمر فلان مائة مثلا إن وصل رحمه، وستون إن قطعها. وقد سبق في علم الله أنه يصل أو يقطع، فالذي في علم الله لا يتقدم ولا يتأخر، والذي في علم الملك هو الذي يمكن فيه الزيادة والنقص وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾ فالمحو والإثبات بالنسبة لما في علم الملك، وما في أم الكتاب هو الذي في علم الله تعالى فلا محو فيه البتة. ويقال له القضاء المبرم، ويقال للأول القضاء المعلق. والوجه الأول أليق بلفظ حديث الباب، فإن الأثر ما يتبع الشيء، فإذا أخر حسن أن يحمل على الذكر الحسن بعد فقد المذكور. وقال الطيبي: الوجه الأول أظهر، وإليه يشير كلام صاحب "الفائق" قال: ويجوز أن يكون المعنى أن الله يبقى أثر واصل الرحم في الدنيا طويلا فلا يضمحل سريعا كما يضمحل أثر قاطع الرحم. ولما أنشد أبو تمام قوله في بعض المراثي:

توفيت الآمال بعد محمد ... وأصبح في شغل عن السفر السفر

قال له أبو دلف: لم يمت من قيل فيه هذا الشعر. ومن هذه المادة قول الخليل عليه السلام ﴿واجعل لي لسان صدق في الآخرين﴾ وقد ورد في تفسيره وجه ثالث، فأخرج الطبراني في "الصغير" بسند ضعيف عن أبي الدرداء قال: "ذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم من وصل رحمه أنسيء له في أجله، فقال: إنه ليس زيادة في عمره، قال الله تعالى: ﴿فإذا جاء أجلهم﴾ الآية، ولكن الرجل تكون له الذرية الصالحة يدعون له من بعده". وله في "الكبير" من حديث أبي مشجعة الجهني رفعه: "إن الله لا يؤخر نفسا إذا جاء أجلها، وإنما زيادة العمر ذرية صالحة" الحديث. وجزم ابن فورك بأن المراد بزيادة العمر نفي الآفات عن صاحب البر في فهمه وعقله. وقال غيره في أعم من ذلك وفي وجود البركة في رزقه وعلمه ونحو ذلك.." (١)

"وكسر اللام المشددة قلت ولعل الخبط جاء من قبيل الضبط بأن ضبط يولي مجهولا أو معلوما من التولي أو من قبل الإسناد حيث أسند إلى أهل ود أبيه والله أعلم ثم المعنى إن من جملة المبرات الفضلى مبرة الرجل من أحباء أبيه فإن مودة الآباء قرابة الأبناء وخلاصته أنه إذا غاب الأب أو مات يحفظ أهل وده يحسن إليهم فإنه من تمام الإحسان إلى الأب وإنما كان أبر لأنه إذا حفظ غيبته فهو بحفظ حضوره أولى وإذا راعى أهل وده فكأن مراعاة أهل رحمه أخرى رواه مسلم وعن أنس رضي الله عنه أحب أن يبسط بصيغة المجهول أي يوسع له في رزقه أي في دنياه أو آخرته وينسأ بضم فسكون ففتح فنصب فهمزة أي يؤخر له في أثره بفتحتين أي أجله فليصل رحمه في النهاية النسأ التأخير يقال نسأت الشيء انسأ وأنسأنه إذا أخرته والنساء الاسم ويكون في العمر والدين والأثر والأجل ويسمى به لأنه يتبع العمر قال زهير يسعى الفتى لأمور ليس يدركها والنفس واحدة والهم منتشر والمرء ما عاش ممدود له أمل لا ينتهي العمر حتى ينتهي الأثر وأصله من أثر مشيه

---

(١) فتح الباري- تعليق ابن باز، ٤١٦/١٠

في الأرض فإن من مات لا يبقى له أثر فلا يرى لإقدامه في الأرض أثر قال النووي في تأخير الأجل سؤال مشهور وهو أن الآجال والأرزاق مقدرة ولا تزيد ولا تنقص فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وأجاب العلماء بوجوه أحدها أن الزيادة بالبركة في العمر بسبب التوفيق في الطاعات وعمارة أوقاته بما ينفعه في الآخرة وصيانتها عن الضياع وغير ذلك وثانيها أنه بالنسبة إلى ما يظهر للملائكة في اللوح المحفوظ ونحو ذلك فيظهر لهم في اللوح أن عمره ستون سنة إلا أن يصل رحمه فإن وصلها زيد له أربعون وقد علم الله تعالى ما سيقع له من ذلك وهو من معنى قوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت الرعد فبالنسبة إلى علم الله تعالى وما سبق قدره لا زيادة بل هي مستحيلة وبالنسبة إلى ما ظهر للمخلوقين يتصور الزيادة وهو مراد الحديث وثالثها أن المراد بقاء ذكره الجميل." (١)

"ومما يدل على حكمة الواعظ، ورجحان عقله، وحرصه على الحقيقة ـلزومُه الاعتدال، وألا يسرف في مدح ولا ذم، ولا في وعد ولا وعيد؛ فإن الإسراف مظنَّةُ الكذب، والاعتدال مظنة الصدق.

٤٩ـ انشراح الصدر للنقد الهادف: فالواعظ المخلص من يسعى لإرضاء الله ـجل وعلاـ فتراه يبذل كل سبب في سبيل نفع الناس؛ ابتغاء الأجر من الله؛ ولهذا لاتراه يتأذى من ملحوظة تقدم إليه ولو صاغها مقدِّمُها في جفاء وغلظة؛ بل تراه يفرح بالنقد الهادف كفرحه بالثناء الصادق، بل ربما طلب ذلك من غيره، وهذا مما يرفع قدره، ويرتقي بعلمه، ووعظه.

وهذا هو دأب الأكابر والعظماء.

قال عمر بن عبدالعزيز لمولاه مزاحم ـرحمهما اللهـ: =إن الولاة جعلوا العيون على العوام، وأنا أجعلك عيني على نفسي؛ فإن سمعت مني كلمة تربأ بي عنها، أو أفعالاً لا تحبها ـفعظني عنده، وانهني عنه+. (١)

٥٠ـ الإقبال على الله، وإحسان معاملته ـعز وجلـ: فذلك من أعظم الأسرار لنجاح الواعظ، ومن أكبر أسباب توفيقه وإعانته، وإقبال الناس عليه.

قال أبو حازم ×: =لا يحسن عبدٌ فيما بينه وبين الله ـتعالىـ إلا أحسن الله فيما بينه وبين العباد، ولا يعوِّر(٢) فيما بينه وبين الله ـتعالىـ إلا عوَّر الله فيما بينه وبين العباد، ولَمُصَانَعَةُ وجهٍ واحدٍ أيسر من مصانعة الوجوه كلِّها؛ إنك إن صانعت الله مالت الوجوه كلُّها إليك، وإذا أفسدت ما بينك وبينه شنأتك الوجوه كلُّها+.(٣)

وقال ابن الجوزي ×: =وإن قلوب الناس لتعرف حال الشخص، وتحبه أوتأباه، وتذمه، أو تمدحه وفْق ما يتحقق بينه وبين الله ـتعالىـ فإنه يكفيه كل هم، ويدفع عنه كل شر.

وما أصلح عبدٌ ما بينه وبين الخلق دون أن ينظر إلى الحق إلا انعكس مقصوده، وعاد حامده ذاماً+. (٤)

---

(١) ـ عيون الأخبار ١٨/٢.

(٢) ـ يعور: يهدم ويفسد.

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١٩٩/١٤

(٣) ــ سير أعلام النبلاء للذهبي ٦ / ١٠٠.

(٤) ــ صيد الخاطر ١٠٨ــ ١٠٩.." [1]

"٥٥ــ أن يستشعر الواعظ أنه هو المقصود الأول من موعظته، وأنه مفتقر إلى الله ــعز وجلــ: فذلك يدعوه إلى ربط القول بالعمل، ويردعه عن التمادي في الإعجاب، ويبعثه إلى الانطراح بين يدي الله ــعز وجلــ وسؤاله أن لا يكله إلى نفسه طرفة عين.

كما أن ذلك يقوده إلى التواضع، والزراية على النفس.

وكل ذلك من أسباب توفيقه وتسديده.

فما أجمل أن يكون الواعظ كثير الانكسار والتذلل لله ــعز وجلــ.

وما أروع أن يستحضر معنى قوله ــعندما يقول في مستهل موعظتهــ: =أوصيكم ونفسي بتقوى الله ــعز وجلــ+.

ولقد كان العلماء الربانيون العالمون بالله وبأمره ــعز وجلــ يأخذون بهذه السيرة؛ فتراهم يستشعرون بأنهم أولى الناس بالتذكرة، وأنهم أخوف الناس على أنفسهم، وأرجاهم لغيرهم.

قال أبو حازم سلمة بن دينار ×: =أفضل خصلة ترجى للمؤمن أن يكون أشد الناس خوفاً على نفسه، وأرجاه لكل مسلم+. (١)

ويقول مخاطباً نفسه مرزياً عليها: =يا أعرجُ! ينادى يوم القيامة: يا أهل خطيئة كذا وكذا فتقوم معهم، ثم ينادي: يا أهل خطيئة كذا وكذا فتقوم معهم؛ فأراك يا أعرج تريد أن تقوم مع أهل كل خطيئة+.(٢)

وقد رئي أبو الحسين الرازي ت ٣٠٤ × في المنام بعد موته فقيل له:

ما فعل الله بك؟ فقال: =غفر لي بقولي عند الموت: اللهم إني نصحت الناس قولاً، وخنت نفسي فِعلاً؛ فهب خيانة فعلي لنصح قولي+. (٣)

وهاهو ابن الجوزي وهو من أكبر أئمة الوعظ يكثر البكاء على نفسه، واستشعار تقصيره في جنب الله ــعز وجلــ.

يقول ×: =إلهي! لا تعذِّبْ لساناً يخبر عنك، ولا عيناً تنظر إلى علومٍ تدُلُّ عليك، ولا يداً تكتب حديث رسولك؛ فبعزتك لا تدخلني النار+.(٤)

---

(١) ــ ٢ــ مواعظ الإمام سلمة بن دينار للشيخ صالح الشامي ص ١٧.

(٣) ــ البداية والنهاية لابن كثير ١٢٧/١١.

(٤) ــ ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ٤٢٢/١.." [2]

---

(١) أدب الموعظة، ص/٩١

(٢) أدب الموعظة، ص/٩٧

"إلا الله رب العالمين وخالق السموات والأرضين ومكلف الجن والإنس والملائكة المقربين أن يعبدوه عبادة المخلصين فقال تعالى ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ﴾ فما لله إلا الدين الخالص المتين فإنه أغنى الأغنياء عن شركة المشاركين والصلاة على نبيه محمد سيد المرسلين وعلى جميع النبيين وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين

أما بعد فقد انكشف لأرباب القلوب ببصيرة الإيمان وأنوار القرآن أن لا وصول إلى السعادة إلا بالعلم والعبادة فالناس كلهم هلكى إلا العالمون والعالمون كلهم هلكى إلا العاملون والعاملون كلهم هلكى إلا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم

فالعمل بغير نية عناء والنية بغير إخلاص رياء وهو للنفاق كفاء ومع العصيان سواء والإخلاص من غير صدق وتحقيق هباء وقد قال الله تعالى في كل عمل كان بإرادة غير الله مشوبا مغمورا ﴿ وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا ﴾ وليت شعرى كيف يصحح نيته من لا يعرف حقيقة النية أو كيف يخلص من صحح النية إذا لم يعرف حقيقة الإخلاص أو كيف تطالب المخلص نفسه بالصدق إذا لم يتحقق معناه فالوظيفة الأولى على كل عبد أراد طاعة الله تعالى أن يتعلم النية أولا لتحصل المعرفة ثم يصححها بالعمل بعد فهم حقيقة الصدق والإخلاص اللذين هما وسيلتنا العبد إلى النجاة والخلاص

ونحن نذكر معانى الصدق والإخلاص في ثلاثة أبواب الباب الأول في حقيقة النية ومعناها

الباب الثاني في الإخلاص وحقائقه

والباب الثالث في الصدق وحقيقته الباب الأول في حقيقة النية ومعناها

وفيه بيان فضيلة النية وبيان حقيقة النية وبيان كون النية خيرا من العمل وبيان تفضيل الأعمال المتعلقة بالنفس وبيان خروج النية عن الاختيار بيان فضيلة النية

قال الله تعالى ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ﴾ والمراد بتلك الإرادة هى النية

وقال صلى الله عليه وسلم إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه (١) وقال صلى الله عليه وسلم أكثر شهداء أمتى أصحاب الفرش ورب قتيل بين الصفين الله أعلم بنيته + حديث أكثر شهداء أمتى أصحاب الفرش ورب قتيل بين الصفين الله أعلم بنيته أخرجه أحمد من حديث ابن مسعود وفيه عبد الله بن لهيعة + وقال تعالى ﴿ إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما ﴾ فجعل النية سبب التوفيق

وقال صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم وأموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم + حديث إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم الحديث أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة وقد تقدم + وإنما نظر إلى القلوب لأنها مظنة النية وقال صلى الله عليه وسلم إن العبد ليعمل أعمالا حسنة فتصعد الملائكة في صحف مختمة فتلقى بين يدى الله تعالى فيقول ألقوا هذه الصحيفة

١- حديث إنما الأعمال بالنيات الحديث متفق عليه من حديث عمر وقد تقدم

". (١)

"وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتَابِ ﴾(٦) فالمحو والإثبات بالنِّسبة لما في علم الملك ، وما في أمِّ الكتاب هو الذي في علم الله- تعالى- فلا محو فيه ألبته).

فحَمْلُ الزِّيادة على الحقيقة أمرٌ يقبله العقل ، ويؤيِّده النَّقل ، لما في هذا القول من وجاهةٍ ، واحتمال للصَّواب ، وذلك بالتَّفريق بين علم الله الأزليّ ، وما هو معروفٌ عند الملَك المُوكَّل بالأجل والرِّزق وما إلى غير ذلك.

وهذا التَّفسير اختاره الغُماريُّ(١) واقتصر عليه فقال (٢) : (للمسلم عُمْران ؛ عمرٌ محدَّدٌ عند الله لا يُعلم غيره ، وعمرٌ مُردَّدٌ بين الزِّيادة والنَّقص عند ملَك الموت ، يقال له : عمر فلانٍ سبعون سنةً إن تصدَّق أو برَّ والديه ، وخمسون سنةً إن لم يفعل ذلك ، وهذا هو المُراد في الحديث).

٢- الزِّيادة المجازيَّة ، أي إنَّ هذه الزِّيادة كنايةٌ عن البَركة في العُمر بسبب التَّوفيق إلى الطَّاعة وعمارة وقته بما ينفعه في الآخرة(٣) ، وفي " نوادر الأُصول "(٤) : " إنَّ العبدَ إذا عُمِر بالإيمانَ وبِحياةِ القلب فذلك كثيرٌ وإن قلَّ مدته ، لأنَّ القِصَر من العُمْر إذا احتشى من الإيمان أربى على الكثير لأنَّ المتبقي من العمر العبودية لله- تعالى- ، كي يصير عند الله وجيهاً".

أو السَّعة والزِّيادة في الرِّزق وعافية البدن ، وقد قيل : " الفقر هو الموت الأكبر"(٥) وانفرد ابن فُورَك بتفسيرٍ للزِّيادة فقال (٦) : " إنَّ معنى الزِّيادة في العمر: نفي الآفات عنهم والزِّيادة في أفهامهم وعقولهم وبصائرهم ".." (٢)

"باب البر والصلة البر بكسر الموحدة هو التوسع في فعل الخير .

والبر بفتحها المتوسع في الخيرات وهو من صفات الله تعالى .

والصلة بكسر الصاد المهملة مصدر وصله كوعده عدة .

في النهاية تكرر في الحديث ذكر صلة الأرحام وهي كناية عن الإحسان إلى الأقربين من ذوي النسب والأصهار والتعطف عليهم والرفق بهم والرعاية لأحوالهم وكذلك إن تعدوا وأساءوا وضد ذلك قطيعة الرحم .

ا هـ (عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أحب أن يبسط) مغير صيغته أي يبسط الله (له في رزقه) أي يوسع له فيه (وأن ينسأ) مثله في ضبطه .

بالسين المهملة مخففة أي يؤخر له (في أثره) بفتح الهمزة والمثلثة فراء أي أجله (فليصل رحمه .

أخرجه البخاري) وأخرج الترمذي عن أبي هريرة ﴿ أن صلة الرحم محبة في الأهل مثراة في المال منسأة في الأجل ﴾ وأخرج أحمد عن عائشة رضي الله عنها مرفوعا ﴿ صلة الرحم وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان في الأعمار ﴾ .

وأخرج أبو يعلى من حديث أنس مرفوعا ﴿ إن الصدقة وصلة الرحم يزيد الله بهما في العمر ويدفع بهما ميتة السوء ﴾ وفي سنده ضعف : قال ابن التين : ظاهر الحديث أي حديث البخاري معارض لقوله تعالى : ﴿ فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون

---

(١) إحياء علوم الدين، ٣٦٢/٤

(٢) التعارض في الحديث، ص/٥

ساعة ولا يستقدمون ﴾ قال : والجمع بينهما من وجهين أحدهما : أن الزيادة كناية عن البركة في العمر بسبب التوفيق إلى الطاعة وعمارة وقته بما ينفعه في الآخرة وصيانته عن تضييعه في غير." (١)

"وفي الحديث أيضًا أن العناية بشأن الأهل من أسباب التوفيق الإلهي، أن العناية بشأن الأهل من أسباب التوفيق الإلهي، وهذا مشاهد ومسموع في القيام بحق الأهل كما تقدم آنفًا من الواجبات الشرعية، وإذا قام به العبد تقربًا إلى الله -تعالى- وفيه همة للتزود من العلم أعانه الله -جل وعلا-

.... ــــ

على جميع شئونه، وعلى جميع حوائجه، أما إهمال البيوت وتضييع الأولاد بدعوى التفرغ، فهذا مأزور وليس بمأجور.

الحديث الثامن: أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم أخلاقا

وعن أبي سعيد الخدري -رضي الله تعالى عنه- قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم أخلاقًا الموطئون أكنافًا الذين يألفون ويؤلفون، وليس منا من لا يألف ولا يؤلف " أخرجه الطبراني في الأوسط والصغير، والبيهقي في شعب الإيمان.

ــــ

قوله - صلى الله عليه وسلم - "أكمل المؤمنين إيمانًا" فيه أن الإيمان يزيد وينقص كما هو مقرر عند أهل السنة والجماعة، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

وقوله - صلى الله عليه وسلم - "أحسنهم خلقًا" فيه عظيم شأن حسن الخلق، ويقابله عظيم قبح سوء الخلق، ولهذا قوله - صلى الله عليه وسلم - "أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا". جاءت الأحاديث الكثيرة في حسن الخلق والجميع يحفظها، وقد ذكر بعض أهل العلم كلمة جميلة عند قوله جل وعلا: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤) ﴾ (١) فيه بيان منزلة حسن الخلق لوصف الله -جل وعلا- لنبيه - صلى الله عليه وسلم - بتلك الصفة، قال بعض أهل العلم: تعظيم العظماء للشيء يدل على توغله في العظمة، فكيف إذا كان المعظم أعظم عظيم وهو الله جل وعلا، وإنك لعلى خلق عظيم، وفيه أيضًا تفاوت الناس في حسن الخلق، أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا، هناك من يقل، والتفاوت درجات.

---

(١) - سورة القلم آية : ٤.." (٢)

"دع الراحلة تمشي إلى منزلك إذ لم تبق لك حاجة فيما قصدته (قال: كأنه) أي الرجل (كان على راحلته) أو كان النبي -صلى الله عليه وسلم- راكبا على راحلته والرجل آخذ بزمامها فقال له-صلى الله عليه وسلم- بعد الجواب دع زمام الراحلة.

---

(١) سبل السلام، ٧/٥٥

(٢) شرح الأربعين في التربية والمنهج، ص/٢٧

وهذا الحديث سبق في أول الزكاة.

١١ – باب إثم القاطع

(باب إثم القاطع) للرحم.

٥٩٨٤ – حدثنا يحي بن بكير، حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، أن محمد بن جبير بن مطعم قال: إن جبير بن مطعم أخبره أنه سمع النبي –صلى الله عليه وسلم– يقول: «لا يدخل الجنة قاطع».

وبه قال: (حدثنا يحيى بن بكير) هو يحيى بن عبد الله بن بكر الحافظ المخزومي مولاهم المصري قال: (حدثنا الليث) بن سعد الإمام (عن عقيل) بضم العين ابن خالد الأيلي (عن ابن شهاب) محمد بن مسلم الزهري (أن محمد بن جبير بن مطعم قال: إن) ولأبي ذر أخبره أن (جبير بن مطعم أخبره أنه سمع النبي–صلى الله عليه وسلم– يقول):

(لا يدخل الجنة قاطع) أي يذكر المفعول فيحتمل العموم، وفي الأدب المفرد عن عبد الله بن صالح (قاطع رحم) فالمراد المستحل للقطيعة بلا سبب ولا شبهة مع علمه بتحريمها أو لا يدخلها مع السابقين.

وهذا الحديث أخرجه مسلم في الأدب وأبو داود في الزكاة والترمذي في البر.

١٢ – باب من بسط له فى الرزق بصلة الرحم

(باب من بسط) بضم الموحدة وكسر المهملة (له في الرزق بصلة الرحم) أي بسبب صلة الرحم، ولأبي ذر: لصلة الرحم باللام بدل الموحدة أي لأجل صلتها.

٥٩٨٥ – حدثنى إبراهيم بن المنذر، حدثنا محمد بن معن، قال: حدثنى أبى، عن سعيد بن أبى سعيد، عن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال: سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقول: «من سره أن يبسط له فى رزقه وأن ينسأ له فى أثره فليصل رحمه».

وبه قال: (حدثني) بالإفراد (إبراهيم بن المنذر) الحزامي المدني أحد الأعلام قال: (حدثنا محمد بن معن) بفتح الميم وسكون العين المهملة بعدها نون الغفاري (قال: حدثني) بالإفراد (أبي) معن بن محمد بن معن بن نضلة الغفاري (عن سعيد بن أبي سعيد) كيسان المقبري (عن أبي هريرة –رضي الله عنه–) أنه (قال: سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقول):

(من سره أن يبسط في رزقه) بضم التحتية وسكون الموحدة وفتح السين المهملة (وأن ينسأ) بضم أوله وسكون ثانيه آخره همزة من النسأ وهو التأخير أي يؤخر (له في أثره) أي أجله وسمي به لأنه يتبع العمر وأصله من أثر مشيه في الأرض فإن من مات لا يبقى له حركة فلا يبقى لأقدامه في الأرض أثر (فليصل رحمه) يقال: وصل رحمه يصلها وصلا وصلة كأنه بالإحسان إليهم وصل ما بينه وبينهم من علاقة القرابة والزيادة في العمر بالبركة فيه بسبب التوفيق في الطاعات وعمارة أوقاته بما ينفعه في الآخرة وصيانتها عن الضياع في غير ذلك، أو المراد بقاء ذكره الجميل بعده كالعلم النافع ينتفع به والصدقة الجارية والولد الصالح فكأنه بسبب ذلك لم يمت ومنه قول الخليل عليه الصلاة والسلام ﴿واجعل لي لسان صدق في الآخرين﴾ [الشعراء: ٨٤].

وفي المعجم الصغير للطبراني عن أبي الدرداء قال: ذكر عند رسول الله –صلى الله عليه وسلم- من وصل رحمه أنسئ له في أجله فقال: ليس زيادة في عمره قال الله تعالى: ﴿فإذا جاء أجلهم﴾ [النحل: ٦١] الآية. ولكن الرجل يكون له الذرية الصالحة يدعون له من بعده أو المراد بالنسبة إلى ما يظهر للملائكة في اللوح المحفوظ أن عمره ستون سنة إلا أن يصل رحمه فإن وصلها زيد له أربعون سنة، وقد علم الله سبحانه وتعالى بما سيقع من ذلك وهو من معنى قوله تعالى: ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت﴾ [الرعد: ٣٩] فبالنسبة إلى علم الله وما سبق به قدرته لا زيادة بل هي مستحيلة وبالنسبة إلى ما ظهر للمخلوقين تتصور الزيادة وهو مراد الحديث.

وقال الكلبي والضحاك في الآية: إن الذي يمحوه ويثبته ما يصعد به الحفظة مكتوبا على بني آدم فيأمر الله فيه أن يثبت ما فيه ثواب وعقاب ويمحي ما لا ثواب فيه ولا عقاب كقوله: أكلت شربت ودخلت ونحوها من الكلام.

وهذا باب واسع المجال لأن علم الله تعالى لا نفاد له ومعلوماته سبحانه لا نهاية لها وكل يوم هو في شأن، ومن ثم كادت أقوال المفسرين فيه لا تحصر قال الإمام: يزيل ما يشاء ويثبت ما يشاء من حكمته ولا يطلع على غيبه أحدا فهو المنفرد بالحكم والمستقل بالإيجاد والإعدام والإحياء والإماتة والإغناء والإفقار وغير ذلك، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا.

٥٩٨٦ – حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب قال: أخبرني أنس بن مالك، أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم- قال: «من أحب أن يبسط له فى رزقه، وينسأ له فى أثره فليصل رحمه».

وبه قال: (حدثنا يحيى بن بكير) المخزومي المصري اسم أبيه عبد الله ونسبه إلى جده قال: (حدثنا الليث) بن سعد الإمام (عن عقيل) بضم العين ابن خالد (عن ابن شهاب) محمد بن مسلم الزهري." (١)

"وأصله من أثر مشيه في الأرض فإن من مات لا يبقى له حركة فلا يبقى لقدمه في الأرض أثر (فليصل رحمه) قال ابن التين: ظاهر الحديث يعارض قوله تعالى: ﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ (الأعراف:٣٤) والجمع بينهما إما بحمل الزيادة على أنها كناية عن البركة في العمر بسبب التوفيق إلى طاعة الله وعمارة وقته بما ينفعه، ويقربه من مولاه تعالى ويقويه ما جاء من: أنه تقاصر أعمار أمته بالنسبة لأعمار من مضى من الأمم فأعطى ليلة القدر. وحاصله أن صلة الرحم سبب للتوفيق لمرضاة المولى وحفظ الأوقات عن الضياع في غير رضا فيبقى بعده الذكر الجميل، فكأنه لم يمت، أو يحمل الزيادة في الحديث على حقيقتها، وذلك بالنسبة للأجل المعلق المكتوب في اللوح المدفوع للملك، مثلا كتب فيه: إن أطاع فلان فعمره كذا وإلا فعمره كذا، وا سبحانه وتعالى عالم بالواقع منهما والأجل المحتوم في الآية على ما في علم الله سبحانه الذي لا تغير فيه، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾ (الرعد:٣٩) فالحديث فيه ما أشارت إليه أول الآية من الأجل المعلق، وقوله: ﴿عنده أم الكتاب﴾ أشار به إلى العلم الإلهي الذي لا

---

(١) شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ١١/٩

تغير فيه البتة ويعبر عنه بالقضاء المبرم وعن الأول بالقضاء المعلق، والوجه الأول أليق بلفظ المذكور.
(٤٦١/٢)." [(١)]

"وأصله من أثر مشيه في الأرض فإن من مات لا يبقى له حركة فلا يبقى لقدمه في الأرض أثر (فليصل رحمه) قال ابن التين: ظاهر الحديث يعارض قوله تعالى: ﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ (الأعراف:٣٤) والجمع بينهما إما بحمل الزيادة على أنها كناية عن البركة في العمر بسبب التوفيق إلى طاعة الله وعمارة وقته بما ينفعه، ويقربه من مولاه تعالى ويقويه ما جاء من: أنه تقاصر أعمار أمته بالنسبة لأعمار من مضى من الأمم فأعطى ليلة القدر. وحاصله أن صلة الرحم سبب للتوفيق لمرضاة المولى وحفظ الأوقات عن الضياع في غير رضا فيبقى بعده الذكر الجميل، فكأنه لم يمت، أو يحمل الزيادة في الحديث على حقيقتها، وذلك بالنسبة للأجل المعلق المكتوب في اللوح المدفوع للملك، مثلا كتب فيه: إن أطاع فلان فعمره كذا وإلا فعمره كذا، وا سبحانه وتعالى عالم بالواقع منهما والأجل المحتوم في الآية على ما في علم الله سبحانه الذي لا تغير فيه، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾ (الرعد:٣٩) فالحديث فيه ما أشارت إليه أول الآية من الأجل المعلق، وقوله: ﴿عنده أم الكتاب﴾ أشار به إلى العلم الإلهي الذي لا تغير فيه البتة ويعبر عنه بالقضاء المبرم وعن الأول بالقضاء المعلق، والوجه الأول أليق بلفظ المذكور.
". [(٢)]

"نصيحه لطلبة العلم (١)

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسوله ، نبينا محمد وآله وصحبه . أما بعد :

فلا ريب أن طلب العلم من أفضل القربات ، ومن أسباب الفوز بالجنة والكرامة لمن عمل به . ومن أهم المهمات الإخلاص في طلبه ، وذلك بأن يكون طلبه لله لا لغرض آخر ؛ لأن ذلك هو سبيل الانتفاع به ، وسبب التوفيق لبلوغ المراتب العالية في الدنيا والآخرة .

وقد جاء في الحديث عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة » (٢) – يعني ريحها – أخرجه أبو داود بإسناد حسن .

وأخرج الترمذي بإسناد فيه ضعف عنه – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « من طلب العلم ليباهي به العلماء أو ليماري به السفهاء أو ليصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله النار » (٣) .

فأوصي كل طالب علم ، وكل مسلم يطلع على هذه الكلمة ، بالإخلاص لله في جميع الأعمال عملا بقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾ (٤) وفي صحيح مسلم عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « يقول الله عز

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين لـ ابن علان الصديقى، ١٠٥/١

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٤٦١/٢

(١) نشرت في مجلة التوحيد المصرية ، ص ١١ - ١٢ .

(٢) سنن أبو داود العلم (٣٦٦٤)،سنن ابن ماجه المقدمة (٢٥٢)،مسند أحمد بن حنبل (٢/٣٣٨).

(٣) سنن الترمذي العلم (٢٦٥٤).

(٤) سورة الكهف الآية ١١٠." [١]

"نصيحة موجهة إلى طلبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

بمناسبة إصدار مجلة " صوت الطلبة " (١)

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى الأبناء الكرام طلبة الجامعة الإسلامية زادهم الله من العلم والإيمان آمين .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

أما بعد : فبمناسبة عزمكم على إصدار العدد الأول من مجلة (صوت الطلبة) يسرني أن أكتب إليكم هذه الكلمة لنشرها في المجلة .

فأقول : إن من أهم المهمات الإخلاص في طلب العلم بأن يكون طلبه لله لا لغرض آخر ؛ لأن ذلك هو سبيل الانتفاع به ، وسبب التوفيق لبلوغ المراتب العالية في الدنيا والآخرة ، وقد جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة - يعني ريحها- » (٢) أخرجه أبو داود بإسناد صحيح ، وأخرج الترمذي عنه أنه قال : « من طلب العلم ليجاري به العلماء أو ليماري به السفهاء أو ليصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله النار » (٣) .

فأوصيكم جميعا وأوصي كل مسلم يطلع على هذه المجلة بالإخلاص لله في جميع الأعمال ، عملا بقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾ (٤) وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يقول الله عز وجل : أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه » (٥) كما أوصيكم جميعا وأوصي كل مسلم بخشية الله سبحانه

---

(١) صدرت من مكتب سماحته ١٣٨٨\١١\٢٣ هـ .

(٢) سنن أبو داود العلم (٣٦٦٤)،سنن ابن ماجه المقدمة (٢٥٢)،مسند أحمد بن حنبل (٢/٣٣٨).

(٣) سنن الترمذي العلم (٢٦٥٤).

(٤) سورة الكهف الآية ١١٠

(٥) صحيح مسلم الزهد والرقائق (٢٩٨٥)،سنن ابن ماجه الزهد (٤٢٠٢)،مسند أحمد بن حنبل (٢/٣٠١).." [٢]

---

(١) مجموع فتاوى ابن باز (٣٠) جزءا، ٢/٣٢٢

(٢) مجموع فتاوى ابن باز (٣٠) جزءا، ٦/٢٤٠

"والطاعة في ذلك؛ لأن هذا من المعروف الذي ينفع المسلمين ، وأما الشيء الذي هو منكر ، كالضريبة التي يرى ولي الأمر أنها جائزة فهذه يراجع فيها ولي الأمر؛ للنصيحة والدعوة إلى الله ، وبالتوجيه إلى الخير ، لا بيده يضرب هذا أو يسفك دم هذا أو يعاقب هذا بدون حجة ولا برهان ، بل لا بد أن يكون عنده سلطان من ولي الأمر يتصرف به حسب الأوامر التي لديه وإلا فحسبه النصيحة والتوجيه ، إلا فيمن هو تحت يده من أولاد وزوجات ونحو ذلك ممن له السلطة عليهم .

.

س٨ : هل من مقتضى البيعة – حفظك الله – الدعاء لولي الأمر؟ .

ج٨ : من مقتضى البيعة النصح لولي الأمر ، ومن النصح : الدعاء له بالتوفيق والهداية وصلاح النية والعمل وصلاح البطانة؛ لأن من أسباب صلاح الوالي ومن أسباب توفيق الله له : أن يكون له وزير صدق يعينه على الخير ، ويذكره إذا نسي ، ويعينه إذا ذكر ، هذه من أسباب توفيق الله له .

فالواجب على الرعية وعلى أعيان الرعية التعاون مع ولي الأمر في الإصلاح وإماتة الشر والقضاء عليه ، وإقامة الخير بالكلام الطيب والأسلوب الحسن والتوجيهات السديدة التي يرجى من ورائها الخير دون الشر ، وكل عمل يترتب عليه شر أكثر من المصلحة لا يجوز؛ لأن المقصود من الولايات كلها : تحقيق المصالح الشرعية ، ودرء المفاسد ، فأي عمل يعمله الإنسان يريد به الخير ويترتب عليه ما هو أشر مما أراد إزالته وما هو منكر لا يجوز له .

وقد أوضح شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله هذا المعنى إيضاحا كاملا في كتاب " الحسبة " فليراجع؛ لعظم الفائدة .." [1]

"نصيحة موجهة إلى طلبة الجامعة الإسلامية بمناسبة إصدار مجلة صوت الطلبة (١)

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى الأبناء الكرام طلبة الجامعة الإسلامية زادهم الله من العلم والإيمان آمين .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

أما بعد : فبمناسبة عزمكم على إصدار العدد الأول من مجلة (صوت الطلبة) يسرني أن أكتب إليكم هذه الكلمة لنشرها في المجلة .

فأقول : إن من أهم المهمات الإخلاص في طلب العلم بأن يكون طلبه لله لا لغرض آخر ؛ لأن ذلك هو سبيل الانتفاع به ، وسبب التوفيق لبلوغ المراتب العالية في الدنيا والآخرة ، وقد جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة – يعني ريحها– » (٢) .

---

(١) صدرت من مكتب سماحته في ١٣٨٨\١١\٢٣ هـ عندما كان نائبا لرئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ونشرت في المجموع ج٦ ص٣٠٨ .

---

[1] مجموع فتاوى ابن باز (٣٠) جزءا، ٨/٢٠٩

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب العلم ، باب في طلب العلم لغير الله تعالى برقم ٣٦٦٤ وابن ماجه في كتاب المقدمة ، باب الانتفاع بالعلم به برقم ٢٥٢ .." (١)

" ومما ينبغي أن يعلم أن أسباب الخذلان من بقاء النفس على ما خلقت عليه في الأصل وإهمالها وتخليتها فأسباب الخذلان منها وفيها وأسباب التوفيق من جعل الله سبحانه لها قابلة للنعمة فأسباب التوفيق منه ومن فضله وهو الخالق لهذه وهذه كما خلق أجزاء الأرض هذه قابلة للنبات وهذه غير قابلة له وخلق الشجر هذه تقبل الثمرة وهذه لا تقبلها وخلق النحلة قابلة لأن يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه والزنبور غير قابل لذلك وخلق الأرواح الطيبة قابلة لذكره وشكره وحجته وإجلاله وتعظيمه وتوحيده ونصيحة عباده وخلق الأرواح الخبيثة غير قابلة لذلك بل لضده وهو الحكيم العليم قال شيخ الإسلام بحر العلوم مفتي الفرق أبو العباس احمد بن تيمية رحمه الله

فصل قال الله تعالى

ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ساء ما يحكمون من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت وهو السميع العليم ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغني عن العالمين والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون ووصينا الإنسان بوالديه حسنا وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعلمون والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم أو ليس الله بأعلم بما في صدور العالمين وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين وقال الله تعالى أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل ." (٢)

"فإذا علم الله سبحانه هذا من قلب عبد فذلك من أعظم أسباب خذلانه وتخليه عنه فإن محله لا تناسبه النعمة المطلقة التامة كما قال تعالى:﴿ إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون﴾ الأنفال ٢٢-٢٣، فاخبر سبحانه أن محلهم غير قابل لنعمته ومع عدم القبول ففيهم مانع آخر يمنع وصولها إليهم وهو توليهم وإعراضهم إذا عرفوها وتحققوها.

ومما ينبغي أن يعلم أن أسباب الخذلان من بقاء النفس على ما خلقت عليه في الأصل وإهمالها وتخليتها فأسباب الخذلان منها وفيها وأسباب التوفيق من جعل الله سبحانه لها قابلة للنعمة فأسباب التوفيق منه ومن فضله وهو الخالق لهذه وهذه كما خلق أجزاء الأرض هذه قابلة للنبات وهذه غير قابلة له وخلق الشجر هذه تقبل الثمرة وهذه لا تقبلها وخلق النحلة قابلة لأن يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه والزنبور غير قابل لذلك وخلق الأرواح الطيبة قابلة لذكره وشكره وحجته وإجلاله وتعظيمه وتوحيده ونصيحة عباده وخلق الأرواح الخبيثة غير قابلة لذلك بل لضده وهو الحكيم العليم قال معناه

(١) مجموع فتاوى ابن باز (٣٠) جزءا، ٢٢٩/٢٧

(٢) الفوائد، ص/٢٠٧

شيخ الإسلام بحر العلوم مفتي الفرق أبو العباس احمد بن تيمية رحمه الله.

[١٤٢] حول قوله تعالى." (١)

" أما بعد : فإن الله سبحانه لم يخلق خلقه سدى هملا بل جعلهم موردا للتكليف ومحلا للأمر والنهي وألزمهم فهم ما أرشدهم إليه مجملا ومفصلا وقسمهم إلى شقي وسعيد وجعل لكل واحد من الفريقين منزلا وأعطاهم مواد العلم والعمل : من القلب والسمع والبصر والجوارح نعمة منه وتفضيلا فمن استعمل ذلك في طاعته وسلك به طريق معرفته على ما أرشد إليه ولم يبغ عنه عدولا فقد قام بشكر ما أوتيه من ذلك وسلك به إلى مرضاة الله سبيلا ومن استعمله في إرادته وشهواته ولم يرع حق خالقه فيه يخسر إذا سئل عن ذلك ويحزن حزنا طويلا فإنه لابد من الحساب على حق هذه الأعضاء لقوله تعالى : إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا [الاسراء : ٣٦]

ولما كان القلب لهذه الأعضاء كالملك المتصرف في الجنود الذي تصدر كلها عن أمره ويستعملها فيما شاء فكلها تحت عبوديته وقهره وتكتسب منه الاستقامة والزيغ وتتبعه فيما يعقده من العزم أو يحله قال النبيA : ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله فهو ملكها وهي المنفذة لما يأمرها به القابلة لما يأتيها من هديته ولا يستقيم لها شيء من أعمالها حتى تصدر عن قصده ونيته وهو المسئول عنها كلها لأن كل راع مسئول عن رعيته : كان الاهتمام بتصحيحه وتسديده أولى ما اعتمد عليه السالكون والنظر في أمراضه وعلاجها أهم ما تنسك به الناسكون ولما علم عدو الله إبليس أن المدار على القلب والاعتماد عليه أجلب عليه بالوساوس وأقبل بوجوه الشهوات إليه وزين له من الأحوال والأعمال ما يصده به عن الطريق وأمده من أسباب الغي بما يقطعه عن أسباب التوفيق ونصب له من المصايد والحبائل ما إن سلم من الوقوع فيها لم يسلم من أن يحصل له بها التعويق فلا نجاة من مصايده ومكايده إلا بدوام الاستعانة بالله تعالى والتعرض لأسباب مرضاته والتجاء القلب إليه وإقباله عليه في حركاته وسكناته والتحقق بذل العبودية الذي هو أولى ما تلبس به الإنسان ليحصل له الدخول ضمان إن عبادي ليس لك عليهم سلطان [الحجر : ٤٢] فهذه الإضافة هي القاطعة بين العبد وبين الشياطين وحصولها سبب تحقيق مقام العبودية لرب العالمين وإشعار القلب ." (٢)

"التحذير من التخلف عن صلاة الجماعة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد: فقد ثبت عن رسول الله عليه الصلاة والسلام أنه قال: (أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما –أي: من الأجر– لأتوهما ولو حبوا، ولقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام، ثم آمر رجلا فيصلي بالناس، ثم أنطلق برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم) وروي عنه عليه الصلاة السلام أنه قال: (لولا ما في البيوت من النساء والذرية لحرقتها عليهم).

---

(١) الفوائد لابن القيم، ص/٢٢٨

(٢) إغاثة اللهفان، ١/٥

وهذا يفيدنا عظم الخطر في التخلف عن الصلاة في الجماعة، وأن ذلك من صفات المنافقين وأعمالهم، وأنه قد هم عليه الصلاة والسلام أن يحرق عليهم بيوتهم بسبب التخلف، ولهذا روي عنه عليه الصلاة والسلام بيان العلة: (لولا ما في البيوت من النساء والذرية لحرقتها عليهم) فلولا أن التخلف خطير، وأنه منكر يستحق صاحبه العقوبة، لما قال هذا الكلام عليه الصلاة والسلام، ويكفي في الذنب والعيب للمتخلفين عن الصلاة في الجماعة أنهم قد شابهوا بهذا حال المنافقين ﴿ إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى ﴾ [النساء:١٤٢] هذا حالهم نعوذ بالله! وقال عليه الصلاة والسلام: (من سمع النداء فلم يأت فلا صلاة له إلا من عذر) قيل لـ ابن عباس : [ما هو العذر يا ابن العباس ؟ قال: خوف أو مرض].

وجاءه صلى الله عليه وسلم رجل أعمى يستأذنه، فقال: (يا رسول الله! إنه ليس لي قائد يلائمني إلى المسجد فهل لي من رخصة أن أصلي في بيتي؟ فقال: هل تسمع النداء بالصلاة؟ قال: نعم.

قال: فأجب) وفي رواية أخرى قال: (لا أجد لك رخصة) فإذا كان أعمى شاسع الدار كما في الروايات الأخرى، ليس له قائد يلائمه يقال له: ليس لك رخصة في التخلف عن الجماعة في مساجد الله، فكيف بحال من عافاه الله وأعطاه السمع والبصر والصحة؟! فالأمر خطير جدا.

وقد بلغني أن كثيرا من المساجد في الفجر لا يصلي فيها أحد، والعياذ بالله! يسهرون على التلفاز وعلى غير التلفاز، فإذا جاء الفجر فإذا هم أموات ولا حول ولا قوة إلا بالله! وهذه من المصائب الكبيرة، فيجب التواصي بالحذر من هذا البلاء، والحذر من أسباب العقوبات العامة، يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وهو من كبار الصحابة ومن علمائهم: [من سره أن يلقى الله غدا مسلما فليحافظ على هؤلاء الصلوات الخمس حيث ينادى بهن، فإن الله شرع لنبيكم سنن الهدى، وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم -وفي لفظ: لكفرتم- ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق أو مريض] فهذا يبين لنا أن المحافظة على الصلاة في الجماعة من أسباب الموت على الإسلام، ومن أسباب أنه يلقى الله مسلما، ومقتضى هذا أن التخلف عن هذه الجماعة والتساهل من أسباب ضد ذلك من أسباب الوفاة على غير الإسلام، نعوذ بالله! فالمصيبة كبيرة، وخطر عظيم، فالمحافظة على صلاة الجماعة من أسباب السعادة وحسن الختام، ومن أسباب التوفيق لكل خير، والتخلف عنها والتشبه بأهل النفاق بأدائها في البيوت فيه خطر عظيم، فيه: أولا: أنه معصية لله.

ثانيا: أنه مشابهة لأهل النفاق.

ثالثا: أنه من أسباب سوء الخاتمة، والعياذ بالله! رزق الله الجميع العافية، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله.." (١)

"٦ـ إذا صدر الطلاق من الزوج في حال الغضب، واتضحت أسبابه، واعترف به الزوجان أو من حضره ـ لم يوقع الطلاق.

---

(١) دروس للشيخ عبد العزيز بن باز، ١٧/١٢

ويستدل بما رواه الإمام أحمد، وأبو داود، وابن ماجه، وصححه الحاكم عن عائشة_رضي الله عنها_أن النبي"قال: =لاطلاق و لاعتاق في إغلاق+.

وقد فسر جمع من أهل العلم، ومنهم الإمام أحمد×الإغلاق بالإكراه، والغضب الشديد.

ومما يقع به الغضب عنده أن تقول الزوجة لزوجها: لعنك الله، أو لعن والدك، أو والدتك، أو والديك، أو ياسربوت، أو يا حمار، أو يا كلب، أو ما أنت برجل، أو نحو ذلك، وما جرى مجراه؛ فسماحته×يقول: مثل هذه الألفاظ تغضب الرجل.

٧_ إذا صدر الطلاق من الزوج، وادعى الغضب، ولم تتضح أسبابه الموجبة له_أوقع الطلاق.

أذكر_على سبيل المثال_أن معاملة طلاق أرسلها أحد القضاة بعد أن أخذ الأقوال فيها، فلما قرأتها على سماحة الشيخ×وإذا فيها: أن الزوج قد أمر زوجته بإحضار قهوة وتمر، فجاءت بالقهوة وتركت التمر، فغضب الزوج وطلقها ثلاث طلقات، فأفتاه سماحة الشيخ بوقوع الثلاث، ولم يلتفت إلى دعوى الغضب، وقال: هذا سبب لا يغضب الرجل، والمسألة ليست لعباً.

وجاءت معاملة ثانية، وذكر فيها أن الزوج والزوجة اختلفا في اختيار لون المروحة؛ فهو يريدها بيضاء، والزوجة تريدها زرقاء، فغضب عليها وطلقها ثلاثاً؛ فأفتاه سماحة الشيخ×بوقوع الطلاق ثلاثاً، فراجعه الزوج، فقال سماحته: هذا سبب لا يوجب الغضب.

٨_ العناية الفائقة، والتحري الشديد: فهذا دأب سماحة الشيخ ومنهجه في قضايا الطلاق؛ حيث كان يعتني بقضايا الطلاق عناية عظيمة، وهذا من أسباب توفيقه، وتسديده؛ فأحياناً يطلب إحضار بعض الكتب، ويُقْرأ عليه كلام أهل العلم؛ فلا يملي الفتوى حتى يطمئن.." (١)

"ومن تربيته لطلابه، أنه كان يزجرهم، وينهرهم إذا استدعى المقام ذلك؛ فمن ذلك أنه إذا سأله بعضُ الطلاب سؤالاً فيه تعنت، أو تكلف قال له الشيخ: ابحث المسألة، وارجع إلى كلام أهل العلم.

وربما غضب الشيخ على السائل إذا شعر أن السؤال فيه تشدد، أو اعتراض على حكم، أو تنقص لأحد من أهل العلم.

وأذكر مرة أن أحد الطلاب سأل سماحة الشيخ عن مقادير الديات، وقال: يا شيخ الدية الآن فيها ظلم للمسلم؛ فإنها تحدد بمائة ألف، وأصلها مائة من الإبل؛ فلو أن الإبل المذكورة في دية المسلم عرضت في السوق للبيع لبلغت قيمتها أكثر من مائة ألف؛ فلو أعيد النظر في تقدير الدية.

فرد عليه سماحة الشيخ بشدة، وقال: الذي قدر الدية علماء أعرف منك، وأنت تعترض، وأنت في بداية الطريق؛ فيجب عليك أن تتأدب وتترك الكلام الذي لا يعنيك.

ومع ذلك فإن الرفق والتحمل هو دأب الشيخ، ولكنه يتقصد تربية الطلاب حتى يكونوا على منهج سوي، وخلق فاضل.

ولهذا فإن سماحة الشيخ إذا زجر طالباً أو نهره لم يحمل في نفسه على الطالب شيئاً، وإنما ينتهي الأمر بمجرد انتهاء المجلس.

أما إذا كان السائل يريد الحق فإن سماحة الشيخ يصبر عليه، ولا يزجره، ولا ينهره، بل يتلطف به حتى ينال بغيته من سماحته.

---

(١) جوانب من سيرة ابن باز، ص/١٨٦

وكان سماحة الشيخ× كثير النصح، والتوجيه لطلاب العلم، وإليك هذه النصيحة التي كتبها في ١٣٨٩/٣/١٢هـ لما كان نائباً لرئيس الجامعة الإسلامية بعنوان: =نصيحة لطلبة العلم+.

وهذا نصها:

=نصيحة لطلبة العلم+

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله، نبينا محمد وآله وصحبه أما بعد:

فلا ريب أن طلب العلم من أفضل القربات، ومن أسباب الفوز بالجنة والكرامة لمن عمل به.

ومن أهم المهمات الإخلاصُ في طلبه وذلك بأن يكون طلبه لله، لا لغرض آخر؛ لأن ذلك هو سبيل الانتفاع به، وسبب التوفيق لبلوغ المراتب العالية، في الدنيا والآخرة.." (١)

"وفي يوم من الأيام جاءتني امرأة من نساء الجيران ، ولم أكن أهتم بمن يسكن حولي ، ولا أحب الاختلاط بهم ، ولكن هذه المرأة تعلقت بي ، وأصرت على زيارتي ، وبما أنها كانت صالحة وملتزمة فقد كرهت الجلوس معها ، وكنت دائما أحاول الهروب منها ، لكنها كانت لا تيأس ، وتقول لي : لقد صليت صلاة الاستخارة (١) . هل أنزل عندك مرة أخرى أم لا ، فيقدر الله لي النزول ورؤيتك .

ومرت الأيام ـ حوالي الشهرين ـ مرة تكلمني ، ومرات لا تستطيع أن تقابلني ، وكانت تذهب كل يوم بعد العصر لتعلم النساء القرآن في المسجد المجاور لنا ، وكلما رآها زوجي دعا الله أن أكون مثلها ، وكانت هي تدعوني إلى الذهاب معها إلى المسجد ، ولكني كنت أعتذر بأعذار واهية ، حتى لا أذهب ، وكانت دائما تقول لي : إني والله أقوم من الليل أصلي ، فأدعو الله لك بالهداية ، وعند ما أتقلب في فراشي أذكرك فأدعو الله لك ، وذلك لما تفرسته في من الذكاء ، وقوة الحجة ، وفصاحة اللسان ، والقدرة على جذب الناس حولي .

وجاء يوم ذهبت فيه خادمتي إلى بلدها ، وكنت بانتظار مجيء أخرى ، فجاءتني جارتي وأنا منشغلة ببعض أعمال البيت ، فاقترحت علي الاستغناء عن الخادمة ، وكان موعد قدومها عصر ذلك اليوم ، فقدر الله عز وجل أن يتأخر قدومها أسبوعا كاملا ، فكانت جارتي تأتيني فتجدني في البيت ، فتساعدني في بعض الأعمال ، وتسر بي سرورا كبيرا ، وكنت أنا في الوقت نفسه قد أحببتها، ورأيتها امرأة مرحة، لا كما كنت أتصور ، فإن زوجي من الملتزمين ، ولكنه كان دائما عابس الوجه ، مقطب الجبين ، فكنت أظن أن ذلك هو دأب الملتزمين جميعا ، حتى رأيت هذه المرأة وعاشرتها ، فتغيرت الصورة التي كانت في ذهني عن الملتزمين .

---

(١) – صلاة الاستخارة من أعظم أسباب التوفيق والبركة وتيسير الأمور .." (٢)

---

(١) جوانب من سيرة ابن باز، ص/٢٧٥

(٢) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب، ٢/١٤٤

"لقد تعددت نصوص القرآن الكريم في الحث على صلة الرحم، تلك الصفة التي تدل على كمال الإيمان وحسن الإسلام، وبها يكتسب المسلم رضا الله سبحانه وتعالى ثم محبة الخلق، فالله سبحانه وتعالى يقرن بين الأمر بتقواه والأمر بصلة الأرحام في قوله تعالى: ﴿ واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا ﴾ [النساء: ١]، وقوله تعالى: ﴿ وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ﴾ [الأنفال: ٧٥]، وقوله تعالى: ﴿ وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ﴾ [الإسراء: ٢٦] وقال ×: (لا يدخل الجنة قاطع رحم) (١).

وقد يظن كثير من الناس أن صلة الرحم تذهب الأوقات والأموال فأخبر النبي × أن الأمر خلاف ما يظنون؛ ففي الحديث الذي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله × قال: (من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره فليصل رحمه) (٢) ففي صلة الرحم تحقيق السعة في الأرزاق والبركة في الأعمار بسبب التوفيق إلى الطاعة، وعمارة الوقت بما ينفع في الدنيا والآخرة، وما يحصل للواصل من التوفيق للعلم الذي ينتفع به من بعده، والصدقة الجارية عليه، والخلف الصالح.

وتكون صلة الرحم بالتوادد والتناصح والعدل والإنصاف والقيام بالحقوق الواجبة المستحبة، والإنفاق على القريب، وتفقد أحوالهم والتغافل عن زلالهم والدعاء لهم. والمعنى الجامع (إيصال ما أمكن من الخير ودفع ما أمكن من الشر بحسب الطاقة) وهذا إنما يستمر إن كانت صلتهم تقربهم إلى الإسلام، فإن أصروا على باطلهم فمقاطعتهم صلتهم وهذا لا يمنع من الدعاء لهم بالصلاح والهداية(٣).

---

(١) ...فتح الباري، شرح صحيح البخاري، كتاب الأدب، جـ١٠، ص٥٠٩ رقم الحديث ٥٩٨٤.

(٢) ...المرجع السابق، جـ١٠، ص٥١٠.

(٣) ...انظر: فتح الباري، جـ١٠، ص٥١٤.." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢٦٨ """""""

وحقيقة الإخلاص سلامته من وصفين ؛ وهما : الرياء والهوى ، ليكون خالصا كماوصف الله تعالى الخالص من اللبن ، فكان بذلك تمام النعمة علينا ، فقال : (من بين فرث ودم لبنا خالصا) النحل : ٦٦ ، فلو وجد فيه أحد الوصفين من فرث أو دم لم يكن خالصا ، ولم تتم النعمة به علينا ولم تقبله نفوسنا ، فكذلك معاملتنا لله عز وجل إذا شابها رياء بخلق أو هوى من شهوة نفس ، ولم تكن خالصة لم يتم بها الصدق والأدب في المعاملة ولم يقبلها الله تعالى منا فاعتبروا . وروينا عن سعيد بن أبي بردة عن كتاب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه إلى أبي موسى الأشعري : أنه من خلصت نيته كفاه الله تعالى ما بينه وبين الناس ، ومن تزين للناس بما يعلم الله تعالى منه غير ذلك شانه الله تعالى ، فما ظنك ؟ وكتب سالم بن عبد الله إلى عمر بن عبد العزير : اعلم يا عمر أن الله تعالى عون للعبد بقدر النية ، فمن تمت نيته تم عون الله تعالى إياه ، ومن قصرت عنه نيته قصر عنه من عون الله تعالى بقدر ذلك ، وقد قال الله تعالى في تصديق ذلك : (إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما) النساء : ٣٥ ، فجعل سبب التوفيق إرادة الإصلاح ؛ فذلك هو أول التوفيق من الموفق المصلح للعامل

---

(١) فضيلة تلاوة القرآن وحملته، ٣٢/١

الصالح ، وقال بعض السلف : رأيت الخير إنما يجمعه حسن النية وكفاك به خيرا وإن لم ينصب رب عمل صغير تعظمه النية ورب عمل كبر تصغره النية ، وكتب بعض الأدباء إلى أخيه : أخلص النية في أعمالك يكفك القليل من العمل ، وقال داود الطائي : من أكبر همه التقوى لو تعلقت جميع جوارحه بالدنيا لردته نيته يوما إلى نية صالحة ، فكذلك الجاهل بالله تعالى وأيامه همه الدنيا والهوى ، ولو تعلقت جوارحه بكل أعمال الصالحات لكان مرجوعا إلى إرادة الدنيا وموافقة الهوى ، لأن سرها كان همه النفس لعاجل عرض الدنيا ، وقال محمد بن الحسين : ينبغي للرجل أن تكون نيته بين يدي عمله ، وقال أيوب السجستاني وغيره : تخلص النيات على العمال أشد عليهم من جميع الأعمال ، وقال الثوري : كانوا يتعلمون النية للعمل كما يتعلمون العلم ، وقال بعض العلماء : طلب النية للعمل قبل العمل وما دمت تنوي الخير فأنت بخير ، وقال زيد بن أسلم : خصلتان هما كمال أمرك تصبح ولا تهيم لله تعالى بمعصية وتمسي ولا تهيم لله تعالى بمعصية ، وكذلك قال بعض السلف في معناه : إن نعمة الله تعالى أكثر من أن تحصوها وإن ذنوبكم أخفى من أن تعلموها ولكن أصبحوا توابين وأمسوا توابين يغفر لكم ما بين ذلك . وروينا في الخبر عن بعض المريدين : أنه كان يطوف على العلماء يقول : من يدلني على عمل لا أزال فيه عاملا لله تعالى فإني أحب أن لاتجيء علي ساعة من ليل أو نهار إلا وأنا عامل من عمال الله تعالى ، فقيل له : قد وجدت صاحبك اعمل الخير ما استطعت ، فإذا أفترت أو تركته فهم بعمله ، فإن الهام بعمل الخير كعامله . وروينا عن عيسى عليه الصلاة والسلام : طوبى لعين نامت ولا تهم بمعصية وانتهت إلى غير إثم .." (١)

"إن صلة الرحم – أخي الصائم – عظيمة البركة فهي : طاعة للرحمن وبركة في الأرزاق والأعمار ، ومن أسباب التوفيق في الحياة ودفع الأذى ، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم :" من سره أن يمد له في عمره ويوسع له في رزقه ويدفع عنه ميتة السوء فليتق الله وليصل رحمه "

إن رمضان والقرب من العيد تعد فرصة عظيمة لأجمل نسيان في الوجود ، وهو نسيان أخطاء أرحامك في حقك ، لتعود القلوب صافية نقية كما كانت .

فهلا عزمت – أخي الصائم – أن تطوي كل ما قد تراكم في قلبك عبر السنين بينك وبين أرحامك وأن تبدأ حياة جديدة غير منغصة بالحقد على أحد ، فما أشقى الحساد وما أشد مرض الحاقدين !

عافاني الله وإياك من أمراض القلب وآفاته ، حتى نستقبل عيدنا المبارك إن شاء الله ، ونحن في أحسن حال وأطهر قلب وأكرم نفس .

وإلى المصارحة الثامنة والعشرين ..

المصارحة الثامنة والعشرون : (قبل الوداع)

أخي الصائم ..

هل لي – أخي الصائم – بعد أن أكثرت عليك من الحديث أن تسمح لي بأن أخاطب شهرنا الكريم ..

لله أنت يا شهر الصوم والخير ، ما أخف ظلك ! وما أسرع خطاك ! حللت كالضيف الحبيب ، وسرعان ما تحزم حقائبك

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، ٢٦٨/٢

لتركنا مع ذكريات جميلة وكأن آخر يوم منك أول يوم استقبلناك فيه ، حينها التفتت القلوب قبل الأنظار وأشعلنا مشاعرنا حبا وشوقا إليك لا لأننا نثق في أعمالنا ، ولكن لأننا نرجو فيك رحمة ربنا .

نعنو وجوها للإله وتستحي *** في صومنا الأقوال والأفعال

حتى إذا أزف الوداع وأوشكت *** نذر الفراق على الربا تنهال

عشناك شوقا لا يزول وفرحة *** لا تنتهي وإن انتهت آجال

من لنا بمثل شهرنا يوقظ فينا ما غفا ويستحث ما ركد فيا أيها الراحل العزيز تمهل .. فلا تزال همهمات الوداع تئن في قلوبنا .. تقول :

يا أنس المصلين ، ترى هل سنبقى على هذه الصلة الحميمة ببيوت الله بعدك ؟

يا كهف المساكين ، وقد وجدوا فيك النفوس سمحة معطية ترى هل ستستمر تلك النفوس في نداها وجودها ؟." (١)

"والأمر الثاني أن تحاول أن تنسى هذا العمل فقد يتلبس الإنسان بمعصية لا يستطيع الإنفكاك عنها من قريب وثمة طرائق أخرى لإقصائها وهو أن يكثر من العمل الصالح وأن يأتي بأعمال صالحة ترقق القلب قال الله (إن الحسنات يذهبن السيئات) وأن يحرص على بر الوالدة على وجه الخصوص فهي من أسباب التوفيق هذا وجود انكسار في القلب هذا كله بإذن الله يعينك ولو بعد حين على التخلص من تلك المعصية نسأل الله أن يهدينا وإياك سواء السبيل وأن يثبتنا عليه..

يقول أحسن الله إليكم أبتليت بأن تعلقت بشاب مثلي وفقدت بذالك السيطرة على قلبي حتى أني أشغل بالتفكير فيه حتى في الصلاة وحتى في قراءة القرآن فضيلة الشيخ إني أكتب هذه الكلمات وبي من الندم والحسرة على خسارة أعظم لذة كنت أحسب أني أجدها لذة الطاعة شيخي هلا دللتني وفقك الله على شيء أتشبث به حتى ينجلي هذا الأمر ؟

إنا لله وإنا إليه راجعون قل إنا لله وإنا إليه راجعون

لا توجد مصيبة أعظم من أن يتعلق قلب العبد بغير الله على هذا من ابتلي بشيء من هذا فليقل بقلب صادق إنا لله وإنا إليه راجعون لأن الله يقول (والذين إذا أصابته مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمه) وقل اللهم أجرني في مصبتي وعوضني خيرا منها والله إن فقد الأولاد والأموال والزوجة والوالدين لا يعدل فقد الإنسان قلبه في أن يتعلق قلبه بغير الرب تبارك وتعالى لكن لا نريد أن نقرعك ونكثر عليك اللوم فثمة طرائق قد لا يحسن نشرها على الملأ فلو استطعت أن تتصل بنا هاتفيا أو بغيرنا ممن تظن به الفضل يرشدوك إلى طرائق لأن هذه قضية عين قضية فرديه وقد يكون فيك مكامن قوة في الصلاح والإيمان لو استغلت جيدا يعينك الله بها على أن لا يتعلق قلبك بغير الله جل وعلا .

نعم." (٢)

---

(١) عشر خطب رمضانية، ٥٦/٤

(٢) ملفات خطب ودروس ومحاضرات / المغامسي، ٢٠/٤١

"قارون: ﴿قال إنما أوتيته على علم عندي أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون (٧٨)﴾ [القصص: ٧٨].

والواجب أن يقول كما قال سليمان – صلى الله عليه وسلم – لما أوتي الملك: ﴿قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم (٤٠)﴾ [النمل: ٤٠].

والمؤمن يرى كل نعمة من ربه هو المالك لها، وهو المتفضل بها، من بها على عبده من غير استحقاق منه، بل هي صدقة تصدق بها على عبده، وله أن لا يتصدق بها، وله أن يسلبها.

فلو منعه إياها لم يكن قد منعه شيئا هو له يستحقه عليه، فإذا لم يشهد ذلك رأى فيه أنه أهلا ومستحقا، فأعجبته نفسه وطغت بالنعمة، وعلت بها واستطالت على غيرها، فكان حظها منها الفرح والفخر كما قال سبحانه: ﴿ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليئوس كفور (٩) ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني إنه لفرح فخور (١٠)﴾ [هود: ٩، ١٠].

وإذا علم الله هذا من قلب عبد.

يأس وكفر عند الضراء .. وفرح وفخر عند النعماء .. وكلاهما فتنة وبلاء .. وذلك من أعظم أسباب خذلانه وتخليه عنه.

فإن محله غير قابل لها، ولا تناسبه النعمة المطلقة التامة كما قال سبحانه: ﴿إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون (٢٢) ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون (٢٣)﴾ [الأنفال: ٢٢ – ٢٣].

فأسباب الخذلان من النفس وفيها .. وأسباب التوفيق من جعل الله سبحانه لها قابلة للنعمة.

فأسباب التوفيق منه ومن فضله، وهو الخالق لهذه وهذه، كما خلق سبحانه أجزاء الأرض، هذه قابلة للنبات، وهذه غير قابلة، وخلق الشجر، هذه قابلة للثمرة، وهذه لا تقبلها.." [(١)]

"يتركهم سدى، لا يرسل إليهم رسولا، ولا ينزل عليهم كتابا، ولا يعجز سبحانه مع ذلك أن يخلقهم بعد ما أماتهم خلقا جديدا، ويبعثهم إلى دار يوفيهم فيها أعمالهم من خير أو شر.

فكيف يطمع هؤلاء الكفار في دخول الجنة وهم يكذبون الله، ويكذبون رسله، ويعدلون به خلقه، وهم يعلمون من أي شيء خلقهم؟.

وسبب الخذلان لهم عدم صلاحية المحل وأهليته، وعدم قبوله للنعمة، بحيث لو وافته النعم لقال هذا لي، وإنما أوتيته لأني أهله ومستحقه، كما قال سبحانه عن قارون حين: ﴿قال إنما أوتيته على علم عندي أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون (٧٨)﴾ [القصص: ٧٨].

وسليمان – صلى الله عليه وسلم – رأى ما أوتيه من الملك من فضل الله عليه ومنته كما قال سبحانه: ﴿قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم (٤٠)﴾ [النمل: ٤٠].

أما قارون فرأى ذلك من نفسه واستحقاقه وأنه أهله وحقيق به، وإذا علم الله هذا من قلب العبد فذلك من أعظم أسباب

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ١٢١٥/٢

خذلانه وتخليه عنه، فإن محله لا تناسبه النعمة المطلقة التامة.

فأسباب الخذلان من النفس .. وأسباب التوفيق من جعل الله لها قابلة للنعمة، فأسباب التوفيق منه ومن فضله .. وهو الخالق لهذه وهذه .. كما خلق أجزاء الأرض هذه قابلة للنبات .. وهذه غير قابلة له .. وخلق الشجر هذه تقبل الثمرة .. وهذه لا تقبلها.

وخلق الأرواح الطيبة قابلة لذكره وشكره، وإجلاله وتعظيمه، وتوحيده ونصح عباده .. وخلق الأرواح الخبيثة غير قابلة لذلك، بل لضده، وهو الحكيم العليم.

والإنسان لا يصل إلى أسمى الغايات وأكمل النهايات إلا على جسر من الابتلاء والامتحان، وهذا الجسر لكماله يشبه الجسر الذي لا سبيل إلى دخول الجنة إلا." (١)

"تفسير قوله تعالى: (وما أعجلك عن قومك يا موسى وعجلت إليك رب لترضى)

قال الله جل وعلا بعد ذلك لموسى وهو في جبل الطور: ﴿وما أعجلك عن قومك يا موسى﴾ [طه:٨٣]، هذا يفهم منه أن موسى استبق قومه إلى جبل الطور ليتحقق الوعد المكاني والزماني، فقد ضرب الله له ميقاتا زمانيا ومكانيا، الميقات الزماني أربعون يوما، والميقات المكاني جبل الطور، فسبق موسى قومه، وجعل أخاه هارون يخلفه فيهم، فسأله ربه: ﴿وما أعجلك عن قومك يا موسى﴾ [طه:٨٣]، و (ما) هذه استفهامية ﴿قال هم أولاء على أثري﴾ [طه:٨٤]، قال بعض العلماء: إن هذا الجواب غير مطابق للسؤال، فقد كان ينبغي أن يقول: أعجلني كذا وكذا، ولا يقول: إن قومي قريبو عهد بي ومكان، لكن قالوا: لماذا احتار موسى في الجواب؟ قالوا: لأنه هاب معاتبة الله جل وعلا له، فلم يجد جوابا يخاطب به ربه، والمقصود أن معاتبة الله جل وعلا لموسى وسؤاله إياه أوقع في موسى الرهبة والخوف، فكان جوابه غير مطابق للسؤال، وإذا صح هذا التأويل الذي اختاره بعض أهل العلم فحري بنا أن نقول: إذا كان هذا النبي الكريم الذي لم يقترف ذنبا أصابه ما أصابه من الذهول لما عاتبه ربه، فكيف بمن يلقى الله جل وعلا وقد عصاه، وتجاوز حدوده، وانتهك حرماته!! نسأل الله السلامة والعافية.

﴿قال هم أولاء على أثري﴾ [طه:٨٤]، أي: غير بعيد عني ﴿وعجلت إليك رب لترضى﴾ [طه:٨٤]، هذه تصلح جوابا، وقد قال العلماء بناء على هذه الآية: إن العجلة مذمومة إلا إذا كانت مسارعة في الخيرات، وقوله: ﴿وعجلت إليك رب لترضى﴾ [طه:٨٤]، فيه أن طلب رضوان الله جل وعلا من أعظم المقاصد وأجل المطالب، ولا توجد عطية أصلا بعد رضوان الله، قال الرب تبارك وتعالى: ﴿ورضوان من الله أكبر﴾ [التوبة:٧٢]، وكلما كانت بغية المرء أن ينال رضوان الله جل وعلا كان من أعظم الساعين في أسباب التوفيق، فوالله إنك لن تخرج من دارك تطلب أمرا أعظم من رضوان الله.

فكلما غلب على ظنك في عمل أن فيه رضوان الله فلا تتردد في السعي إليه عاجلا أم أجلا.." (٢)

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٢٤٤٦/٣

(٢) سلسلة محاسن التأويل - المغامسي، صالح المغامسي ٩/٥٤

"الله هو الولي

قوله تعالى: ﴿ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا﴾ [الكهف:١٧]، الولي المرشد هو الله سبحانه وتعالى، الذي يتولى العبد ويتولى شأنه بالإصلاح، والذي يرشده إلى الهداية وإلى أسباب التوفيق والخير في دنياه وأخراه، فمن أضله الله فلن تجد له وليا مرشدا.

كثير من الصوفية يحتجون بهذه الآية في غير موضعها، ويقولون: لابد من وجود الولي المرشد في الطريق إلى الله، وهو استدلال على عادتهم بالآيات في غير معانيها ومواضعها، فيقولون: لابد أن يكون لكل واحد ولي من أولياء الله يرشده، ومن ليس له شيخ فشيخه شيطان، ويكون ضالا، مع أن الآية إنما هي في الله سبحانه وتعالى، ﴿ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا﴾ [الكهف:١٧]، فالمؤمنون الذين هداهم الله لهم ولي مرشد، من هو الولي المرشد؟ هو الله، قال سبحانه: ﴿من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا﴾ [الكهف:١٧]، واستدلالهم بالآية في غير موضعه، وإن كان لا شك أن الإنسان يحتاج إلى معلم ومرشد، ولكن هذه الآية لا يستدل بها على ذلك؛ لأن إرشاد الرب سبحانه وتعالى وهدايته أعظم الهداية، وولايته لعبده المؤمن حفظا وعناية ورعاية وتأييدا وتوفيقا أعظم ولاية، ولذلك هو يتولى المؤمنين، ويتولى الصالحين، فهو ولي يتولى أمره، ومرشد يرشده، فهذا الذي يفعله الله بعباده المؤمنين لا نظير له فيما يفعله الناس.." (١)

"صحبة أولي الهمم العالية سبب من أسباب الارتقاء بالهمة

من أسباب الارتقاء بالهمة: صحبة أولي الهمم العالية ومطالعة أخبارهم، فهذا سبب آخر مرتبط بالسبب الماضي، وإن كان السبب الماضي عاما، فمن انتقل إلى بيئة أخرى فعليه بعد ذلك أن يبحث عن أناس أولي همة عالية ويصحبهم؛ كي يتأثر بهم، فالطيور على أشكالها تقع، فالغراب يطير مع الغربان، والحمام مع الحمام، والنسور مع النسور، وكل شكل من أشكال الطيور مع شكله، وكذلك الأسماك وكذلك غيرها من الكائنات، وكذلك بنو آدم، فالطيور على أشكالها تقع، وكل قرين بالمقارن يقتدي.

والعبد يستمد من لحظ الصالحين قبل لفظهم، فإذا عشت مع الصالحين فإنك تستفيد باللحظ وبالنظر أكثر ما تستفيد بالكلام؛ لأن رؤيتهم تذكر بالله عز وجل، فعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن من الناس ناسا مفاتيح للخير مغاليق للشر) فمجرد رؤيتهم تفتح أبواب الخير، وتغلق أبواب الشر.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ [يونس:٦٢] قال: (هم الذين يذكر الله لرؤيتهم) هذه هي علامة أولياء الله، فإنهم مباركون حيثما كانوا، وإذا رآهم الناس تذكروا الله سبحانه وتعالى، والإنسان فعلا يشعر بهذا، فأحيانا يمضي مثلا في الطريق، ويكون غافلا عن ذكر الله، فإذا رأى رجلا تتحرك شفتاه بذكر الله، سرعان ما ينتبه الإنسان إليه ويقتدي به في هذا، ومثلا: تركب أحيانا في مواصلات فتجد رجلا منزويا في جانب ويمسك المصحف الشريف ويقرأ من القرآن، المصلحون في كل مكان يذكرون الناس بلحظهم

---

(١) القصص القرآني - ياسر برهامي، ياسر برهامي ١٣/١٠

قبل أن يذكروهم بلفظهم.
وروي عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود قال: كان الربيع بن خيثمة إذا دخل على ابن مسعود لم يكن له إذن لأحد حتى يفرغ كل واحد من صاحبه، فقال له ابن مسعود: (يا أبا يزيد! لو رآك رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحبك، وما رأيتك إلا ذكرت المخبتين)، فانظر إلى رجل ينبهر به عبد الله بن مسعود ويقول له: لو رآك رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحبك، وما رأيتك إلا ذكرت المخبتين، ولذلك كان ابن مسعود يعامله معامله خاصة، فكان إذا دخل الربيع بن خيثمة على عبد الله بن مسعود تنقطع المقابلات، ولا يمكن أن يقابل أحدا أبدا إلى أن يفرغ من حاجته مع ابن خيثمة ثم بعد ذلك يقابل الآخرين.
وقالت العرب: لولا الوئام لهلك الأنام، والوئام هنا بالذات في هذه العبارة معناه: التشبه بالكرام.
قال الماوردي في معنى هذه الكلمة: لولا الناس يرى بعضهم بعضا فيقتدى بهم في الخير وينتهى بهم عن الشر لهلكوا؛ لأن الانغماس في البيئة الصالحة والبيئة الطيبة يوجد الوئام الذي هو ثمرة هذا الاختلاط، فالناس حينما يحتك بعضهم ببعض يتعلمون من بعض، فيرى الصالحون ويقتدى بهم، وأيضا يجتنب الشر عن طريق هذا الوئام، فلولا الوئام لهلك الأنام.
وقال زين العابدين علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم: إنما يجلس الرجل إلى من ينفعه في دينه.
تحر ألا تجلس إلا إلى من ينفعك في دينك.
أنت في الناس تقاس بالذي اخترت خليلا فاصحب الأخيار تعلو وتنل ذكرا جميلا وعن جعفر قال: كنت إذا وجدت بالقلب قسوة نظرت إلى وجه محمد بن واسع نظرة، وكنت إذا رأيت وجه محمد بن واسع حسبت أن وجهه وجه ثكلى، يعني: من شدة حزنه وخوفه من الآخرة.
وقال ابن المبارك: إذا نظرت إلى فضيل جدد لي الحزن، ومقت نفسي.
هذا والذي يقول هذا هو عبد الله بن المبارك رحمه الله الإمام الجليل المبارك الذي هو من سادات المسلمين رحمه الله تعالى، ومع ذلك يقول في الفضيل بن عياض: إذا نظرت إلى فضيل جدد لي الحزن، ومقت نفسي.
فيمقت نفسه ويكره نفسه، لتقصيرها في طاعة الله عن التشبه بهذا العبد الصالح.
وكان الإمام أحمد إذا بلغه عن شخص صلاحا أو زهدا أو قياما بحق أو اتباعا للأمر سأل عنه، وأحب أن يجري بينه وبينه معرفة، وأحب أن يعرف أحواله.
فكان من خصائص منهج الإمام أحمد في علاقته بالناس أنه إذا سمع عن رجل يأمر بمعروف أو ينهى عن منكر أو مجتهد في العبادة أو العلم أو الزهد أو الصلاح أو غير ذلك من هذه الأمور العالية يسأل ويبحث عنه، ويحرص على أن تجري بينه وبينه معرفة وأخوة، ويتابع أحواله باستمرار، الإمام أحمد كان يطبق قاعدة مهمة جدا وهي قاعدة: التجريب قبل التقريب، يعني: قبل أن تقرب واحدا منك ينبغي أن تجربه أولا وتجرب أخلاقه وتبحث عن صفاته وطباعه؛ لأن الصورة التي تريدها لنفسك هي الصورة التي عليها من تخالله وتتخذه صديقا قريبا، فكان الإمام أحمد رحمه الله تعالى يطبق قاعدة التجريب قبل التقريب، فكان يدقق في اختيار من يقربه منه ويدنيه، وعرف عنه ذلك، حتى قال الشاعر في مدح الإمام أحمد رحمه الله: ويحسن في ذات الإله إذا رأى مضيما لأهل الحق لا يسأم البلا فإخوانه الأدنون كل موفق بصير بأمر الله يسمو إلى العلا

هؤلاء هم إخوانه في الله، فكان الإمام أحمد يحرص على ألا يصادق ولا يؤاخي إلا من تحقق فيه هذا المعنى.

وحكى ابن القيم رحمه الله تعالى بعض ما استفاده من ملاحظة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى فقال: وعلم الله ما رأيت أحدا أطيب عيشا منه قط، مع ما كان فيه من ضيق العيش، وخلاف الرفاهية والنعيم بل ضدها، وما كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشا، وأشرحهم صدرا، وأقواهم قلبا، وأسرهم نفسا، تلوح نضرة النعيم على وجهه.

وابن القيم يتكلم وكأنه يتكلم عن أبناء أو أطفال يفزعون إلى أبيهم في شدة الفزع كي يلوذوا به ويطمئنوا، فـ ابن القيم هو شعاع من نور شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى يتحدث بلسان إخوانه من تلامذة شيخ الإسلام فيقول: وكنا إذا اشتد بنا الخوف، وساءت منا الظنون، وضاقت بنا الأرض أتيناه، فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله وينقلب انشراحا وقوة ويقينا وطمأنينة.

وإذا أردت أن تلمس أثر الصحبة العالية الهمة في التسابق إلى الخيرات فتأمل ما قاله محمد بن علي السلمي رحمه الله – تأملوا وابكوا على أحوالكم– حيث يقول: قمت ليلة سحرا لآخذ النوبة على ابن الأخرم.

يعني: من أجل أن يذهب يحجز مكانا في المسجد الذي فيه حلقة ابن الأخرم، وكأنه يقول: أنا سأكون أول واحد يحضر، وبالتالي أكون في المقدمة، وأبادر للأخذ على الشيخ، فاستيقظ في السحر، وخرج من بيته وذهب ليحجز مكانا في الحلقة، قال: فوجدت أنه قد سبقني ثلاثون قارئا، أي: ثلاثون من إخوانه، وهذا معناه: أنهم استيقظوا وأتوا قبل ذلك بفترة، قال: فوجدت أنه قد سبقني ثلاثون قارئا، ولم تدركني النوبة إلى العصر.

وقال علي بن الحسين بن شقيق: قمت لأخرج مع ابن المبارك في ليلة باردة من المسجد، فذاكرني عند الباب بحديث أو ذاكرته فما زلنا نتذاكر حتى جاء المؤذن للصبح.

أي: لم يشعروا بالوقت، فظلوا يتذاكرون طوال الليل وهم قيام، وفي ليلة باردة إلى أن جاء المؤذن يؤذن لصلاة الصبح.

وهذا الشاعر محمد إقبال يدعو الله أن يمن عليه بصاحب عالي الهمة فيقول: هب نجيا يا ولي النعمة محرما يدرك ما في فطرتي هب نجيا لقنا ذا جنة ليس في الدنيا له من صلة وقال أمير المؤمنين عمر رضي الله تعالى عنه: (ما أعطي عبد بعد الإسلام خيرا من أخ صالح، فإذا رأى أحدكم ودا من أخيه فليتمسك به).

وقال الحسن البصري: إخواننا أحب إلينا من أهلنا وأولادنا؛ لأن أهلنا يذكروننا بالدنيا، وإخواننا يذكروننا بالآخرة.

ويقول الدكتور خلدون الأحدب حفظه الله: وإذا ما نظرنا إلى أولئك الذين استفادوا من لحظات أعمارهم، وكان من نتاجهم وأثرهم ما يعجب أو يدهش نجدهم لا يصاحبون إلا المجدين العاملين، والنابغين الأذكياء الذين يحرصون على أوقاتهم حرصهم على حياتهم؛ لأن الزمن هو الحياة.

ونحن المسلمون نقول: الذهب هو الحياة، ولا نقول: الوقت من ذهب؛ لأن هذه الكلمة هي كلمة الغربيين؛ لأن الذهب عندهم هو أعظم حاجة يضرب بها المثل في النفاسة، فالوقت عندهم من ذهب، أما المسلمون فيقولون: الذهب هو الحياة نفسها التي هي أغلى بكثير من الذهب.

يقول: وصحبة هؤلاء الأمجاد المجدين المتيقظين للدقائق والثواني كان له عظيم الأثر في همة مثل الإمام: ابن جرير الطبري

وابن عقيل الحنبلي وابن عساكر الدمشقي وابن تيمية وابن القيم وابن النفيس والمزي والذهبي وابن حجر وأضرابهم في غزارة إنتاجهم وجدته.

يقول الإمام ابن عقيل الحنبلي صاحب كتاب (الفنون): وعصمني الله من عنفوان الشبيبة بأنواع من العصمة، وقصر محبتي على العلم وأهله فما خالطت لعابا قط، ولا عاشرت إلا أمثالي من طلبة العلم.

يعني: أن أحد أسباب توفيقه هو أنه قصر صحبته على كبيري الهمة.

فالحريص الموفق الذي يروم المعالي لا تراه إلا مع أهل العلم العاملين، وأولي الفضل والمجاهدة والحكمة والبصيرة، ليرشح عليه ما هم فيه أو بعضه، فيكون مثلهم أو قريبا منهم، إن صحبة هؤلاء تعلم منافسة الزمان، وصحبة البطالين تعلم تضييع الزمان.

وصحبة البطالين الآن ليس فقط عن طريق اتخاذ أصدقاء بطالين لاهين غافلين، إنما هناك نوع." [(١)]

"٨ – يُستحبّ له أن يجتهد في اختيار الرفيق الصالح، ويحرص أن يكون من طلبة العلم الشرعي؛ فإنَّ هذا من أسباب توفيقه، وعدم وقوعه في الأخطاء في حجه وعمرته، كما قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: ((الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل)) (١)، وقال – صلى الله عليه وسلم –: ((لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي)) (٢)، وقد مثل النبي – صلى الله عليه وسلم – الجليس الصالح بحامل المسك، والجليس السوء بنافخ الكير (٣).

٩ – يُستحبّ له أن يُودِّع أهله، وأقاربه، وأهل العلم: من جيرانه، وأصحابه، قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: ((من أراد سفراً فليقل لمن يخلِّف: أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه)) (٤)، وكان النبي – صلى الله عليه وسلم – يودع أصحابه إذا أراد أحدهم سفرًا فيقول: ((أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك)) (٥)، وكان – صلى الله عليه وسلم – يقول لمن طلب منه أن يوصيه من المسافرين: ((زودك الله التقوى، وغفر ذنبك، ويسَّر لك الخير حيثما كنت)) (٦). وجاء رجل إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – يريد سفراً فقال: يا رسول الله أوصني، قال: ((أوصيك بتقوى الله، والتكبير على كل شرف))، فلما مضى قال: ((اللهمّ ازوِ له الأرض،

---

(١) أبو داود، برقم ٤٨٣٣، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ٣/ ١٨٨.

(٢) أبو داود، برقم ٤٨٣٢، والترمذي، برقم ٢٣٩٥، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ٤٨٣٢، وصحيح الترمذي، برقم ٢٠١٩.

(٣) متفق عليه: البخاري، برقم ٥٥٣٤، ومسلم، برقم ٢٦٢٨.

(٤) أحمد، ٢/ ٤٠٣، ابن ماجه، برقم ٢٨٢٥، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ١٦، ٢٥٤٧، وصحيح سنن ابن ماجه، ٢/ ١٣٣.

---

(١) سلسلة علو الهمة – المقدم، محمد إسماعيل المقدم ١١/١٧

(٥) أبو داود، برقم ٢٦٠٠،والترمذي، برقم ٣٤٤٢،وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ٣/ ١٥٥.

(٦) الترمذي، برقم ٣٤٤٤، وقال الألباني في صحيح سنن الترمذي، ٣/ ٤١٩: ((حسن صحيح)).." [١]

"مظهريّاً، فالأخلاق شيء يتصل بباطن الإنسان، ولابد لنا من مظهر يدلّنا على هذه الصفة النفسية، وهذا المظهر هو السلوك، فالسلوك هو المظهر الخارجي للخلق، فنحن نستدل من السلوك المستمر لشخص ما على خلقه، فالسلوك دليل الخلق، ورمز له، وعنوانه، فإذاكان السلوك حسناً دل على خلق حسن، وإن كان سيئاً دل على خلق قبيح، كما أن الشجرة تعرف بالثمر، فكذلك الخُلق الطيّب يعرف بالأعمال الطيبة (١).

والحكمة تتفرّع إلى فروع، وأحد هذه الفروع هو السلوك الحكيم، والتزام فضائل الأخلاق، واجتناب رذائلها ظاهراً وباطناً هو السلوك الأخلاقي الحكيم (٢).

والداعية إذا التزم السلوك الأخلاقي الحكيم كان ذلك من أعظم طرق اكتساب الحكمة، ومن أسباب توفيق الله له في دعوته، وفي أموره كلها، واستقامته، وحسن سيرته، وأدعى لقبول دعوته، وإصلاح الأخلاق، ومحاربة المنكرات، إذ لا يجد في الناس من يغمزه في سلوكه الشخصي، سواء كان ذلك من قبل قيامه بالدعوة أو بعده، وكثيراً ما سمعنا أن أناساً قاموا بدعوة الإصلاح، وخاصة إصلاح الأخلاق، وكان من أكبر العوامل في إعراض الناس عنهم، وعن دعوتهم ما يذكرونه لهم من ماضٍ ملوّث، وخلق غير مستقيم، بل إن هذا الماضي السيئ مدعاة للشك في صدق مثل هؤلاء الدعاة، بحيث يُتَّهمون بالتستر وراء دعوة الإصلاح؛ لأغراض

---

(١) انظر: مقدمة في علم الأخلاق، ص٤٣.

(٢) انظر: الأخلاق الإسلامية وأسسها للميداني، ١/ ١٣.." [٢]

"فمن وفَّقه الله لحُسنِ الخاتمةِ فقَد سعِد سعادةً لا يَشقَى بَعدَها أبدًا، ولاَ كَربَ عليه بعد ذلكَ التّوفيقِ، ومَن خُتِمَ لَه بسوءِ خاتمةٍ فقَد خسِرَ في دنياه وأُخرَاه.

وَالصّالحونَ تَعظُم عِنايَتُهم بالأعمَالِ الصالحةِ السّوابِقِ للخَاتمَة، كمَا أنّهم يجتَهِدُونَ في طَلَبِ التَّوفِيقِ للخَاتمةِ الحَسَنَةِ، فيُحسِنون الأعمالَ، ويحسِنونَ الرَّجاءَ والظنَّ بالله تَعالى، ويُسيئُون الظنَّ بأنفسِهِم، كمَا قَالَ تَعَالى: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ [البقرة: ٢١٨].

وَمَن صَدَقَ اللهَ في نِيّتِه وعَمِل بِسُنّةِ رَسولِ اللهِ واتَّبعَ هَديَ أَصحَابِه فقَد جَرَت سُنّةُ الله تَعالى أن يختِمَ له بخَيرٍ، وأَن يجعَلَ اللهُ عواقبَ أمورِه إلى خيرٍ، قَالَ تَعَالى: إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً [الكهف: ٣٠]، وقال تَعَالى: وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلاَ يَخَافُ ظُلْمًا وَلاَ هَضْمًا [طه: ١١٢]، وَقَالَ تَعَالى: وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ [البقرة: ١٤٣].

وَأَسبَابُ التَّوفِيقِ إلى حُسنِ الخاتمةِ النِّيةُ الصَّالحةُ والإخلاَصُ لله تعالى؛ لأنَّ النيةَ الصَّالحةَ والإخلاصَ شُرطُ الأعمالِ المقبولةِ

---

(١) العمرة والحج والزيارة في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ص/٢٢

(٢) الخلق الحسن في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ص/٧٩

عندَ الله عز وجلّ. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (١١٠) سورة الكهف.

ولحسن الخاتمة علامات، كل واحدة منها كافية بإذن الله في الاستبشار بحسن الخاتمة من غير جزم بذلك (١):

١ - النطق بالشهادة عند الموت، فعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -: مَنْ كَانَ آخِرُ كَلامِهِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ " رواه الحاكم (٢).

---

(١) - انظر موسوعة خطب المنبر - الإصدار الثاني - (١/ ٤١٤٦) -حسن الخاتمة والتحذير من سوئها الرقاق والأخلاق والآداب

(٢) - المستدرك للحاكم (١٢٩٩) صحيح

وَقَالَ الْحَافِظ فِي الْفَتْح: وَالْمُرَاد بِقَوْلِ لَا إِلَه إِلَّا اللَّه فِي هَذَا الْحَدِيث وَغَيْره كَلِمَتَا الشَّهَادَة، فَلَا يَرِد إِشْكَال تَرْك ذِكْر الرِّسَالَة. قَالَ الزَّيْن بْن الْمُنِير: قَوْل لَا إِلَه إِلَّا اللَّه لَقَب جَرَى عَلَى النُّطْق بِالشَّهَادَتَيْنِ شَرْعًا اِنْتَهَى. عون المعبود - (٧/ ١٠٠)." [١]

"وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ [آل عمران: ١٩٣]، وَقَالَ تَعَالَى عَنِ التَّائِبِينَ: رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ [الأعراف: ١٢٦]، عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ». ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ». رواه مسلم (١)

ومِن أسبابِ الخَاتمةِ الحَسَنَةِ المحَافَظَةُ عَلَى الصَّلَواتِ جماعَةً، فعَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي مُوسَى عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ «مَنْ صَلَّى الْبَرْدَيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ» (٢). والبردَان الفجرُ والعَصر، وصلاةُ المرءِ لهما دَليلٌ على أنه يحافَظ علَى غَيرهما مِن بابِ أولى.

وَمِن أسبابِ التَّوفِيقِ لحُسنِ الخَاتمةِ الإيمَانُ والإِصلاحُ، قال الله تَعَالى: فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ [الأنعام: ٤٨].

وَمِن أسبابِ توفيق الله لحسنِ الخاتمة تقوَى الله في السّرِّ والعَلَن بامتِثالِ أَمرِه واجتنابِ نهيه والدَّوامِ عَلَى ذلك، قَالَ اللهُ عز وجلّ: تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًا فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ [القصص: ٨٣].

ومِن أَسبَابِ التَّوفِيقِ لحُسنِ الخَاتمَةِ اجتِنَابُ الكبائِرِ وعَظائِمِ الذّنوبِ، قال عز وجلّ: إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا [النساء: ٣١].

ومِن أَسبَابِ التّوفيقِ لحسنِ الخاتمَة لُزومُ هَديِ النَّبيِّ - صلى الله عليه وسلم - وَاتِّبَاعُ طَرِيقِ المهَاجِرينَ والأنصَارِ والتّابعينَ لهُم رَضي الله عنهم بإحسانٍ، قال اللهُ تَعَالى: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا [الأحزاب: ٢١]، وَقَالَ تَعَالَى: وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ

---

(١) الاستعداد للموت، علي بن نايف الشحود ص/٢٠٣

عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ [التوبة: ١٠٠].

ومن أَسبَابِ التَّوفِيقِ لحسنِ الخَاتمَة البُعدُ عَن ظُلمِ النَّاسِ وعَدَمُ البَغيِ والعُدوانِ عليهم في نفسٍ أو مالٍ أو عِرضٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو – رضى الله عنهما – عَنِ النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم –

---

(١) – صحيح مسلم– المكنز – (٦٩٢١)

(٢) – صحيح البخارى– المكنز – (٥٧٤) وصحيح مسلم– المكنز – (١٤٧٠) – البردان: الفجر والعصر." [1]

"قَالَ «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ» (١).

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ – رضى الله عنهما – قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ «إِنَّكَ سَتَأْتِى قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِى كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ». رواه البخاريّ (٢)

وعَنْ أَبِي بَكْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – قَالَ: " مَا مِنْ ذَنْبٍ هُوَ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللَّهُ تَعَالَى عُقُوبَتَهُ لِصَاحِبِهِ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْبَغْيِ، وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ ". (٣)

وعَنْ أَبِي بَكْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم –: " مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللَّهُ تَعَالَى لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِثْلُ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ " (٤)

ومن أَسبَابِ التَّوفِيقِ لحسنِ الخَاتمةِ الإحسانُ إلى الخلقِ، قال الله تَعالى: الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ [البقرة: ٢٧٤].

---

(١) – صحيح البخارى– المكنز – (١٠)

(٢) – صحيح البخارى– المكنز – (١٤٩٦) – الكرائم: جمع كريمة وهى خيار المال وأفضله

(٣) – مُشْكِلُ الْآثَارِ لِلطَّحَاوِيِّ (٥٢٣٧) صحيح

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: فَقَالَ قَائِلٌ: أَفَتَكُونُ الْعُقُوبَةُ عَلَى الْبَغْيِ، وَالْعُقُوبَةُ عَلَى قَطِيعَةِ الرَّحِمِ أَسْرَعُ مِنَ الْعُقُوبَةِ عَلَى الْكُفْرِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِمَنْ كَفَرَ بِهِ؟ فَكَانَ جَوَابُنَا لَهُ فِي ذَلِكَ: أَنَّ مَا فِي هَذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ اللَّذَيْنِ ذَكَرْنَاهُمَا فِي هَذَا الْبَابِ لَمْ يُرَدْ بِهِ مَا ظَنَّ هَذَا الْقَائِلُ، وَلَيْسَ شَيْءٌ أَشَدُّ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْكُفْرِ، وَلَا عُقُوبَةَ أَشَدُّ مِنَ الْعُقُوبَةِ عَلَيْهِ، إِلَّا أَنْ تُدْرِكَ التَّوْبَةُ مَنْ كَانَ مِنْهُ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا أُرِيدَ بِمَا فِي الْحَدِيثَيْنِ اللَّذَيْنِ ذَكَرْنَاهُمَا فِي هَذَا الْبَابِ عُقُوبَةُ مَنْ كَانَ مِنْهُ الْبَغْيُ، وَقَطِيعَةُ الرَّحِمِ مِنْ أَهْلِ الشَّرِيعَةِ الَّتِي لَمْ يَخْرُجْ مِنْهَا بِذَلِكَ، وَكَانَ مَا تُوُعِّدَ بِهِ مِنْ ذَلِكَ عُقُوبَةً عَلَى بَغْيِهِ، وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ الَّتِي أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِصِلَتِهَا. وَأَمَّا الْعُقُوبَةُ عَلَى

---

(١) الاستعداد للموت، علي بن نايف الشحود ص/٢١٣

الْكُفْرِ، فَأَغْلَظُ مِنْ ذَلِكَ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.

(٤) – سُنَنُ أَبِي دَاوُدَ (٤٣١٩) صحيح." [١]

"السبب الخامس: العمل بآداب المشي إلى الصلاة من أعظم ما يجلب الخشوع:

إذا عمل المسلم بالآداب المشروعة في المشي إلى الصلاة؛ فإن ذلك يكون من أسباب التوفيق للخشوع في الصلاة، ومن هذه الآداب الآداب الآتية:

١ – يتوضأ في بيته ويسبغ الوضوء؛ لحديث عمر – رضي الله عنه – يرفعه: ((مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ أَوْ فَيُسْبِغُ الوُضُوءَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ [وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ]، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، إِلاَّ فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ، يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ)) (١)، زاد الترمذي: ((اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ، وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ)) (٢)، وفي النسائي: ((سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ)) (٣)، ثم يُصلِّي ركعتين بعد الوضوء؛ لحديث عقبة بن عامر، عن النبي – صلى الله عليه وسلم –: ((مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ وُضُوءَه، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ مُقْبِلٌ عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ إِلاَّ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ)) (٤)؛ ولحديث ابن مسعود – رضي الله عنه –: ((ما من رجل يتطهر فيحسن الطهور ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة، ويرفعه بها درجة، ويحط عنه بها سيئة)) (٥).

---

(١) مسلم، كتاب الطهارة، باب الذكر المستحب عقب الوضوء، برقم ٢٣٤.

(٢) الترمذي، كتاب الطهارة، باب فيما يقال بعد الوضوء، برقم ٥٥، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ١/ ١٨.

(٣) النسائي في عمل اليوم والليلة، برقم ٨١، وصحح إسناده الألباني في إرواء الغليل، ١/ ١٣٥، و٢/ ٩٢.

(٤) مسلم، كتاب الطهارة باب الذكر المستحب عقب الوضوء، برقم ٢٣٤.

(٥) مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب صلاة الجماعة من سنن الهدى، برقم ٦٥٤.." [٢]

"* قال – صلى الله عليه وسلم –: ((إذا أكل أحدكم طعاما فليقل اللهم بارك لنا فيه وأبدلنا خيرا منه، وإذا شرب لبنا فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه، فإنه ليس شيء يجزئ من الطعام والشراب إلا اللبن)) صحيح الجامع١/ ٣٨١.

* قال – صلى الله عليه وسلم –: ((إذا شربتم اللبن فتمضمضوا منه فإن له دسما)) صحيح الجامع١/ ٦٢٨.

فهذه إحدى عشرة نية قطفناها من بستان السنة لنحصل على الثواب العظيم في الآخرة والفائدة الكبرى في الدنيا وهي تمتعك بصحة جيدة. فيستحب لكل مسلم أن ينويها.

وصايا نبوية قيمة:

---

(١) الاستعداد للموت، علي بن نايف الشحود ص/٢١٤

(٢) الخشوع في الصلاة في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ص/١٨٩

١ – قال – صلى الله عليه وسلم –: ((عليكم بهذه الحبة السوداء فإن فيها شفاء من كل داء)) صحيح الجامع٢/ ٤٠٨٣.
٢ – قال – صلى الله عليه وسلم –: ((عليكم بألبان البقر فإنها دواء وأسمانها فإنها شفاء وإياكم ولحومها فإن لحومها داء)) صحيح الجامع٢/ ٤٠٦٠.
٣ – قال – صلى الله عليه وسلم –: ((العجوى من الجنة وفيها شفاء من السم والكمأة من المن وماؤها شفاء للعين)) صحيح الجامع٢/ ٤١٢٧.
فلنحاول جميعا أن نتبع هذه الوصايا والآداب العظيمة لنرى أثرها العظيم في تنظيم طعامنا ورعاية صحتنا ونقطف ثمار اتباعنا لها في الدنيا والآخرة.
**

النية في العمل
خلق الله سبحانه الخلق ويسر لهم كل أسباب الرزق وجعل لهم مخرجا من كل ضيق وسهل لهم كل طريق ليسعوا لكسب الأرزاق من كل فج عميق وليشكروه على نعمه التي لا تعد ولا تحصى فهو الميسر لهم كل أسباب التوفيق قال تعالى ﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾ الملك٢٣.
فلقد فتح الله تعالى لعباده بركات من السماء والأرض فذلل لهم الأرض وبسطها وأخرج منها ماءها ومرعاها وأنزل من السماء ماءً فأحيا به الأرض بعد موتها وملأ جوفها بكنوز من الذهب والفضة وأنواع كثيرة من معادنها وسخر لهم البحار وجواهرها وأصدافها وخلق لهم الأنعام لينتفعوا بألبانها ولحومها وأصوافها وأشعارها وبِرُكوبها.
فمن هنا كان لابد من أيدي عاملة لعمارة الأرض ولتزرع الأرض وتحرثها لتخرج منها ثمارها ولتصنع من جلود الأنعام اللباس الذي يقي من البرد ويقينا بأسنا، وأن تبحث عن معادن الأرض وكنوزها وتستخرج منها حلية نلبسها وأدوات لخِدمتنا وصناعات تنفعنا في حياتنا.
فلا يستطيع أي مجتمع أن يعيش بغير عمل إذ أنه المصدر الأول لحياتنا وخدمتنا فمن هنا حث الإسلام على العمل وكسب الرجل من عمل يده وعلى نفع الناس كما قال تعالى ((فامشوا في مناكبها)) أي: سافروا حيث شئتم من أقطار الأرض وترددوا في أقاليمها وأرجائها في أنواع المكاسب والتجارات.
والعمل في منظور الإسلام عبادة ولكن لا ينبغي للجاهل أن يفهم هذه العبادة بمفهوم خاطئ فهي عبادة إذا لم يضيع حقوق الله عز وجل وفرائضه قال تعالى في مدح المؤمنين ﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة﴾ النور٣٧.." (١)

"فطرحت عليه (١).

(١) أوقات مليئة بالحسنات مع النية الصالحة، سمية السيد عثمان ص/١٣

٥ – على الحاج أو المعتمر أن ينتخب المال الحلال لحجه وعمرته؛ لأن الله طيب لا يقبل إلا طيباً؛ ولأن المال الحرام يسبب عدم إجابة الدعاء (٢)، وأيّما لحم نبت من سحت فالنار أولى به (٣).

٦ – يُستحبّ له أن يكتب وصيته، وما له وما عليه؛ لحديث ابن عمر رضي الله عنهما، ويشهد عليها، ويقضي ما عليه من الديون، ويردّ الودائع إلى أهلها، أو يستأذنهم في بقائها.

٧ – يُستحبّ له أن يوصي أهله بتقوى الله تعالى.

٨ – يُستحبّ له أن يجتهد في اختيار الرفيق الصالح، ويحرص أن يكون من طلبة العلم الشرعي؛ فإنَّ هذا من أسباب توفيقه وعدم وقوعه في الأخطاء في حجه وعمرته.

٩ – يُستحبّ له أن يُودِّع أهله، وأقاربه، وأهل العلم: من جيرانه، وأصحابه، قال – صلى الله عليه وسلم –: ((من أراد سفراً فليقل لمن يخلِّف: أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه)) (٤)،وكان النبي – صلى الله عليه وسلم – يودّع أصحابه إذا أراد أحدهم سفراً، فيقول: ((أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك)) (٥)، وكان

---

(١) انظر: سورة النور، الآية: ٣١، والبخاري مع الفتح ١١/ ٣٩٥.

(٢) انظر: صحيح مسلم، برقم ١٠١٥والبخاري مع الفتح، ١١/ ٣٩٥.

(٣) أبو نعيم في الحلية بنحوه،١/ ٣١، وأحمد في الزهد بمعناه، ص١٦٤، وفي المسند،٣/ ٣٢١، والدارمي، ٢/ ٢٢٩، وغيرهم، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ٤/ ١٧٢، وانظر: فتح الباري، ٣/ ١١٣.

(٤) أحمد، ٢/ ٤٠٣، ابن ماجه، برقم ٢٨٢٥، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ١٦، ٢٥٤٧، وصحيح سنن ابن ماجه، ٢/ ١٣٣.

(٥) أبو داود، برقم ٢٦٠٠،والترمذي، برقم ٣٤٤٢،وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ٣/ ١٥٥.." [١]

"ثامناً: يستحب للمسافر أن يجتهد في اختيار الرفيق الصالح، ويحرص أن يكون من طلبة العلم الشرعي؛ فإن هذا من أسباب توفيقه وعدم وقوعه في الأخطاء في سفره وفي حجه وعمرته؛ لقول النبي – صلى الله عليه وسلم – ((الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل)) (١)؛ولقوله – صلى الله عليه وسلم – ((لا تصاحب إلا مؤمنًا ولا يأكل طعامك إلا تقي)) (٢)، وقد مثل النبي – صلى الله عليه وسلم – الجليس الصالح بحامل المسك، والجليس السوء بنافخ الكير (٣).

تاسعاً: يستحب للمسافر أن يودع أهله، وأقاربه، وأهل العلم: من جيرانه، وأصحابه، قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: ((من أراد سفرًا فليقل لمن يخلِّف: أستودعكم اللَّه الذي لا تضيع ودائعه)) (٤)، وكان النبي – صلى الله عليه وسلم – يودع أصحابه

إذا أراد أحدهم سفرًا فيقول: ((أستودع اللَّه دينك وأمانتك وخواتيم عملك)) (٥)، وكان – صلى الله عليه وسلم – يقول

---

(١) مرشد المعتمر والحاج والزائر في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ص/١٦

لمن طلب منه أن يوصيه من المسافرين:

---

(١) أبو داود، كتاب الأدب، باب من يؤمر أن يجالس، برقم ٤٨٣٣، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ٣/ ١٨٨.

(٢) أبو داود، كتاب الأدب، باب من يؤمر أن يجالس، برقم ٤٨٣٢، والترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في صحبة المؤمن، برقم ٢٣٩٥، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ٤٨٣٢، وصحيح الترمذي، برقم ٢٥١٩.

(٣) متفق عليه من حديث أبي موسى – رضي الله عنه –: البخاري، كتاب الذبائح والصيد، باب المسك، برقم ٥٥٣٤، ومسلم، كتاب البر والصلة، باب استحباب مجالسة الصالحين، ومجانبة قرناء السوء، برقم ٢٦٢٨.

(٤) أحمد، ٢/ ٤٠٣، ابن ماجه، الجهاد، باب تشييع الغزاة ووداعهم، برقم ٢٨٢٥، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ١٦، ٢٥٤٧، وصحيح سنن ابن ماجه، ٢/ ١٣٣.

(٥) أبو داود، كتاب الجهاد، باب في الدعاء عند الوداع، برقم ٢٦٠٠،والترمذي، كتاب الدعوات، باب ما جاء فيما يقول إذا ودع إنسانًا، برقم ٣٤٤٢،وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ٣/ ١٥٥.." [1]

"يكون من أسباب التوفيق للخشوع في الصلاة (١).

السبب السادس: عدم الالتفات لغير حاجة.

والالتفات نوعان:

النوع الأول: التفات حسي، وعلاجه بالسكون في الصلاة، وعدم الحركة.

النوع الثاني: التفات معنوي بالقلب، وهذا علاجه صعب شاق، إلا على من يسره الله عليه، ولكن من أعظم العلاج استحضار عظمة الله، والوقوف بين يديه، والاستعاذة بالله من الشيطان، والتفل عن اليسار ثلاثا؛ لحديث عثمان بن أبي العاص أنه أتى النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال: يا رسول الله إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها علي، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: ((ذاك شيطان يقال له: خنزب فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه، واتفل عن يسارك ثلاثا)) قال: ففعلت ذلك فأذهبه الله عني.

السبب السابع: عدم رفع البصر إلى السماء.

السبب الثامن: عدم افتراش الذراعين في السجود.

السبب التاسع: عدم التخصر.

السبب العاشر: عدم النظر إلى ما يلهي ويشغل.

---

(١) مناسك الحج والعمرة في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ص/١١٧

السبب الحادي عشر: عدم الصلاة إلى ما يشغل ويلهي.

السبب الثاني عشر: عدم الإقعاء المذموم.

السبب الثالث عشر: عدم عبث المصلي بجوارحه.

السبب الرابع عشر: عدم تشبيك الأصابع، وفرقعتها في الصلاة.

السبب الخامس عشر: عدم الصلاة بحضرة الطعام.

---

(١) انظر هذه الآداب في هذا الكتاب: المبحث الرابع والعشرون: صلاة الجماعة، البند السادس، فقد ذكرت هناك ستة عشر أدبا بأدلتها.." [١]

"وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير﴾ (١)، وقال – صلى الله عليه وسلم –: ((ما حق امرئ مسلم له شيء يريد أن يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده)) (٢). ويشهد عليها، ويقضي ما عليه من الديون، ويرد الودائع إلى أهلها أو يستأذنهم في بقائها.

٧ – يستحب للمسافر أن يوصي أهله بتقوى الله تعالى، وهي وصية الله تعالى للأولين والآخرين: ﴿ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله وإن تكفروا فإن لله ما في السموات وما في الأرض وكان الله غنيا حميدا﴾ (٣).

٨ – يستحب للمسافر أن يجتهد في اختيار الرفيق الصالح، ويحرص أن يكون من طلبة العلم الشرعي؛ فإن هذا من أسباب توفيقه وعدم وقوعه في الأخطاء في سفره وفي حجه وعمرته؛ لقول النبي – صلى الله عليه وسلم – ((الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل)) (٤)؛ولقوله – صلى الله عليه وسلم – ((لا تصاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقي)) (٥)، وقد مثل النبي – صلى الله عليه وسلم – الجليس الصالح بحامل المسك، والجليس السوء بنافخ الكير (٦).

---

(١) سورة لقمان، الآية: ٣٤.

(٢) متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: البخاري، كتاب الوصايا، باب الوصايا، برقم ٢٧٣٨، ومسلم، كتاب الوصية، برقم ١٦٢٧.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٣١.

(٤) أبو داود، كتاب الأدب، باب من يؤمر أن يجالس، برقم ٤٨٣٣، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ٣/ ١٨٨.

(٥) أبو داود، كتاب الأدب، باب من يؤمر أن يجالس، برقم ٤٨٣٢، والترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في صحبة المؤمن، برقم ٢٣٩٥، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ٤٨٣٢، وصحيح الترمذي، برقم ٢٠١٩.

---

(١) صلاة المؤمن، سعيد بن وهف القحطاني ١/٣٤١

(٦) متفق عليه من حديث أبي موسى – رضي الله عنه –: البخاري، كتاب الذبائح والصيد، باب المسك، برقم ٥٥٣٤، ومسلم، كتاب البر والصلة، باب استحباب مجالسة الصالحين، ومجانبة قرناء السوء، برقم ٢٦٢٨.." [1]

"أزواج:

من حاول الأمور احتاج فيها إلى ست: العلم، والتوفيق، والفرصة، والأعوان، والأدب، والاجتهاد.

وهن أزواج:

فالرأي والأدب زوج: لا يكمل الرأي بغير الأدب، ولا يكمل الأدب إلا بالرأي.

والأعوان والفرصة زوج: لا ينفع الأعوان إلا عند الفرصة، ولا تتم الفرصة إلا بحضور الأعوان.

والتوفيق والاجتهاد زوج: فالاجتهاد سبب التوفيق، وبالتوفيق ينجح الاجتهاد.

سلامة العاقل:

يسلم العاقل من عظام الذنوب والعيوب بالقناعة ومحاسبة النفس.

لا تجد العاقل يحدث من يخاف تكذيبه، ولا يسأل من يخاف منعه، ولا يعد بما لا يجد إنجازه، ولا يرجو ما يعنف برجائه، ولا يقدم على من يخاف العجز عنه.

وهو يسخي بنفسه عما يغبط به القوالون١ خروجا من عيب

---

١ يسخي بنفسه: يربأ بها. القوالون: المدعون بما ليس فيهم.." [2]

"وحقيقة الإخلاص سلامته من وصفين؛ وهما: الرياء والهوى، ليكون خالصا كماوصف الله تعالى الخالص من اللبن، فكان بذلك تمام النعمة علينا، فقال: (من بين فرث ودم لبنا خالصا) النحل: ٦٦، فلو وجد فيه أحد الوصفين من فرث أو دم لم يكن خالصا، ولم تتم النعمة به علينا ولم تقبله نفوسنا، فكذلك معاملتنا لله عز وجل إذا شابها رياء بخلق أو هوى من شهوة نفس، ولم تكن خالصة لم يتم بها الصدق والأدب في المعاملة ولم يقبلها الله تعالى منا فاعتبروا.

وروينا عن سعيد بن أبي بردة عن كتاب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه إلى أبي موسى الأشعري: أنه من خلصت نيته كفاه الله تعالى ما بينه وبين الناس، ومن تزين للناس بما يعلم الله تعالى منه غير ذلك شانه الله تعالى، فما ظنك؟ وكتب سالم بن عبد الله إلى عمر بن عبد العزير: اعلم يا عمر أن الله تعالى عون للعبد بقدر النية، فمن تمت نيته تم عون الله تعالى إياه، ومن قصرت عنه نيته قصر عنه من عون الله تعالى بقدر ذلك، وقد قال الله تعالى في تصديق ذلك: (إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما) النساء: ٣٥، فجعل سبب التوفيق إرادة الإصلاح؛ فذلك هو أول التوفيق من الموفق المصلح للعامل الصالح، وقال بعض السلف: رأيت الخير إنما يجمعه حسن النية وكفاك به خيرا وإن لم ينصب رب عمل صغير تعظمه النية ورب عمل كبر تصغره النية، وكتب بعض الأدباء إلى أخيه: أخلص النية في أعمالك يكفك القليل من العمل، وقال داود

---

(١) صلاة المؤمن، سعيد بن وهف القحطاني ٧٢٧/٢

(٢) الأدب الصغير والأدب الكبير ابن المقفع ص/٤٧

الطائي: من أكبر همه التقوى لو تعلقت جميع جوارحه بالدنيا لردته نيته يوما إلى نية صالحة، فكذلك الجاهل بالله تعالى وأيامه همه الدنيا والهوى، ولو تعلقت جوارحه بكل أعمال الصالحات لكان مرجوعا إلى إرادة الدنيا وموافقة الهوى، لأن سرها كان همه النفس لعاجل عرض الدنيا، وقال محمد بن الحسين: ينبغي للرجل أن تكون نيته بين يدي عمله، وقال أيوب السجستاني وغيره: تخلص النيات على العمال أشد عليهم من جميع الأعمال، وقال الثوري: كانوا يتعلمون النية للعمل كما يتعلمون العلم، وقال بعض العلماء: طلب النية للعمل قبل العمل وما دمت تنوي الخير فأنت بخير، وقال زيد بن أسلم: خصلتان هما كمال أمرك تصبح ولا تهيم لله تعالى بمعصية وتمسي ولا تهيم لله تعالى بمعصية، وكذلك قال بعض السلف في معناه: إن نعمة الله تعالى أكثر من أن تحصوها وإن ذنوبكم أخفى من أن تعلموها ولكن أصبحوا توابين وأمسوا توابين يغفر لكم ما بين ذلك.

وروينا في الخبر عن بعض المريدين: أنه كان يطوف على العلماء يقول: من يدلني على عمل لا أزال فيه عاملا لله تعالى فإني أحب أن لاتجيء علي ساعة من ليل أو نهار إلا وأنا عامل من عمال الله تعالى، فقيل له: قد وجدت صاحبك اعمل الخير ما استطعت، فإذا أقترت أو تركته فهم بعمله، فإن الهام بعمل الخير كعامله.

وروينا عن عيسى عليه الصلاة والسلام: طوبى لعين نامت ولا تهم بمعصية وانتهت إلى غير إثم.." (١)

"قوله جل ذكره:

[سورة القصص (٢٨) : آية ١٦]

قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم (١٦)

تاب موسى عما جرى على يده، واستغفر ربه، وأخبر الله أنه غفر له، ولا عتاب «١» بعد المغفرة.

قوله جل ذكره:

[سورة القصص (٢٨) : آية ١٧]

قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرا للمجرمين (١٧)

قال موسى رب بما أنعمت علي من توفيقك لى بالتوبة «٢» فلن أعود بعد ذلك إلى مثل ما سلف منى.

قوله جل ذكره:

[سورة القصص (٢٨) : الآيات ١٨ الى ١٩]

فأصبح في المدينة خائفا يترقب فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه قال له موسى إنك لغوي مبين (١٨) فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس إن تريد إلا أن تكون جبارا في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين (١٩)

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ٢٦٨/٢

أصبح في المدينة خائفا على نفسه من فرعون لأنه كان يدعى أنه يحكم بالعدل، وخاف موسى أن ينسبه في قتل القبطي إلى العمد والقصد. فهو «يترقب» علم فرعون وأن يخبر بذلك في وقته.

(١) هكذا في النسختين ولا نستبعد أن تكون (عقاب) بالقاف فالسياق يحتملها أيضا وإن كانت (عتاب) أليق بمقام النبوة.

(٢) حقيقة التوبة أن يتوب الله عليك أولا، ويهيىء لك أسباب التوفيق لذلك، فإذا شكرت فاشكر له، فعملك لا يكفى ولا يغني عن فضل الله.." [(١)]

"الأنباط أنباطا لعلمهم باستخراج المياه (١)، والقليل مستثنى من المذيعين، وقيل: من معلوم المستنبطين. ﴿فضل الله عليكم ورحمته﴾ الكتاب والرسول، أو بعض أسباب التوفيق مما استغنى عنه الخاصة (٢) دون العامة كانشقاق القمر والفتح فعل هذا القليل مستثنى من المتبعين للشيطان فإن عمرو (٣) بن زيد وزريبا وقسا (٤) آمنوا من غير كتاب ورسول، وأبو بكر وعلي وزيد بن حارثة آمنوا قبل انشقاق القمر، والمهاجرون والأنصار آمنوا قبل الفتح.
﴿فقاتل﴾ الفاء جواب الشرط وهو قوله: ﴿ومن تولى﴾ [النساء: ٨٠] ويحتمل التعقيب، هذا الأمر، الأمر بالتوكل (٥) تقديره: وتوكل على الله فقاتل، أو التعقيب الكلام الكلام والآية الآية ﴿لا تكلف إلا نفسك﴾ يعني التكليف عنه، تقديره: أنك لا تكلف إلا فعل نفسك، حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، أي: لا تأخذ بتكليف غيرك وإن كانوا مكلفين مثلك، وقيل: لا تكلف نفس إلا نفسك، وهذا بعيد لأنه لو كان كذلك لضم نفسك، ثم حملناه على التكليف الضروري دون الشرعي ﴿وحرض المؤمنين﴾ حثهم على القتال ﴿عسى﴾ من الله إيجاب منه لأن التكريم يصدق في التطميع ولأنه تقوية لأحد الموهومين المختلفين على الآخر بالقول، فصار كالأمر باعتقاد أحدهما وذلك لا يكون إلا بالواجب، ﴿بأس﴾ شدة الإصابة والامتناع ﴿تنكيلا﴾ فعل النكال (٦).

= قريب ثراه ما ينال عدوه ... له نبطا، آبي الهوان قطوب

[اللسان "نبط"- الأصمعيات (ص ١٠٣)، البحر (٣/ ٤٠٣)].

(١) قريبا من هذا المعنى عند القرطبي (٥/ ٢٩١)، وابن الجوزي كما في "زاد المسير" (٢/ ١٤٧).

(٢) في الأصل: (للخاصة).

(٣) في "ب": (عمر).

(٤) في الأصل: (وفتيا).

(٥) في "ب": (الأمر بالتوكيل).

(٦) أي أنه مصدر من قولك: نكلت بفلان، فأنا أنكل به تنكيلا إذا أوجعته عقوبة. والمعنى: والله أشد نكاية في عدوه

(١) لطائف الإشارات = تفسير القشيري القشيري، عبد الكريم ٥٨/٣

من أهل الكفر به، منهم فيك يا محمد وفي أصحابك.

[الطبري (٧/ ٢٦٧)].." [(١)]

"وقوله (١): (أمر): أي: نبأ وخبر، (من الأمن): من الأعداء، ﴿أو الخوف:﴾ منهم.

﴿أذاعوا به﴾ (٢): «أفشوه».

(أولو الأمر): أمراء السرايا (٣)، وقيل (٤): أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، وقيل (٥): أولو العلم والبصارة.

﴿يستنبطونه:﴾ يستخرجونه، وإنباط الماء: استخراجه، وسمي الأنباط أنباطا (٦) لعلمهم باستخراج المياه.

و (القليل): مستثنى من المذيعين، وقيل: من معلوم المستنبطين، وقيل: من المستنبطين (٧).

(فضل الله ورحمته): الكتاب والرسول، أو بعض أسباب التوفيق مما استغنى عنه الخاصة دون العامة كانشقاق القمر والفتح، فعلى (٨) هذا (القليل) مستثنى من المتبعين للشيطان، فإن عمرو (٩) بن زيد وزريبا وقسا آمنوا من غير كتاب ورسول، وأبو بكر وعلي وزيد بن حارثة آمنوا قبل انشقاق القمر، والمهاجرون والأنصار آمنوا قبل الفتح.

٨٤ - ﴿فقتل:﴾ الفاء جواب الشرط وهو قوله: ﴿ومن تولى﴾ [النساء:٨٠]، ويحتمل لتعقيب هذا الأمر (١٠) بالتوكل تقديره: وتوكل على الله فقاتل، أو لتعقيب الكلام الكلام والآية الآية (١١).

﴿لا تكلف إلا نفسك:﴾ يعني التكليف عنه، تقديره: إنك لا تكلف إلا فعل نفسك (١٢)، حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، أي: لا تؤخذ (١٣) بتخلف غيرك وإن كانوا مكلفين مثلك. وقيل: لا تكلف نفس إلا نفسك (١٤)، وهذا بعيد؛ لأنه لو كان كذلك لضم

---

(١) في ع وب: فقوله.

(٢) النسخ الأربع: أذاعوه، والتصويب من المصحف. وينظر: معاني القرآن للفراء ١/ ٢٧٩، وغريب القرآن وتفسيره ١٢٢، وتفسير الطبري ٥/ ٢٤٦.

(٣) ينظر: معاني القرآن للفراء ١/ ٢٧٩، والتفسير الكبير ١٠/ ١٩٩، وتفسير القرطبي ٥/ ٢٩١.

(٤) ينظر: تفسير القرآن الكريم ٢/ ٣٧٣، وتفسير البغوي ١/ ٤٥٦، وزاد المسير ٢/ ١٦١.

(٥) ينظر: تفسير غريب القرآن ١٣٢، وتفسير البغوي ١/ ٤٥٦، والتفسير الكبير ١٠/ ١٩٩.

(٦) في الأصل وك وب: أنباط. وينظر: معاني القرآن وإعرابه ٢/ ٨٣، والبحر المحيط ٣/ ٣١٥.

(٧) (وقيل من المستنبطين) ساقطة من ع. وينظر: معاني القرآن للفراء ١/ ٢٧٩ - ٢٨٠، ومعاني القرآن وإعرابه ٢/ ٨٤.

(٨) النسخ الثلاث: فعل.

(٩) في ك: عمر. وينظر: تفسير البغوي ١/ ٤٥٦، ومجمع البيان ٣/ ١٤٣ - ١٤٤، والتفسير الكبير ١٠/ ٢٠٢ -

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الحكمة الجرجاني، عبد القاهر ٢/٦١٧

.٢٠٣

(١٠) ساقطة من ك، وبعدها في ك وب: بالتوكيل، بدل (بالتوكل).

(١١) ينظر في توجيه الفاء: المجيد ٤٠٧ – ٤٠٨ (تحقيق: د. عطية أحمد)، والبحر المحيط ٣/ ٣٢١، والدر المصون ٤/ ٥٤.

(١٢) ينظر: التبيان في تفسير القرآن ٣/ ٢٧٥، ومجمع البيان ٣/ ١٤٤.

(١٣) في ك: تؤاخذ.

(١٤) ينظر: الدر المصون ٤/ ٥٤.." (١)

"إلا الله رب العالمين وخالق السموات والأرضين ومكلف الجن والإنس والملائكة المقربين أن يعبدوه عبادة المخلصين فقال تعالى ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾ فما لله إلا الدين الخالص المتين فإنه أغنى الأغنياء عن شركة المشاركين والصلاة على نبيه محمد سيد المرسلين وعلى جميع النبيين وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين

أما بعد فقد انكشف لأرباب القلوب ببصيرة الإيمان وأنوار القرآن أن لا وصول إلى السعادة إلا بالعلم والعبادة فالناس كلهم هلكى إلا العالمون والعالمون كلهم هلكى إلا العاملون والعاملون كلهم هلكى إلا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم فالعمل بغير نية عناء والنية بغير إخلاص رياء وهو للنفاق كفاء ومع العصيان سواء والإخلاص من غير صدق وتحقيق هباء وقد قال الله تعالى في كل عمل كان بإرادة غير الله مشوبا مغمورا ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا﴾ وليت شعري كيف يصحح نيته من لا يعرف حقيقة النية أو كيف يخلص من صحح النية إذا لم يعرف حقيقة الإخلاص أو كيف تطالب المخلص نفسه بالصدق إذا لم يتحقق معناه فالوظيفة الأولى على كل عبد أراد طاعة الله تعالى أن يتعلم النية أولا لتحصل المعرفة ثم يصححها بالعمل بعد فهم حقيقة الصدق والإخلاص اللذين هما وسيلتنا العبد إلى النجاة والخلاص

ونحن نذكر معاني الصدق والإخلاص في ثلاثة أبواب

الباب الأول في حقيقة النية ومعناها

الباب الثاني في الإخلاص وحقائقه

والباب الثالث في الصدق وحقيقته الباب الأول في حقيقة النية ومعناها

وفيه

بيان فضيلة النية

وبيان حقيقة النية وبيان كون النية خيرا من العمل وبيان تفضيل الأعمال المتعلقة بالنفس وبيان خروج النية عن الاختيار

بيان فضيلة النية

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ٥١١/١

قال الله تعالى ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾ والمراد بتلك الإرادة هي النية

وقال صلى الله عليه وسلم إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه (١) وقال صلى الله عليه وسلم أكثر شهداء أمتي أصحاب الفرش ورب قتيل بين الصفين الله أعلم بنيته (٢) وقال تعالى ﴿إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما﴾ فجعل النية سبب التوفيق

وقال صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم وأموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم (٣) وإنما نظر إلى القلوب لأنها مظنة النية وقال صلى الله عليه وسلم إن العبد ليعمل أعمالا حسنة فتصعد الملائكة في صحف مختمة فتلقى بين يدي الله تعالى فيقول ألقوا هذه الصحيفة

---

(١) حديث إنما الأعمال بالنيات الحديث متفق عليه من حديث عمر وقد تقدم

(٢) حديث أكثر شهداء أمتي أصحاب الفرش ورب قتيل بين الصفين الله أعلم بنيته أخرجه أحمد من حديث ابن مسعود وفيه عبد الله بن لهيعة

(٣) حديث إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم الحديث أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة وقد تقدم." [1]

"٤٩١٩ - وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((خلق الله الخلق، فلما

وأجاب العلماء بوجوه: أحدها: أن هذه الزيادة بالبركة في العمر بسبب التوفيق في الطاعات وعمارة أوقاته بما ينفعه في الآخرة، وصيانتها عن الضياع في غير ذلك.

وثانيها: أنه بالنسبة إلى ما يظهر للملائكة في اللوح المحفوظ ونحو ذلك، فيظهر لهم في اللوح المحفوظ أن عمره ستون سنة إلا أن يصل رحمه، فإن وصلها زيد له أربعون. وقد علم الله سبحانه وتعالى بما سيقع له من ذلك، وهو من معنى قوله تعالى: ﴿ويمحو الله ما يشاء ويثبت﴾. فبالنسبة إلى ما في علم الله تعالى وما سبق به قدره لا زيادة، بل هي مستحيلة وبالنسبة إلى ما ظهر للمخلوقين يتصور الزيادة، وهو مراد الحديث.

وثالثها: أن المراد بقاء ذكره الجميل بعده، فكأنه لم يمت، وهو ضعيف.

أقول: كأن هذا الوجه أظهر؛ فإن أثر الشيء هو حصول ما يدل على وجوده، فمعنى ((يؤخر في أثره)) أي يؤخر ذكره الجميل بعد موته، أو يجري له ثواب عمله الصالح بعد موته. قال الله تعالى: ﴿ونكتب ما قدموا وآثارهم﴾ وعليه كلام صاحب الفائق حيث قال: ويجوز أن يكون المعنى، أن الله يبقى أثر واصل الرحم في الدنيا طويلا، فلا يضمحل سريعا كما يضمحل أثر قاطع الرحم. ولم أنشد أبو تمام أبا دلف ما رثى به محمد بن حميد:

توفيت الآمال بعد محمد وأصبح في شغل مع السقر

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٤/٣٦٢

الأبيات المذكورة في التبيان. بكى وقال: وددت أنها في. فقال أبو تمام:

((بل يطيل الله عمر الأمير)).

فقال: لم يمت من قيل فيه هذا، وعليه قول الخليل عليه السلام: ﴿واجعل لي لسان صدق في الآخرين﴾.

الحديث التاسع عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: ((فلما فرغ)). تو)) ((تو)): أي قضاه الله وأتمه، أو نحو ذلك مما يشهد بأنه مجاز القول؛ فإنه سبحانه وتعالى لا يشغله شأن عن شأن، أو يطلق عليه الفراغ الذي هو ضد الشغل. ويقال: مه فلان أي: ما تقول، على الزجر والاستفهام. وههنا إن كان على الزجر فبين، وإن كان على الاستفهام فالمراد منه الأمر بإظهار الحاجة دون الاستعلام؛ فإن الله تعالى يعلم السر وأخفي. وقيل: هو في الحقيقة ضرب مثلا واستعارة؛ إذا الرحم معنى، وهو اتصال القرب بين أهل النسب.." (١)

"أما بعد: فإن الله سبحانه لم يخلق خلقه سدى مهملا، بل جعلهم موردا للتكليف، ومحلا للأمر والنهى، وألزمهم (فهم) ما أرشدهم إليه مجملا ومفصلا وقسمهم إلى شقى وسعيد، وجعل لكل واحد من الفريقين منزلا، وأعطاهم مواد العلم والعمل: من القلب، والسمع، والبصر، والجوارح، نعمة منه وتفضلا، فمن استعمل ذلك فى طاعته، وسلك به طريق معرفته على ما أرشد إله ولم يبغ عنه عدولا، فقد قام بشكر ما أوتيه من ذلك، وسلك به إلى مرضاة الله سبيلا. ومن استعمله فى إرادته وشهوته ولم يرع حق خالقه فيه يخسر إذا سئل عن ذلك، ويحزن حزنا طويلا. فإنه لا بد من الحساب على حق هذه الأعضاء لقوله تعالى: ﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا﴾ [الإسراء: ٣٦] .

ولما كان القلب لهذه الأعضاء كالملك المتصرف فى الجنود، الذى تصدر كلها عن أمره، ويستعملها فيما شاء، فكلها تحت عبوديته وقهره، وتكتسب منه الاستقامة والزيغ، وتتبعه فيما يعقده من العزم أو يحله، قال النبى صلى الله عليه وسلم: "ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله". فهو ملكها، وهى المنفذة لما يأمرها به، القابلة لما كان يأتيها من هديته، ولا يستقيم لها شئ من أعمالها حتى تصدر عن قصده ونيته. وهو المسؤول عنها كلها "لأن كل راع مسؤول عن رعيته" كان الاهتمام بتصحيحه وتسديده أولى ما اعتمد عليه السالكون. والنظر فى أمراضه وعلاجها أهم ما تنسك به الناسكون.

ولما علم عدو الله إبليس أن المدار على القلب والاعتماد عليه، أجلب عليه بالوساوس، وأقبل بوجوه الشهوات إله، وزين له من الأقوال والأعمال ما يصده عن الطريق، وأمده من أسباب الغى بما يقطعه عن أسباب التوفيق، ونصب له من المصايد والحبائل ما إن سلم من الوقوع فيها لم يسلم من أن يحصل له بها التعويق، فلا نجاة من مصائده ومكائده إلا بدوام الاستعانة بالله تعالى، والتعريض لأسباب مرضاته، والتجاء القلب إليه، وإقباله عليه فى حركاته وسكناته، والتحقق بذل العبودية الذى هو أولى ما تلبس به الإنسان ليحصل له الدخول فى ضمان ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ [الحجر: ٤٢] فهذه الإضافة هى القاطعة بين العبد وبين الشياطين، وحصولها يسبب تحقيق مقام العبودية لرب العالمين، وإشعار القلب." (٢)

---

(١) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن الطيبي ٣١٦٠/١٠

(٢) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ابن القيم ٥/١

"ومما ينبغي أن يعلم أن أسباب الخذلان من بقاء النفس على ما خلقت عليه في الأصل وإهمالها وتخليتها فأسباب الخذلان منها وفيها وأسباب التوفيق من جعل الله سبحانه لها قابلة للنعمة فأسباب التوفيق منه ومن فضله وهو الخالق لهذه وهذه كما خلق أجزاء الأرض هذه قابلة للنبات وهذه غير قابلة له وخلق الشجر هذه تقبل الثمرة وهذه لا تقبلها وخلق النحلة قابلة لأن يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه والزنبور غير قابل لذلك وخلق الأرواح الطيبة قابلة لذكره وشكره وحجته وإجلاله وتعظيمه وتوحيده ونصيحة عباده وخلق الأرواح الخبيثة غير قابلة لذلك بل لضده وهو الحكيم العليم قال شيخ الإسلام بحر العلوم مفتي الفرق أبو العباس احمد بن تيمية رحمه الله

فصل قال الله تعالى

الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ساء ما يحكمون من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت وهو السميع العليم ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغني عن العالمين والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون ووصينا الأنسان بوالديه حسنا وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعلمون والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم أو ليس الله بأعلم بما في صدور العالمين وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين وقال الله تعالى أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل." (١)

"عبد الله بن أحمد في زوائد المسند والبزار وصححه الحاكم من حديث علي نحو حديثي الباب قال ويدفع عنه ميتة السوء ولأبي يعلى من حديث أنس رفعه إن الصدقة وصلة الرحم يزيد الله بهما في العمر ويدفع بهما ميتة السوء فجمع الأمرين لكن سنده ضعيف وأخرج المؤلف في الأدب المفرد من حديث بن عمر بلفظ من اتقى ربه ووصل رحمه نسئ له في عمره وثري ماله وأحبه أهله قوله وينسأ بضم أوله وسكون النون بعدها مهملة ثم همزة أي يؤخر قوله في أثره أي في أجله وسمي الأجل أثرا لأنه يتبع العمر قال زهير والمرء ما عاش ممدود له أمل لا ينقضي العمر حتى ينتهي الأثر وأصله من أثر مشيه في الأرض فإن من مات لا يبقى له حركة فلا يبقى لقدمه في الأرض أثر قال بن التين ظاهر الحديث يعارض قوله تعالى فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون والجمع بينهما من وجهين أحدهما أن هذه الزيادة كناية عن البركة في العمر بسبب التوفيق إلى الطاعة وعمارة وقته بما ينفعه في الآخرة وصيانته عن تضييعه في غير ذلك ومثل هذا ما جاء أن النبي صلى الله عليه وسلم تقاصر أعمار أمته بالنسبة لأعمار من مضى من الأمم فأعطاه الله ليلة القدر وحاصله أن صلة الرحم تكون سببا للتوفيق للطاعة والصيانة عن المعصية فيبقى بعده الذكر الجميل فكأنه لم يمت ومن جملة ما يحصل له من التوفيق العلم الذي ينتفع به من بعده والصدقة الجارية عليه والخلف الصالح وسيأتي مزيد لذلك في كتاب القدر إن شاء الله

---

(١) الفوائد لابن القيم ابن القيم ص/٢٠٧

تعالى ثانيهما أن الزيادة على حقيقتها وذلك بالنسبة إلى علم الملك الموكل بالعمر وأما الأول الذي دلت عليه الآية فبالنسبة إلى علم الله تعالى كأن يقال للملك مثلا إن عمر فلان مائة مثلا إن وصل رحمه وستون إن قطعها وقد سبق في علم الله أنه يصل أو يقطع فالذي في علم الله لا يتقدم ولا يتأخر والذي في علم الملك هو الذي يمكن فيه الزيادة والنقص وإليه الإشارة بقوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب فالمحو والإثبات بالنسبة لما في علم الملك وما في أم الكتاب هو الذي في علم الله تعالى فلا محو فيه ألبتة ويقال له القضاء المبرم ويقال للأول القضاء المعلق والوجه الأول أليق بلفظ حديث الباب فإن الأثر ما يتبع الشيء فإذا أخر حسن أن يحمل على الذكر الحسن بعد فقد المذكور وقال الطيبي الوجه الأول أظهر وإليه يشير كلام صاحب الفائق قال ويجوز أن يكون المعنى أن الله يبقي أثر واصل الرحم في الدنيا طويلا فلا يضمحل سريعا كما يضمحل أثر قاطع الرحم ولما أنشد أبو تمام قوله في بعض المراثي توفيت الآمال بعد محمد وأصبح في شغل عن السفر السفر قال له أبو دلف لم يمت من قيل فيه هذا الشعر ومن هذه المادة قول الخليل عليه السلام واجعل لي لسان صدق في الآخرين وقد ورد في تفسيره وجه ثالث فأخرج الطبراني في الصغير بسند ضعيف عن أبي الدرداء قال ذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم من وصل رحمه أنسيء له في أجله فقال إنه ليس زيادة في عمره قال الله تعالى فإذا جاء أجلهم الآية ولكن الرجل تكون له الذرية الصالحة يدعون له من بعده وله في الكبير من حديث أبي مشجعة الجهني رفعه إن الله لا يؤخر نفسا إذا جاء أجلها وإنما زيادة العمر ذرية صالحة الحديث وجزم بن فورك بأن المراد بزيادة العمر نفي الآفات عن صاحب البر في فهمه وعقله وقال غيره في أعم من ذلك وفي وجود البركة في رزقه وعلمه ونحو ذلك." (١)

"روايته لهذا الحديث في أول الزكاة: أخشى أن يكون محمد غير محفوظ، إنما هو عمرو.

والحديث مر في أول الزكاة، ومضى الكلام فيه.

قوله: (ماله؟) استفهام وكرر للتأكيد. قوله: (أرب) بفتحتين الحاجة وتقديره: له أرب، فيكون ارتفاعه على الابتداء وخبره قوله: له مقدما، وروي بكسر الراء وفتح الباء الموحدة من أرب في الشيء إذا صار ماهرا فيه فيكون معناه التعجب من حسن فطنته والتهدي إلى موضع حاجته. قوله: (ذرها) أي: أترك الراحلة ودعها كان الرجل كان على الراحلة حين سأل المسألة، وفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، استعجاله، فلما حصل مقصود من الجواب قال له: دع الراحلة تمشي إلى منزلك إذ لم يبق لك حاجة فيما قصدته، أو كان صلى الله عليه وسلم راكبا وهو كان آخذا بزمام راحلته، فقال بعد الجواب: دع زمام الراحلة.

١١ - (باب إثم القاطع)

أي: هذا باب في بيان إثم قاطع الرحم.

١٣ - (حدثني يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب أن محمد بن جبير بن مطعم قال إن جبير بن مطعم

(١) فتح الباري لابن حجر ابن حجر العسقلاني ٤١٦/١٠

أخبره أنه سمع النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول لا يدخل الجنة قاطع) مطابقته للترجمة ظاهرة ومحمد بن جبير يروي عن أبيه جبير بن مطعم والحديث أخرجه مسلم في الأدب عن ابن أبي عمر وغيره وأخرجه أبو داود في الزكاة عن مسدد وأخرجه الترمذي في البر عن ابن أبي عمر وغيره قوله قاطع أي قاطع الرحم قال الكرماني المؤمن بالمعصية لا يكفر فلا بد من أن يدخل الجنة ثم قال حذف مفعول قاطع يدل على عمومه ومن قطع جميع ما أمر الله به أن يوصل كان كافرا أو المراد المستحل أو لا يدخلها مع السابقين -

١٢ - (باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم)

أي: هذا باب في بيان من بسط على صيغة المجهول له في الرزق بسبب صلة الرحم.

١٤ - (حدثني إبراهيم بن المنذر حدثنا محمد بن معن قال حدثني أبي عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول من سره أن يبسط له في رزقه وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه) مطابقته للترجمة ظاهرة ومحمد بن معن بفتح الميم وسكون العين المهملة وبالنون ابن محمد بن معين بن نضلة بفتح النون وسكون الضاد المعجمة ابن عمرو المدني الغفاري ونضلة له صحبة كان يسكن في ناحية العرج ومحمد بن معن يروي عن أبيه معن بن محمد وهو ثقة وليس له في البخاري سوى هذا الحديث وكذا أبوه ليس له إلا موضع آخر أو موضعان وسعيد بن أبي سعيد هو المقبري واسم أبي سعيد كيسان والحديث من أفراده قوله وأن ينسأ له من النسأ بفتح النون وسكون السين المهملة وبالهمزة في آخره وهو التأخير أي يؤخر له في أثره أي في أجله وأثر الشيء هو ما يدل على وجوده ويتبعه والمراد به ههنا الأجل وسمي به لأنه يتبع العمر فإن قلت الآجال مقدرة وكذا الأرزاق لا تزيد ولا تنقص ﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ قلت أجيب عن هذا بوجهين (أحدهما) أن هذه الزيادة بالبركة في العمر بسبب التوفيق في الطاعات وصيانته عن الضياع وحاصله أنها بحسب الكيف لا الكم (والثاني) أن الزيادة على حقيقتها وذلك بالنسبة إلى علم الملك الموكل بالعمر وإلى ما يظهر له في اللوح المحفوظ بالمحو والإثبات فيه ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت﴾ كما أن عمر فلان ستون سنة إلا أن يصل رحمه فإنه يزاد عليه عشرة وهو سبعون وقد علم الله عز وجل بما سيقع له من ذلك فبالنسبة إلى الله تعالى لا زيادة ولا نقصان ويقال له القضاء المبرم وإنما يتصور الزيادة بالنسبة إليهم ويسمى مثله بالقضاء المعلق ويقال المراد بقاء ذكره الجميل بعده فكأنه لم يمت وهو إما بالعلم الذي ينتفع به أو الصدقة الجارية أو الخلف الصالح." [(١)]

"٤٩١٨ - وعن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: " «من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره؟ فليصل رحمه» ". متفق عليه.

٤٩١٨ - (وعن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: «من أحب أن يبسط») بصيغة

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري بدر الدين العيني ٩١/٢٢

المجهول أي: يوسع (له في رزقه) أي: في دنياه أو آخرته (وينسأ) : بضم فسكون ففتح فنصب فهمزة أي: يؤخر (له في أثره) : بفتحتين أي: أجله (فليصل رحمه) : في النهاية: النسأ التأخير يقال: نسأت الشيء أنسأ وأنسأته إنساء: إذا أخرته، والنساء الاسم، ويكون في العمر والدين والأثر والأجل، ويسمى به لأنه يتبع العمر. قال زهير:

يسعى الفتى لأمور ليس يدركها ... والنفس واحدة والهم منتشر

والمرء ما عاش ممدود له أمل ... لا ينتهي العمر حتى ينتهي الأثر

وأصله من أثر مشيه في الأرض، فإن من مات لا يبقى له أثر، فلا يرى لأقدامه في الأرض أثر. قال النووي: في تأخير الأجل سؤال مشهور، وهو أن الآجال والأرزاق مقدرة ولا تزيد ولا تنقص ﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ [الأعراف: ٣٤] ، وأجاب العلماء بوجوه، أحدها: أن الزيادة بالبركة في العمر بسبب التوفيق في الطاعات وعمارة أوقاته بما ينفعه في الآخرة، وصيانتها عن الضياع وغير ذلك. وثانيها: أنه بالنسبة إلى ما يظهر للملائكة في اللوح المحفوظ، ونحو ذلك فيظهر لهم في اللوح أن عمره ستون سنة إلا أن يصل رحمه، فإن وصلها زيد له أربعون، وقد علم الله تعالى ما سيقع له من ذلك، وهو من معنى قوله تعالى: ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت﴾ [الرعد: ٣٩] ، فبالنسبة إلى علم الله تعالى وما سبق قدره لا زيادة، بل هي مستحيلة، وبالنسبة إلى ما ظهر للمخلوقين يتصور الزيادة وهو مراد الحديث، وثالثها: أن المراد بقاء ذكره الجميل بعده، فكأنه لم يمت وهو ضعيف. اهـ.

وإنما قال في القول الأوسط: إنه مراد الحديث ؛ لأن الأول أيضا يرجع إليه، فإن بركة العمر وتوفيق العمل من جملة المقدرات التي لا تزيد ولا تنقص في الحقيقة، وكذا الأخير، وإنما ضعفه لأنه من جملة الصيت المشتمل على الرياء والسمعة غالبا، فلا يصح أن يكون مراد الحديث، وإن كان له وجه في الجملة على أنه ورد في غير حديث أن صلة الرحم تزيد في العمر، فإرادة غير الأجل المتعارف خلاف الحقيقة، والعدول منها إلى المجاز غير جائز بلا ضرورة. وقد غفل الطيبي عن هذا المعنى، فتعقب النووي على غير المبنى، فقال: وكان هذا الوجه أظهر، فإن أثر الشيء حصول ما يدل على وجوده، فمعنى يؤخر في أثره أي: يؤخر ذكره الجميل بعد موته، أو يجرى له ثواب عمله الصالح بعد موته. قال تعالى: ﴿ونكتب ما قدموا وآثارهم﴾ [يس: ١٢] ، قلت: وفيه أن المعنى الثاني عام غير مخصوص بواصل الرحم. بقي الأول قال: وعليه كلام صاحب الفائق ؛ حيث قال: يجوز أن يكون المعنى أن الله يبقي أثر واصل الرحم في الدنيا طويلا، فلا يضمحل سريعا كما يضمحل أثر قاطع الرحم. قلت: كيف يجوز ما عبر عنه الفائق بيجوز أن يكون هو الأظهر في مراد الحديث والله أعلم. (متفق عليه) : ورواه أبو داود والنسائي عن أنس، وأحمد والبخاري أيضا عن أبي هريرة.." (١)

"٨٣١٩ - (وعن أنس) بن مالك (رضي الله عنه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: من أحب) وفي رواية: «من يسره» (أن يبسط) بالبناء للمفعول: أي يوسع. في «المصباح» : بسط الله الرزق: كثره ووسعه، وقال المصنف: بسطه توسيعه وكثرته، وقيل بالبركة فيه ونائب الفاعل أحد الطرفين في قوله: (له في رزقه) أي مرزوقه مصدر بمعنى المفعول، وهو ما به النفع للحيوان، والثاني أنسب، والظرف الآخر في محل الحال، وهذا الإعراب بعينه جار في قرينه من الجملة الثانية:

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح الملا على القاري ٣٠٨٤/٧

أعني قوله: (وينسأ) بهمزة آخره أي يؤخر (له في أثره) بفتح الهمزة والمثلثة: أي أجله، وسمي الأجل أثرا لأنه يتبع العمر قال زهير:

والمرء ما عاش ممدود له أمل

لا ينتهي العمر حتى ينتهي الأثر

وأصله من أثر مشيه في الأرض فإن من مات لا يبقى له حركة فلا يبقى لقدمه في الأرض أثر (فليصل رحمه) قال ابن التين: ظاهر الحديث يعارض قوله تعالى: ﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ (الأعراف: ٣٤) والجمع بينهما إما بحمل الزيادة على أنها كناية عن البركة في العمر بسبب التوفيق إلى طاعة الله وعمارة وقته بما ينفعه، ويقربه من مولاه تعالى ويقويه ما جاء من: أنه تقاصر أعمار أمته بالنسبة لأعمار من مضى من الأمم فأعطى ليلة القدر. وحاصله أن صلة الرحم سبب للتوفيق لمرضاة المولى وحفظ الأوقات عن الضياع في غير رضا فيبقى بعده الذكر الجميل، فكأنه لم يمت، أو يحمل الزيادة في الحديث على حقيقتها، وذلك بالنسبة للأجل المعلق المكتوب في اللوح المدفوع للملك، مثلا كتب فيه: إن أطاع فلان فعمره كذا وإلا فعمره كذا، وا سبحانه وتعالى عالم بالواقع منهما والأجل المحتوم في الآية على ما في علم الله سبحانه الذي لا تغير فيه، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾ (الرعد: ٣٩) فالحديث فيه ما أشارت إليه أول الآية من الأجل المعلق، وقوله: ﴿عنده أم الكتاب﴾ أشار به إلى العلم الإلهي الذي لا تغير فيه البتة ويعبر عنه بالقضاء المبرم وعن الأول بالقضاء المعلق، والوجه الأول أليق بلفظ المذكور.

وقال الطيبي: الأول أظهر وإليه يشير كلام صاحب." (١)

"(١٣٦٧) - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «من أحب أن يبسط له في رزقه، وأن ينسأ له في أثره، فليصل رحمه» أخرجه البخاري.

ــــــــوالأصهار والتعطف عليهم والرفق بهم والرعاية لأحوالهم وكذلك إن تعدوا وأساءوا وضد ذلك قطيعة الرحم. اهـ

(عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: من أحب أن يبسط) مغير صيغته أي يبسط الله (له في رزقه) أي يوسع له فيه (وأن ينسأ) مثله في ضبطه. بالسين المهملة مخففة أي يؤخر له (في أثره) بفتح الهمزة والمثلثة فراء أي أجله (فليصل رحمه. أخرجه البخاري) وأخرج الترمذي عن أبي هريرة «أن صلة الرحم محبة في الأهل مثراة في المال منسأة في الأجل» وأخرج أحمد عن عائشة - رضي الله عنها - مرفوعا «صلة الرحم وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان في الأعمار» .

وأخرج أبو يعلى من حديث أنس مرفوعا «إن الصدقة وصلة الرحم يزيد الله بهما في العمر ويدفع بهما ميتة السوء» وفي سنده ضعف: قال ابن التين: ظاهر الحديث أي حديث البخاري معارض لقوله تعالى: ﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ [النحل: ٦١] قال: والجمع بينهما من وجهين أحدهما: أن الزيادة كناية عن البركة في العمر بسبب التوفيق إلى الطاعة وعمارة وقته بما ينفعه في الآخرة وصيانته عن تضييعه في غير ذلك، ومثل هذا ما جاء: أن النبي - صلى

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ابن علان ١٥٤/٣

الله عليه وسلم – تقاصر أعمار أمته بالنسبة إلى أعمار من مضى من الأمم فأعطاه الله ليلة القدر. وحاصله أن صلة الرحم تكون سببا للتوفيق للطاعة والصيانة عن المعصية فيبقى بعده الذكر الجميل فكأنه لم يمت.

ومن جملة ما يحصل له من التوفيق العلم الذي ينتفع به من بعده بتأليف ونحوه والصدقة الجارية عليه، والخلف الصالح.

وثانيهما أن الزيادة على حقيقتها وذلك بالنسبة إلى علم الملك الموكل بالعمر، والذي في الآية بالنسبة إلى علم الله كأن يقال للملك في علمه أنه يصل أو يقطع فالذي في علم الله لا يتقدم ولا يتأخر والذي يقال مثلا إن عمر فلان مائة إن وصل رحمه، وإن قطعها فستون وقد سبق مثلا في علم الملك هو الذي يمكن فيه الزيادة والنقص، وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾ [الرعد: ٣٩] والمحو والإثبات بالنسبة إلى ما في علم الملك وما في أم." (١)

"والشهوات، وما فيها من حيرة وعماية إلى الحالة التي تطمئن فيها القلوب، كما تطمئن في النور عندما يسطع فيبدد سدول الظلام.

فباتباعهما فقط تطمئن القلوب بالإيمان واليقين، فتضمحل أمامها الشبهات، وتكسر سلطان الشهوات، فتلك الأحوال العديدة الظلمانية التي يكون فيها من أعرض عنهما، أو خالفهما، يخرج منها إلى الحالة النورانية الوحيدة، وهي حالة من آمن بهما واتبعهما كما قال تعالى: ﴿ويخرجهم من الظلمات إلى النور﴾ [المائدة: ١٦].

على العبد أن يقبل ما فيه كماله وسعادته، ومرضاة خالقه، مما هداه الله إليه برسوله وكتابه، وجعل قبوله له سببا في توفيقه وإخراجه من الظلمات إلى النور، وعليه أن يعتقد أنه لا ينال شيئا من التوفيق وحظا من النور إلا بإذن الله، أي إرادته وتيسيره، فلا يعتمد على نفسه ولا على أعماله، وإنما يكون اعتماده على الله، فيحمله ذلك على الاجتهاد في العمل، وعدم العجب به، ودوام التوجه إلى الله، وصدق الرجاء فيه، والخوف من عقابه، ودوام المراقبة له.

ولأجل لزوم هذا الاعتماد على الله الميسر للأسباب، الذي لا يكون في ملكه إلا ما أراد– قرن قوله: ﴿يهدي﴾ و ﴿يخرجهم﴾ بقوله: ﴿بإذنه﴾.

الإسلام هو السبيل الجامع العام:

ما جاء به النبي– صلى الله عليه وآله وسلم– والقرآن العظيم، هو دين الله الإسلام، فكل ما دل الله عليه الخلق بهما، وما وفق إليه العلم والعمل باتباعهما، فهو من الإسلام. ولهذا لما ذكر– تعالى– إرشاده وتوفيقه للذين اتبعوا رضوانه، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، ذكر إرشاده وتوفيقه لهم إلى الطريق المستوي، الموصل إلى الكمال والسعادة، ومرضاة الله الجامع لذلك كله بقوله تعالى: ﴿ويهديهم إلى صراط مستقيم﴾.

الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسول الله لازم دائما:

إن الحاجة إلى إرشاد الله وتوفيقه دائمة متجددة، فكل عمل من أعمال الإنسان وكل حالة من أحواله هو محتاج فيه إلى

---

(١) سبل السلام الصنعاني ٦٢٧/٢

هداية الله ودلالته؛ ليعرف ما يرضاه الله منه مما لا يرضاه.

وهو محتاج فيه إلى توفيق الله وتيسيره ليقوم بما يرضاه منه، وشرعه له ودله عليه، ولن يزال العبد- غير المعصومين (صلوات الله وسلامه عليهم) - تغشاه ظلمات الشبهات والشهوات، فيحتاج إلى دلالة الله وتوفيقه، ليخرج منها إلى نور الإيمان والاستقامة.

فالعبد محتاج دائما إلى الرجوع إلى كتاب الله، وما ثبت من سنة نبيه- صلى الله عليه وآله وسلم- ليهتدي إلى ما يرضي الله، مما شرعه له من أحواله وأفعاله، وإلى ما يدفع عنه شبهاته، وينقذه من شهواته.

ومحتاج إلى التوسل بذلك الرجوع إليهما وذلك الاتباع لهما إلى الله، ليفتح له أبواب المعرفة، ويمد له أسباب التوفيق، وهذا هو القصد من صيغة المضارع، المفيدة للتجدد، في قوله تعالى: ﴿يهدي﴾ و ﴿يخرجهم﴾ و ﴿يهديهم إلى صراط مستقيم﴾.." (١)

"أشخاص يزعمون لهم العصمة غير الأنبياء، أو الإحاطة بعلم الغيب "من أئمة أو رؤساء أو أولياء، أو أقطاب أو أغوات ... أو نحوهم"، أو يزعمون أنه يسعهم العلم بأنظمة البشر وقوانينهم، من زعم ذلك فقد افترى على الله أعظم الفرية"١.

أسباب التوفيقية:

وأما الأسباب التي حملت أهل السنة على الوقوف عند النصوص، وعدم تجاوزها فيمكن إجمالها فيما يأتي:

أولا: تواتر النصوص الآمرة باتباع الكتاب والسنة ولزومهما.

ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ [الحشر: ٧] ، وقوله تعالى: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ [النساء: ٥٩] . قال عطاء: "طاعة الرسول اتباع الكتاب والسنة"٢.

وقال ابن القيم: "روى أبو داود في مراسيله عن النبي –صلى الله عليه وسلم- أنه رأى بيد بعض أصحابه قطعة من التوراة فقال: "كفى بقوم ضلالة أن يتبعوا كتابا غير كتابهم الذي أنزل على نبيهم" ٣، فأنزل الله –عز وجل- تصديق ذلك: ﴿أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون﴾ [العنكبوت: ٥١] ، فهذا حال من أخذ دينه عن كتاب منزل على غير النبي، فكيف بمن أخذه عن عقل فلان وفلان، وقدمه على كلام الله ورسوله"٤.

---

١ بحوث في عقيدة أهل السنة والجماعة لناصر العقل ص٣٣.

٢ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماع للالكائي "١/ ٧٢"، وتفسير الطبري "٥/ ١٤٧".

٣ المراسيل لأبي داود "٤٥٤" عن يحيى بن جعدة. وراجع أثر ابن عباس في النهي عن سؤال أهل الكتاب، رواه البخاري

---

(١) تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ابن باديس، عبد الحميد ص/٣٣٣

"٢٦٨٥".

٤ جلاء الأفهام لابن القيم ص١٧٩-١٨١.." (١)

"وبهذه النقاط المهمة المستخلصة تحليليا من مضامين سورة القصص نجد أن لا شيء يعادل الكفرة في كفرهم بالله عز وجل على علم منهم، لذلك كانت آيات سورة القصص تفسر لنا بعض دلالات قوله تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ ((١)) ، لأن القرآن الكريم يفسر بعضه بعضا، وهذا من استدلالاتنا الحديثة في تحليلنا الاستقرائي المعاصر لدلالات سورة القصص الشريفة.

فلا يغترن أحد بما عليه الكفار اليوم من رغد العيش وتسلط على البشر، وتقدم علمي يريد الله أن يبتليهم به. قال تعالى: ﴿والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون * وأملي لهم إن كيدي متين﴾ ((٢)) . هذا من جانب، وأن من سنن الله في خلقه أن من عمل وسعى وبذل جهده وطاقته في تحصيل مقصد وصل إليه، فالمسلمون حين يستجمعون أسباب التوفيق والتمكين المادية والمعنوية فإنهم يصلون في القيادة والريادة إلى ما وصل إليه الغرب وأكثر، فالمسلمون يملكون العون من الله والتوقيف لأنهم حملة دينه، وحماة شرعه.

المطلب الثالث: مبشرات انتصار الإسلام في مفهوم ﴿إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد﴾

مع آيات نصر المؤمنين في سورة القصص

في العقيدة الإسلامية الحقة الحقيقية، وهي عقيدة أهل السنة والجماعة من أهل الحق، نجد تقريرات مهمة لآخر الزمان من عمر الدنيا تشمله كلمتان جامعتان (انتصار الإسلام) .

---

(١) سورة النساء: الآية ٤٨. و ١١٦.

(٢) سورة الأعراف: الآيتان ١٨٢ -١٨٣.." (٢)

"٩٢ - ثم سار كذلك مستعينا بما هيأ الله له من أسباب التوفيق، سالكا طريقا بين الشرق والغرب.." (٣)

"وذكر أن العلاء بن زياد قال له رجل: رأيت كأنك في الجنة، فقال له، ويحك، أما وجد الشيطان أن أحدا يسخر به غيري وغيرك؟ (١).

ويعلمنا الحسن البصري كيف نرد على من يمدحنا فيقول: قيل لبعضهم: ما أقل التفاتك في صلاتك" وأحسن خشوعك!! فقال: يا ابن أخي، وما يدريك أين كان قلبي؟

وقيل لابن حنبل: ما أكثر الداعين لك، فتغرغرت عيناه، وقال: أخاف أن يكون هذا استدراجا. وقال له خرساني: الحمد لله الذي رأيتك، قال: اقعد، أي شيء ذا؟ من أنا؟ (٢).

---

(١) طريق الهداية مبادىء ومقدمات علم التوحيد عند أهل السنة والجماعة محمد يسري ص/٢٠٥

(٢) سورة القصص دراسة تحليلية محمد مطني ١٠٨/٢

(٣) المنتخب في تفسير القرآن الكريم مجموعة من المؤلفين ص/٤٤٠

٢ - زجر ونهي المادح:

فلو زجر كل منا من يمدحه، فلن يستمر في المدح، ولن يعود إلى تكرار ذلك مرة أخرى. قال صلى الله عليه وسلم: " احثوا التراب في وجوه المداحين" (٣).

وقال رجل يوما لابن عمر: يا خير الناس، وابن خير الناس، فقال: ما أنا خير الناس، ولا ابن خير الناس، ولكني عبد من عباد الله، وأرجو الله وأخافه، والله لن تزالوا بالرجل حتى تهلكوه.

٣ - مطالبة الناس بحمد الله لا حمدك:

فعلينا بتذكير المادح بحقيقتنا، وأن الذي يستوجب الحمد هو الله، لا نحن، فلو تركنا ولم يمدنا بأسباب التوفيق ما وفقنا.

يقول ابن رجب: من هنا كان أئمة الهدى ينهون عن حمدهم على أعمالهم، وما يصدر منهم من الإحسان إلى الخلق، ويأمرون بإضافة الحمد على ذلك لله وحده لا شريك له، فإن النعم كلها منه.

---

(١) من تواضع لله رفعه ص ٤٨.

(٢) صلاح الأمة في علو الهمة ٥/ ٤٤٣.

(٣) صحيح، رواه الترمذي عن أبي هريرة. وصححه الألباني في صحيح الجامع، ح (١٨٥).." [1]

"كان زوجي يذهب لزيارة أهله في كل أسبوعين فيمكث يومين، فأنتهزها فرصة للذهاب إلى بيت عمي القريب من بيتنا، فكنت أجد من زوجة عمي حنانا غريبا، وعطفا زائدا حيث كانت تعطيني كل ما أطلب، لكنها لم تكن مستقيمة، فقد كانت تذهب بي إلى الأسواق، وإلى هنا وهناك، وتفعل أشياء مخلة بالأدب لا ترضي الله تعالى، فسرت على نهجها، والصاحب ساحب كما يقولون، ومن تلك اللحظات تغيرت الفتاة الوديعة الغافلة إلى فتاة مستهترة متمردة على كل من حولها، كانت زوجة عمي. هداها الله. دائما تغريني بأن خروج المرأة من بيتها حرية، ورفع صوتها للحصول على مطالبها أفضل وسيلة، فصرت أستهزئ بكل من يذكرني بالله أو يدعوني إليه .. ألهو كما أشاء، وألعب كما أحب على الرغم من أني زوجة، ولي أولاد، لكني لم أكن أبالي، ولم يقف الأمر عند هذا، بل رحت أجمع حولي صديقات سيئات الأخلاق، كن دائما يدعونني إلى الحفلات والأفراح، والخروج إلى الأسواق بلا سبب يذكر، وبما أني كنت أكثرهن ذكاء وجمالا وتمردا، وأقلهن حياء، كنت أنا الزعيمة.

وأدهى من ذلك أنني كنت أعتقد في السحر، وأستعين بالمشعوذين مع خطورة ذلك على العقيدة.

وفي يوم من الأيام جاءتني امرأة من نساء الجيران، ولم أكن أهتم بمن يسكن حولي، ولا أحب الاختلاط بهم، ولكن هذه المرأة تعلقت بي، وأصرت على زيارتي، وبما أنها كانت صالحة وملتزمة فقد كرهت الجلوس معها، وكنت دائما أحاول الهروب

---

(١) حطم صنمك وكن عند نفسك صغيرا مجدي الهلالي ص/١٤٧

منها، لكنها كانت لا تيأس، وتقول لي: لقد صليت صلاة الاستخارة (١). هل أنزل عندك مرة أخرى أم لا، فيقدر الله لي النزول ورؤيتك.

ومرت الأيام ـ حوالي الشهرين ـ مرة تكلمني، ومرات لا تستطيع أن تقابلني، وكانت تذهب كل يوم بعد العصر لتعلم النساء القرآن في المسجد المجاور لنا، وكلما رآها زوجي دعا الله أن أكون مثلها، وكانت هي تدعوني إلى الذهاب معها إلى المسجد، ولكني كنت أعتذر بأعذار واهية، حتى لا أذهب، وكانت دائما تقول لي: إني والله أقوم من الليل أصلي، فأدعو الله لك بالهداية، وعند ما أتقلب في فراشي أذكرك فأدعو الله لك، وذلك لما تفرسته في من الذكاء، وقوة الحجة، وفصاحة اللسان، والقدرة على جذب الناس حولي.

---

(١) – صلاة الاستخارة من أعظم أسباب التوفيق والبركة وتيسير الأمور.." [1]

"عنده)) (١). ويشهد عليها، ويقضي ما عليه من الديون، ويرد الودائع إلى أهلها أو يستأذنهم في بقائها.

٧ – يستحب للمسافر أن يوصي أهله بتقوى الله تعالى، وهي وصية الله تعالى للأولين والآخرين: ﴿ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله وإن تكفروا فإن لله ما في السموات وما في الأرض وكان الله غنيا حميدا﴾ (٢).

٨ – يستحب للمسافر أن يجتهد في اختيار الرفيق الصالح، ويحرص أن يكون من طلبة العلم الشرعي؛ فإن هذا من أسباب توفيقه وعدم وقوعه في الأخطاء في سفره وفي حجه وعمرته؛ لقول النبي – صلى الله عليه وسلم – ((الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل)) (٣)؛ولقوله – صلى الله عليه وسلم – ((لا

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: البخاري، كتاب الوصايا، باب الوصايا، برقم ٢٧٣٨، ومسلم، كتاب الوصية، برقم ١٦٢٧.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٣١.

(٣) أبو داود، كتاب الأدب، باب من يؤمر أن يجالس، برقم ٤٨٣٣، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ٣/ ١٨٨.." [2]

"يناسب الموعظة؛ لأنها تلقى على عامة، وقد يكون ذلك مضلة لأفهامهم، مبعدا لهم عن الهدى.

٤٨ـ الاعتدال في الطرح، والحذر من المبالغة وتضخيم الأمور: فيحسن بالواعظ أن يكون متزنا في طرحه بعيدا عن التهويل والتهوين؛ لأن الحقيقة تضيع بين ذلك، والعرب تقول في أمثالها: "خير الناس هذا النمط الأوسط" يعني بين المقصر والغالي١. ومما يدل على حكمة الواعظ، ورجحان عقله، وحرصه على الحقيقة ـ لزومه الاعتدال، وألا يسرف في مدح ولا ذم، ولا في

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٥٠٢/٤

(٢) صلاة المسافر = السفر وأحكامه في ضوء الكتاب والسنة سعيد بن وهف القحطاني ص/١٢

وعد ولا وعيد؛ فإن الإسراف مظنة الكذب، والاعتدال مظنة الصدق.

٤٩. انشراح الصدر للنقد الهادف: فالواعظ المخلص من يسعى لإرضاء الله ـ جل وعلا ـ فتراه يبذل كل سبب في سبيل نفع الناس؛ ابتغاء الأجر من الله؛ ولهذا لا تراه يتأذى من ملحوظة تقدم إليه ولو صاغها مقدمها في جفاء وغلظة؛ بل تراه يفرح بالنقد الهادف كفرحه بالثناء الصدق، بل ربما طلب ذلك من غيره، وهذا مما يرفع قدره، ويرتقي بعلمه، ووعظه.

وهذا هو دأب الأكابر والعظماء.

وقال عمر بن عبد العزيز لمولاه مزاحم ـ رحمهما الله ـ "إن الولاة جعلوا العيون على العوام، وأنا أجعلك عيني على نفسي؛ فإن سمعت مني كلمة تربأ بي عنها، أو أفعالا لا تحبها ـ فعظني عنده، وانهني عنه"٢.

٥٠. الإقبال على الله، وإحسان معاملته ـ عز وجل ـ فذلك من أعظم الأسرار لنجاح الواعظ، ومن أكبر أسباب توفيقه وإعانته، وإقبال الناس عليه،

---

١ مجمع الأمثال للميداني ١/٤٣٢.

٢ عيون الأخبار٢/١٨.." (١)

"يعنون بشأنه، ويتداعون للعمل به، أو الإقلاع عنه.

وما سطع الإيمان في نفس إلا كانت كالبلد الطيب ﴿يخرج نباته بإذن ربه﴾ ؛ فابذر ـ أيها الواعظ ـ في النفوس من الحكمة والموعظة الحسنة ما شئت أن تبذر؛ فلا تريك إلا نيات صالحة، وأعمالا راضية.

ثم إن مبلغ جهد الإنسان إنما هو البلاغ، والهداية بيد الله ـ عز وجل ـ قال ـ عز وجل ـ ﴿إن عليك إلا البلاغ﴾ [الشورى٤٩] .

وقال: ﴿ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء﴾ [البقرة: ٢٧٢] .

وقال: ﴿فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا﴾ [الشورى:٤٩] .

وقال: ﴿أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾ [يونس:٩٩] .

٥٥. أن يستشعر الواعظ أنه هو المقصود الأول من موعظته، وأنه مفتقر إلى الله ـ عز وجل ـ فذلك يدعوه إلى ربط القول بالعمل، ويردعه عن التمادي في الإعجاب، ويبعثه إلى الانطراح بين يدي الله ـ عز وجل ـ وسؤاله أن لا يكله إلى نفسه طرفة عين.

كما أن ذلك يقوده إلى التواضع، والزراية على النفس.

كل ذلك من أسباب توفيقه وتسديده.

فما أجمل أن يكون الواعظ كثير الانكسار والتذلل لله ـ عز وجل ـ وما أروع أن يستحضر معنى قوله ـ عندما يقول في مستهل موعظته ـ: "أوصيكم ونفسي بتقوى الله ـ عز وجل ـ ".

---

(١) أدب الموعظة محمد بن إبراهيم الحمد ص/٩٤

ولقد كان العلماء الربانيون العالمون بالله وبأمره ـ عز وجل ـ يأخذون بهذه السيرة؛ فتراهم يستشعرون بأنهم أولى الناس بالتذكرة، وأنهم أخوف الناس على أنفسهم، وأرجاهم لغيرهم.." (١)

"وأخبر – صلى الله عليه وسلم –: "إن أحب الأعمال إلى الله –عز وجل– أدومها وإن قل" (١)، فأحب العمل أدومه وإن قل، فيكون تهنئتنا للمقبولين سببا لدوامهم على ما آتاهم الله –عز وجل– من أسباب التوفيق، فيقتدون في ذلك بسنة النبي – صلى الله عليه وسلم –: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾ [الأحزاب: ٢١].

تهانينا .. تهانينا

أيها المقبول، تهانينا؛ ولكن لا تغتر، إنما قبلت بتوفيق الله، وتسديد الله، وفضل الله ورحمته، وليس منك؛ فليتعلق قلبك بالله شكرا لله.

أيها المقبول، تهانينا؛ ولكن لا تفرح بعملك؛ فإن الله يستحق أكثر من ذلك.

أيها المقبول، تهانينا؛ ولكن احرس قلبك حترل لا تضيع لذة الطاعة التي حصلتها في رمضان.

أيها المقبول، تهانينا؛ ولكن احذر المشي والقعود مع البطالين والاغترار بهم.

أيها المقبول، تهانينا؛ ولكن اعلم أن علامة القبول الازدياد كل يوم من الطاعة.

أيها المقبول، تهانينا؛ ولكن سل نفسك: هل قوة الاندفاع للعبادة ضعفت عندك أم لا؟

أيها المقبول، تهانينا؛ ولكن هل لو مت الآن ستجد الله راضيا عنك.

---

(١) متفق عليه، البخاري (٦٠٩٩)، مسلم (٧٨٣).." (٢)

(٣)

---

(١) أدب الموعظة محمد بن إبراهيم الحمد ص/١٠٠

(٢) أسرار المحبين في رمضان محمد حسين يعقوب ص/٣٧٢

(٣) أسرار المحبين في رمضان محمد حسين يعقوب ص/٣٧٢